إيمـــــــــــا

الحرية

للنشر والتوزيع

٢٦١٥٦٤٦-٥٧٤٥٦٧٩

٠١٢/٣٨٧٧٩٢١



روايات أحلامي

● روايات أحلامى سلسلة رومانسية

تصدر عن الحرية للنشر والتوزيع

● كل شخصيات هذه الرواية من نسج الخيال،

واي تشابه بين هذه الشخصيات وشخصيات

حقيقية تكون بمحض الصدفة

تقــدم...

«روايــات أحلامــى»

نهراً من الحب... الحب الذى يلون الدنيا

بألوان الربيع.. الحب حيث لا خريف أبداً..

الحب حيث الورود والرياحين..

حيـث الحيـاة..

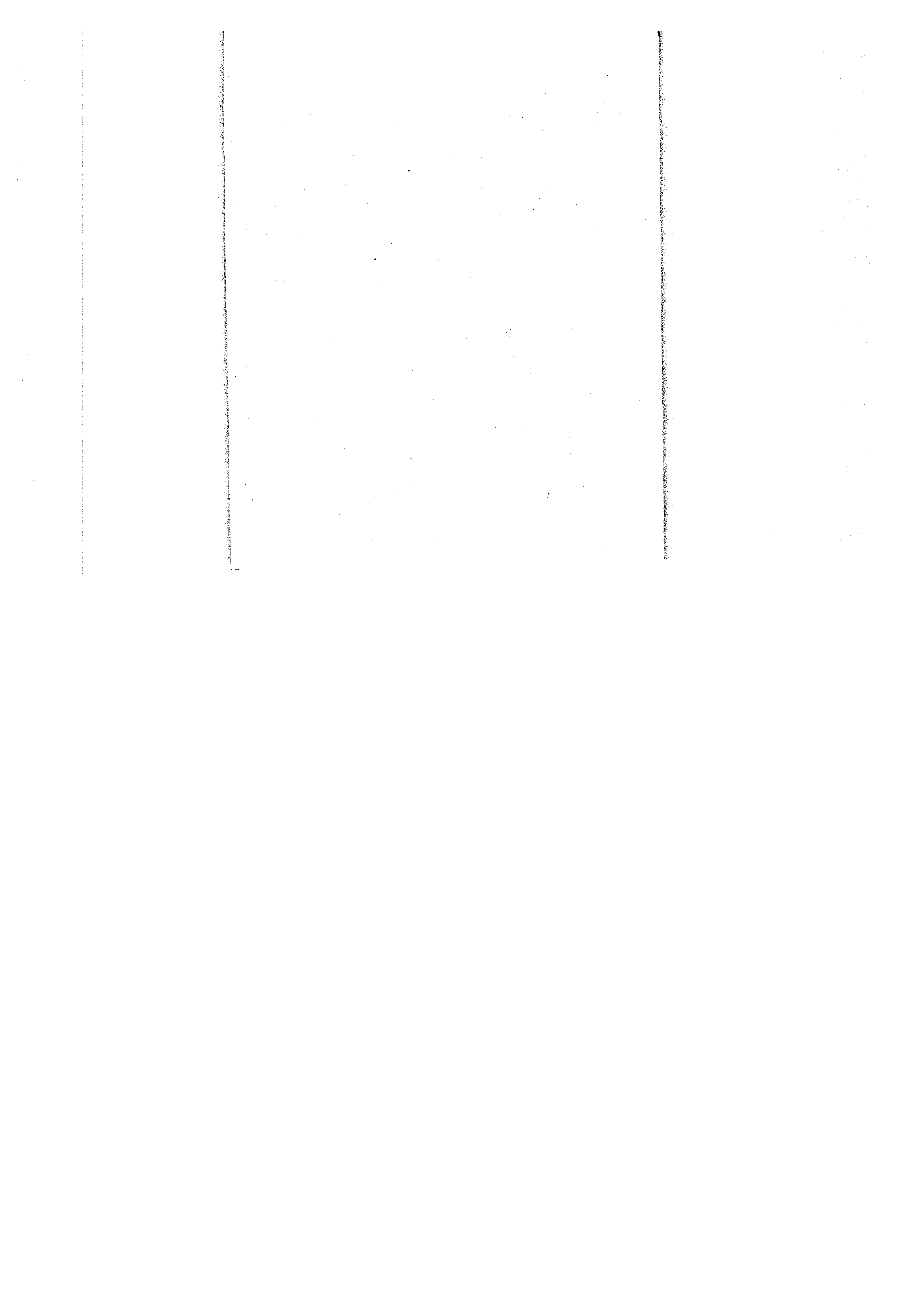
وروايات أحلامى... تُسهم بالحكايات عن زمن الحب

والأحبة فى هذا النهر الجارى والرائع «نهر الحب»

فتعالوا لنبحر فى نهر «أحلامى»

على أمواج الرومانسية.





الزمن الجميل

بدأت (إما وود هاوس)، بما لها من جمال وخفة وما ترتع فيه من سعادة ولإقامتها فى بيت فيه كل سبل الراحة، وكأنها حازت كل نعم الدنيا وهى بعد الحادية والعشرين، فهى لم تصادف من المتاعب التى قد تقلقها أو تكدرها إلا القليل..

كانت إما صغرى ابنتين لأب يفيض رقه وحنانا، قد عزت منذ زواج أختها الكبرى البيت دون منازع...

لقد انقضى وقت طويل منذ وفاة أمها حتى أنها لا تكاد تتذكر ملامحها، ولم يتبق فى الذاكره سوى أشياء مبهمة عن حنانها وحبها...

تم إسناد إدارة البيت إلى سيدة ممتازة عوضت إما عن حنان أمها الراحلة، وقامت لها بدور المربية...

قضت (المس تيلور) مع أسرة وود هاوس ست عشرة سنة كانت خلالها الصديقة؛ فقد أغرمت بالبنتين، لكنها اهتمت اهتماما بالغا بإما، وانعقدت بينهما أواصر الألفة حتى كادتا أن تكونا أختين...

كان للمس تيلور مزاج معتدل لين الجانب جعلها لا تعبء برفض القيود على إما، فقد أفسحت الطريق للحب، وإنهاء شبح السيطرة، وصارت العلاقة بينها وإما علاقة الصديقه بالصديقه، وانطلقت إما حرة تحيا على هواها، ولولا تقديرها الكبير لحكمة المس تيلور لما أوقفها

شئ...

كان من عيوب إما حقيقه القدرة على الانطلاق دون عائق، والتى تصل إلى الاستهانة بالآخرين..

وإن لم يظهر فى ذلك الحين...

لكن ذات يوم أقبلت الأحزان... دون أن تجرح الشعور مطلقا...

تزوجت المس تيلور، كان فقدها بداية الأحزان ويوم زواجها هو اليوم الذى جلست فيه إما ينتابها الجزع والقنوط..

ولما انتهت مراسيم الزواج وانقض أهل العروس جلست إما وأبيها وحدهما إلى العشاء دون أمل فى أن يجالسهما ثالث ليسرى عنها ويذهب عنهما هذا الكدر.. وذهب والدها مبكرا إلى النوم كعادته، ولم يكن أمام إما إلا إن تجلس وتفكر فى فداحة المصاب بفقد الحبيبه الغالية المس تيلور..

على أن الحدث كان يحمل كل أسباب السعادة لصديقتها؛ فالمستر (وستون) شخصيته محبوبه وميسور الحال وسنه ملائمة وعلى خلق قويم

شعرت إما بالرضا حين فكرت فى أنها - بدافع من نكران الذات والصداقة الجارفة- كانت دوما ترغب فى ذلك الزواج وانها مهدت له، لكن يوم الزواج جلب الأحزان وها هى تشعر بفراق المس تيلور فى كل لحظه وتتذكر ما كانت تشملها به من حنان وعطف استمرا طيله ست عشره سنه كاملة.. كما تستعيد ذكرى تعليمها إياها وكيف كانت تلهو معها وهى فى الخامسة وتبذل ما بوسعها كيلا تفترق عنها وتعتنى بها

فى فترات مرضها الطويله فى الطفولة..

شعرت أنها مدينه لها بالكثير من أجل ذلكن بيد أن ما كان بينهما من مساواة تامة فى المعاملة ورفع التكاليف خلال السبع سنين الأخيرة عقب زواج إيزابيلا كان يمثل أعز وألطف الذكريات...

المس تيلور صديقه وصاحبة يندر أن يجود بمثلها الزمان، فهى ذكيه وواسعة الثقافة، ورقيقة ومفيده وعلى الرغم بما يتصل بالأسرة، مشغوفة بغما فى السراء والضراء. كانت إما تبوح لها بأسرارها وبأفكارها، فكيف تصبر على هذا التغيير الجديد فى حياتها.؟

إن صديقتها حقيقه لا تبعد عنها سوى نصف الميل، لكن إما تدرك الفرق الهائل بين (المسزوستون) التى تبعد عنهم بنصف ميل وبين (المس يتلور) التى عاشت بينهم ردحا من الزمان..!

إن إما، برغم من مزاياها الطبيعيه ومواهبها البيتية، صارت تعانى آلام العزلة الفكرية..

كانت مشغوفة بوالدها، لكنه ليس الصاحب الذى يسابرها فى الحديث سواء أكان الحديث هازلا أم عقيما جاداً...

ولقد عمق الفجوة بينهما أن الرجل: (المستر ودد هاوس) لم يكن قد تزوج إلا فى سن متأخره، لذلك فقد كان له عاداته وتكوينه الجسمانى الذى تأثر كثيرا من اعتلال صحته طيله حياته بتأثير عدم مزاولة أى نشاط رياضى أو عقلى مما أسلكه فى مجال تصرفاته فى عداد المسنين..!

حقا، كان محبوبا أينما حل بسبب طيبته واعتدال مزاحه، لكن لم

يكن جذابا لكل ذى عقل...

لقد استقرت إيزابيلا - أختها- فى لندن والمسافة بينهم لا تزيد عن السته عشر ميلا، وهى ليست بالبعيدة، غير أن إما اكتشفت أن زيارتها اليوميه لها أمر صعب كان لا محيص لها عن المعاناه الرهيبه فى تلك الأمسيات فى شهرى أكتوبر ونوفمبر فى (هارتفيلد) إلى أن يحل موعد أعياد الميلاد حين تأتى (إيزابيلا) وزوجها وأطفالها الصغار ويضج بهم البيت فتنعم إما بالصحبة من جديد...

لم تجد من يحل محل أسرتها فى قرية (هايبرى) التى زادت مساحتها وكثر ساكنوها حتى كادت تصبح مدينه.. وقد كانت (هارتفيلد) جزءا منها برغم مروجها وشجيرات توتها....

كانت أسره (وود هاوس) أعظم الأسر التى استوطنت القرية وأسماها مكانة والملاذ لكل ساكنيها.. ورغم أن إما قد تعرفت على الكثيرين منهم بيد أنها لم تجد فيهم من يسد الفراغ الذى تركته المس تيلور ولو لساعات....

وأن تمنى نفسها بحدوث معجزة، وما أن يصحو والدها حتى تسارع بإدخال السرور إلى قلبه، فهو فى حاجه إلى من يرفع حالته المعنويه لما هو عليه من سرعة انفعال وتهيج وحبه لمن ألف معاشرتهم وكرهه للتخلى عنهم، ونفوره من التغيير على أى صورة كان.

كان الزواج عنده هو أس البلاء، فأبغضه على الدوام، وهو لم يزل غير راض عن زواج ابنته، وهو يذكرها بكل الأسى والإشفاق برغم أن الزواج كان عن حب، وها هو أخيرا مجبر على التخلى عن المس تيلور

أيضا..!

دفعه ما جُبِلَ عليه من أنانية واضحة وصعوبة تخيله أن الناس يشعرون بغير شعوره إلى الظن بأن المس تيلور قد أساءت إلى نفسها وإليهم بزواجها وأنها تكون أكثر سعادة لو عادت إلى (هارتفيلد) لتكون بينهم من جديد...

كانت إما تبتسم وهو نحدثه حتى تقضى هذه الأفكار عنه، لكنه حين جلس يشربان الشاى حتى عاد إلى تكرار ما قاله فى العشاء:

– ما أتعبس المس تيلور... لكم أود لو تصبح هنا من جديد.!

· ما أنحسها من ساعة حين فكر كستر وستون فى الزواج بها.!

– لست من رأيك يا أبى. أجل، أنت تعـرف بأنى لا أسـتطيع موافقتك على رأيك فالمستر وستون رجل مرح ولطيف وممتاز وهو جدير بزوجه صالحة، وما كان يرضيك لو عاشت معنا المس تيلور على الدوام لتتحمل نزواتى وأهوائى الغريبة بينما فى إمكانها أن يكون لها بيتها الخاص...

– بيتها الخاص..!! ما الميزة فى هذا...؟ إن منزلنا هذا ثلاثة أضعاف مساحة بيتها، كما أنك يا عزيزتى لست أصحاب النزوات الغريبة الشاذه...

– سوف نذهب لزيارتها غالبا.. وسيقومان بزيارتها وسنتقابل على الدوام، ومن واجبنا نحن أن نبادر بالزياره للتهنئة وأن يتم ذلك سريعا...

- وكيف يمكننى يا عزيزتى قطع تلك المسافه الطويلة...؟

إن (راندولز) بعيده ولا أستطيع أن أذهب إلى نصف تلك المسافة سيرا على الأقدام..

- لا، إننا نذهب إليها بالمركبه يا والدى بكل تأكيد...

- المركبة..! ولكن (جميس) لا يفضل أن يحجزها لمثل هذه المسافة القصيرة. وأين نضع جيادنا المسكينه أثناء الزيارة..؟

- فى حظيره المستر وستون يا أبى، لقد اتفقت مع المستر وستون على هذا ليلة الأمس.. أما جيمسى فيجب الذهاب إلى (راندولز) لأن ابنته تعمل خادمة هناك... ألم تكن أنت التى أوصيت بها ولولاك ما عملت هناك؟ إن جميسى شاكر لك حسن صنيعك..!

- يسرنى للغاية أننى أفكر فيها وهذا من حسن حظى؛ لأنى ما أردت أن يظن جيمسى أنه مغبون بحال. أنا واثق بأنها ستكون نعم الخادمة فهى بنت مطيعة حلوة الحديث، وغننى حسن الظن بها، فكلما وقع نظرى عليها تسرع بتحيتى والسؤال عن صحتى بأسلوب لطيف، ولقد لاحظت أنها تحسن فتح الباب ولا تدفعه بشده إطلاقا. إننى متأكد بأنها ستكون خادمة رائعة، كما أنه مريح للمس تيلور المسكينه أن تجد بالقرب منها شخص اعتادت رؤيته، وإضافة إلى أن جيمسى كلما زاد ابنته ستعرف منه أخبارنا كما سيوف أخبار المس تيلور..

لقد تمنت إما أن ينعم والدها بأمسية سعيدة بالاستعانه بلعبه النرد (الطاولة)، وبالفعل جهزت الطاولة للعب، لكن زائر أقبل توا فقطع الطريق على اللعبة..

إنه المستر (نايتلى) الرجل الوقور ذو السابعة أو الثامنة والثلاثين أخص أصدقاء الأسرة من قديم، كما أنه لأخ الأكبر لزوج الأخت إيزابيلا، وهو يقيم على مسافة ميل واحد من (هاييرى) ولطالما زار الأسرة وكان محل ترحاب..

قوبلت زيارته بترحاب شديد، فهو قادم لتوه من لندن حيث تقيم إيزابيلا بعد غياب بضعة أيام، ولقد وصل ليعلن أن الجميع فى (ميدان برانزويك) بخير..

سر المستر وود هاوس بقدومه وعلت البشاشه وجهه... ولقد أجاب المستر نايتلى عن كل الأسئلة بطريقة أرضت العجوز كل الرضا.. فقال له وهو يشعر بالامتنان:

– إنه لكرم بالغ منك يا مستر نايتلى أن تأتى لزيارتنا فى هذه الساعة المتأخره، وأخشى أن يكون المشوار قد أرهقك..

– لا شئ من ذلك يا سيدى، فالليلة مقمره وجميله، والجو دافئ حتى لا أجدنى مضطر للجلوس بقرب نار موقدك المتأججة..

– لكن، لا مراء أن الطريق مبتل وقذر وأود ألا يكون أصابك برد منه...

– أتقول قذرا يا سيدى..! وإن كان ذلك مبعث الدهشة ولا ريب، فالأمطار هطلت بغزارة نحو نصف الساعة بينما كنا نتناول الإفطار، آه، لكم وددت لو تأجل الزواج... وبالمناسبة فاننى لم أقدم التهنئه للآن، وآمل أن يكون كل شئ قد تم على خير وجه. لكن كيف تصرفتم ومن بكى منكم أكثر..؟

– آه، إن قلت ما أتعس المستر وود هاوس وكس وود هاوس ولكن لا أقوى على القول: مسكينة يا مس تيلور، وإنني لأشعر بتقدير كبير لك ولإما...

قالت إما تداعبه:

– إنني أعرف ما تفكر فيه، وكنت سأقوله لو لم تكن أبى قريب منا..

تنهد المستر وود هاوس وقال:

– أظن ما تقولينه يا عزيزتي صواب فإنني أشعر بأني غرب الأطوار ومرهق...

– لا تحسب أنني أقصدك يا أبى العزيز أو أن المستر نايتلى كان يعنيك... لا.. إنه مجرد مزاح مع المستر نايتلى وحسب..

كان نايتلى من القلائل الذين استطاعوا تبين عيوب إما...

قال المستر نايتلى:

– إما تعرف لا أتملقها، لكنني ما قصدت التويص بأحد. لقد اعتادت المس تيلور أن تعمل على إرضاء شخصين وهى الآن ترضى شخصا واحد فلا بد أنها الفائزة من الزواج..

لتغير مجرى الحديث قالت إما:

– حسنا، يسرني أن أقص عليك موضوع الزواج. لقد شعرنا بأنه لن يفصلنا عن المس تيلور غير نصف الميل وتأكدنا أن لقيانا سيتم كل يوم...

قال أبوها:

– إن لعزيزتى إما قدرة على الاحتمال، لكنها مهمومة لحرمانها من المس تيلور المسكينه...

فاستدارت إليه أما برأسها...

قال المستر نايتلى.

– مستحيل ألا تشعر إما بفراق صديقه كهذه، ولولا أنها تعلم مقدار السعادة الذى سيعود على المس تيلور من الزواج لما سعت لتشجيعها عليه.. فإما تشعر بالسعادة لمس تيلور أكثر مما تشعر به من ألم..

قالت إما:

– إن ما يسعدنى أكثر هو أن المستر وستون كان عازفا عن الزواج مرة أخرى لكننى مهدت للزواج منذ أربع سنوات وهذا يجعلنى أشعر بارتياح لا حد له..

قال أبوها:

– رجائى ألا تمهدى لزيجات بعد اليوم...

– أعدك ألا أفعل فيما يخصنى، لكنى أجده عملا واجبا بالنسبه للغير وهو أكبر تسليه فى الوجود..! لقد تقابلنا، المس تيلور وأنا بالمستر وستون فى منعطف برداوى منذ أربع سنوات،وكان الطريق قط منهمرا وإذا به يستعير لنا مظلتين من بيت المزارع ميشيل، فكيف لا يدفعنى النجاح إلى التمهيد للزيجات.؟

قال نايتلى:

– بل النجاح هو بذل الجهد، وكل ما يمكن قوله فى هذا الشأن هو

أن حدسك دلك على الطريق وصادفك الحظ فنجحت.

فقالت إما:

– يا أبى إنه من الأفضل أن ندع رجلا صريحا طيبا كالمستر وستون وسيده رزينه مثل المس تيلور فى حالتهما يتدبران أمورهما ونحن واثقون إلى حكمها...

قال لها المستر ودد هاوس:

– رجائى يا عزيزتى ألا تمهدى لزيجات أخرى بعد الآن، فهى أمور سخيفة تمزق أواصر العائله وتجلب الأحزان..

– سأفعل مره واحدة أخرى لاجل المستر (ألتون)، إنك تحبه يا أبى ولابد أن أبحث له عن زوجه؛ فقد قضى هنا عاما وبنى بيتا ومن المخجل أن يظل أعزبا.. إنه شاب ظريف للغاية...

– إذن سيله أن يأتى للغداء معنا، وقد يتفضل المستر نايتلى فيحضر للغداء معه...

ضحك نايتلى وقال:

– بكل سرور يا سيدى.. وفى الوقت الذى تحدده... وأنا أتفق معكما فى أن هذا أفضل بكثير...

فلتوجهى إليه الدعوة يا إما لتناول الغداء وقدمى له أفضل السمك وألذ الدجاج، لكن دعيه وشأنه ليختار زوجت فقد بلغ السادسة والعشرين أو السابعة والعشرين وهو قادر على تدبير أموره بنفسه..

كعكة الزواج

كان المستر وستون، من مواطني (هايبرى) ومن أسرة مرموقة قفزت خلال الجيلين أو الثلاثة إلى مرتبة رفيق من الحسب واليسار. نال الرجل قسطا وافرا من التعليم، وعافت نفسه العمل العادى الذى يزاوله اخوته، وانضم إلى فريق الدفاع الشعبى (الميليشيا) فى القرية..

كان النقيب وستون محبوبا من الجميع، ولقد هيأت له الحياة العسكرية التعرف بالمس (تشرشل) من أسرة عريقة فى يوركشاير وهامت المس بحبه لكن أخاها وزوجته ظنا أن مصاهرته قد تؤدى إلى الانتقاص من مكانتها.. لكن الفتاه أصرت على الزواج ولم يجد الاثنان مناصا من الموافقة وبعدها تخليا عنها..

لكن الزوجه، المسز وستون لم يطلب لها العيش مع زوجها؛ فقد اعتادت على اليسار فى بيتها القديم، ولم تلبث بعد ثلاث سنوات أن ودعت الدنيا بعد أن أنجبت لوستون الطفل فرانك....

لم يكن المستر تشرشل وزوجته قد أنجب أطفالا فتقدما إلى وستون يطلبان أن يقوما برعاية فرانك فوافق الأب ليتفرغ لتحسين مركزه الاجتماعى، وسرعان ما ترك الحياة العسكرية واحترف التجارة... وعاونه إخواته الذين استقروا فى لندن، وظل طيله ثمانى عشره سنة منشغلا بتجارته، واشترى ضيعه صغيرة مجاورة لها يبرى..

حقق وستون ثروة وابتاع دارا وحاز الزوجه التى يريدها.. وخاصة أن فرانك سيصبح وريثا لخاله، ولن يلبث حتى يبلغ سن الرشد ليتحقق ذلك...

إنه يرى ابنه فى لندن كل عام وهو فخور به... وهذا حق؟ فإن المستر (فرانك وستون) أو (فرانك تشرشل) من مفاخر مواطن (هايبرى)....

ولما تزوج والده كان عليه أن يقوم بزيارة أبيه...

وحدث أن كتب فرانك إلى زوجه أبيه بمناسبه الزواج خطابا رقيقا كان له أكبر الأثر فى نفس المسز وستون؛ وشعرت أنها سيدة سعيدة الحظ...

كانت إما تقضى الساعات فى التفكير فى واجبها نحو المسز وستون يتخللها لحظات من الألم لفراقها...

وبعد أسابيع حدث ما خفف عن المستر وود هاوس ما به من هم، فقد أصر جيرانه على شراء كعكه الزواج... فاستشار الرجل المستر (برى) الصيدلى، وهو رجل ذكى رقيق الحاشيه، يكثر من زيارته للمستر وود هاوس مما يسعد الرجل، وأجاب المستر برى بأنه لا بأس من الكعكه على أن يأكل منها المستر وود هاوس باعتدال..

وراجت شائعات غريبة بأن أطفال المستر برى شوهدوا وفى أيديهم شرائح من كعكه الزواج... لكن المستر وود هاوس رفض أن يصدق الشائعات.!

اللقيطـــة

أغرم المستر وود هاوس بمعاشره الناس بأسلوبه الخاص، ولذا كان يحب أن يقوم الأصدقاء بزيارته، وأمكنه السيطرة على هذه الزيارات لأسباب عديده منها إقامته فى (هارتفيلد) وسجاياه الحميده وثراؤه وبيته وابنته. كان يخشى السهر والولائم العظيمة، ولذلك كان الأصدقاء لا يخرجون عن هابيرى وراندولز ودوينول مقر المستر ناتيلي، وكان من النادر أن تمضى أمسية إلا وتعد إما المنضدة للنرد إلا إن كان والدها يشعر بالرغبة فى أن يكون وحيدا..

كان المستر وستون وزوجته والمستر ناتيلى والمستر ألتون يأتون فى زياره المستر وود هاوس وابنته الجميله الضاحكه على الدوام..

سوى تلك المجموعة أفراد قلائل من بينهم (المسز بيتس) وابنتها، و(المسز جودارد)... يرسل إليهن المستر وود هاوس مركبته ليركبنها إلى هارتفيلد..

كانت (المسز بيتس) أرملة راعى كنيسه (هايبرى) السابق سيده عجوز لاهم لها إلا موائد الشاى ولعب الورق.. وكانت تعيشن على الكفاف مع ابنتها...

لكن (المس بيتس) لم تكن تتمتع بذكاء وافر... وانقضى عهد شبابها وأصبحت عانسا، ترعى أمها وتجاهد لتعيشها على دخلها الضئيل،

وتشعر بالسعادة لأن الكل يحبها لطيبه قلبها وشعورها بالرضا على مصيرها...

ولقد كان المستر وود هاوس شغوفا بالإنصات إلى حديثها المستفيض الذى يتناول الأمور الصغيرة...

أما المسز جودارد فكانت صاحبة مدرسة داخلية على النمط التقليدى وعلى أسس راسخة تمكن تليميذاها من الحصول على قسط طيب من المعلومات لقاء أجر رمزى، وفى المدرسة يمكنهم البعد عن البيت ونيل القسط المطلوب من التعليم..

كان للمدرسة سمعة طيبه جديره بها، فقد أعدت صاحبتها منزلا واسعا وحديقه فسيحه، ناهيك عن الغذاء الشهى الوفير والمرح خلال الصيف، وفى الشتاء كانت فى رعايه تلميذاتها وكان من المشاهد العادية أن تسير وخلفها أربعون طفلة فى طريقهم إلى الكنيسة...

كان يسعد إما أن ترى أباها هانئا.. وأن تكون سببا فى هنائه..

وذات صباح وهى جالسة تفكر وصلها خطاب من المسز جودارد تستأذنها فى اصطحاب (المس سميث) معها فى الزيارة....

نشطت إما وكتبت رد على الخطاب بتوجيه الدعوة للفتاة؛ فقد كانت الفتاة جميلة وفى السابعه عشرة من عمرها...

لكنها كانت ابنه غير شرعية ألحقها مجهول بمدرسة المسز جودارد ثم اصبحت مشرفه بالقسم الداخلى... وها هى قد عادت لتوها من زيارة قضتها فى الريف فى ضيافه فتيات كن زميلاتها فى المدرسة..

إنها قصيره مليئه الجسم، ذات وجه بديع ومشرق، له عينان زرقاوان وشعر أسود..

وفى نهايه السهرة عزمت إما على توطيد الصلة بها؛ فهى قد وجدت فيها جاذبيه من نوع خاص.. وبشاشه وكياسة، وأظهرت امتنانها لزيارة هارتفيلد...

انشغلت إما فى حديثها مع (هاريت سميث) والإنصات إليها..

وسارعت إلى تقديم الحفاوة والعشاء الدسم المكون من الدجاج والمحار... إلا أن أباها كان حزينا؛ فهو ممنوع من تذوق الأطايب وإلا أضرت بصحته..!

لكنه كان لا ينى عن الحفاوة بالضيوف فيقول:

– إسمحى يا مسز بيتس. إننى أقترح أن تذوقى هذا البيض المسلوق فهو لا يضر. دعى ابنتى إما تقدم لك شريحه من الفطائر المحشوة بالتفاح على ألا تأكلى الكريمة...

وما رأيك أنت يا مسز جودارد فى نصف قدح من النبيذ... فى كوب ماء؟

تركته إما يتحدث بينما هى تقدم للضيوف الطعام والشراب بسخاء...

غادرت المس (هاريت) منزل وود هاوس وهى فى غايه الرضا، فقد سرها ما لقيته من حفاوه (المس وود هاوس) طوال السهرة علاوه على أنها صافحتها فى نهاية السهر ة..

كانت أواصر الصداقه قد انعقدت لهاريت سميث بهارتفيلد ولم تتوان إما فى دعوتها للولائم وفى مطالبتها بتكرار زيارتها لها...

لقد وجدت فيها إما خير رفيق عوضا عن المسز وستون خصوصا حين تخرج للنزهة سيرا على الأقدام..

لقد جازفت ذات مره بالسير وحدها إلى (راندولز) لكنها لم تشعر بأية لذة... ومن ثم كانت هاريت بالنسبه إليها نعم الرفيق...

أما هاريت فكانت على دماثه خلق ومطيعه وممتنة وبعيده عن الخيلاء، لكنها تفتقد إلى من يوجهها....

كانت صلة إما بالمسز وستون صلة تقدير وعرفان، إما صلتها بهاريت صلة من سيؤدى إليها خدمة..

لقد حاولت معرفه من هما الأبوان للصديقه الجديدة بيد أن جهودها ذهبت عبثاً.. فهاريت لم تكن تعرف عن أصلها غلا ما أنبأتها به المسز جودارد وهو النزر اليسير، فرضيت به وقرت به عينها..

كان الحديث بين الصديقتين يدور حول مدرسة المسز جودارد وعن التلميذات والمدرسات..

ذكرت لها هاريت الكثير من أخبار أسرة (مارتن) التى تقيم فى صنعه الرهبانيه والتى قضت عندها شهرين سعيدين.. وعن (المسز مارتن) ذكرت أن فى بيتها بهوين فسيحين رائعين.. ولها رئيسه خدم منذ خمسه وعشرين عاما.. وثمانى بقرات، تصطف منها (المسز مارتن) بقرة تطلق عليها (بقرتى)...

ولأسرة مارتن مقصوره صيفيه فى الحديقه تتسع لإثنى عشر ضيفا.. علمت إما من حديث هاريت أن (المستر مارتن) أعزب وخشيت أن يحيق بهاريت الخطر لإقامتها لدى اسرة مارتن، فاستدرجتها فى الحديث حتى وصفت هاريت الأعزب مارتن ببراعة: فهو خفيف الروح، مرح، نشيط إلى مساعدة الآخرين.. فقد سار ذات يوم مسافه ثلاثه أميال ليجلب لها بعض ثمار الجوز التى هى مولعة بأكلها، وأنه كان ميالا بسجيته إلى العون وفعل الخير..

وذات يوم اخبرتها (المسز مارتن) بأن ولدها مارتن أحسن الأبناء، ولذلك فهى واثقة بأنه إذا تزوج سيكون زوجا مثاليا..

وحين غادرت هاريت أسرة مارتن زودتها المسز مارتن بتزويدها بأوزه رائعه هدية إلى (المسز جودارد).. وسرت المسز جودارد بالأوزه وطهتها وأولت وليمة لمدرساتها الثلاث (المس ناش) و (المس برنس) و (المس رتشاردن)..

قالت إما:

- وأظن المستر مارتن لا يطالع الكتب..؟

- بل إنه يطالع كثيرا، التقارير الزراعيه.. كما يلهو ويلعب الورق بعد أن يقرأ روايه (قش ويكفيلد)...

- هل تصفينه لى؟

- إنه عادى، ليس له أى مسحة من الجمال ولا الوسامة... ألم يمكنك رؤيته..؟ إنه يأتى إلى (هايبرى) بين الفينة والفينة ويمر بها على صهوة جواده وهو متجه إلى (كنجستون)..

– ربما شاهدته دون أن أعلم هويتة... لكننى والفلاحين لسنا على وئام، فهم على وجه التحديد الفئه التى أشعر برغبتى فى الابتعاد عنها....

– لكنه يعرفك... وقد وصفك لى..

– هو بلا ريب شخص محترم للغاية، كم يبلغ من العمر فى رأيك.؟

– لقد بلغ الرابعه والعشرين فى الثامن من يونيو الماضى، تصورى أنه يكبرنى بأسبوعين ويوم واحد... وهى مصادفه عجيبة حقا..

– أربع وعشرون سنه فقط..؟ إنها سن صغيرة ولا ينبغى لأمه أن تقلق بشأن زواجه. يبدو أنهم يعيشون فى سعاده وهناءة والأفضل ألا يتزوج قبل ست سنين...

– بعد ست سنين سيصبح يا عزيزتى إما فى الثلاثين..

– نعم، وهل سن ملائمه لتحمل أعباء الزواج... وأظن مارتن يعتمد على نفسه فى تكوين مركزه المالى، وقد يصبح غنيا بعد ست سنين..

– أنت محقه، فهم يعيشون فى رغد العيش، لكن ليس لديهم خادم والمسز مارتن تتحدث عن استخدام خادم بعد عام....

– بودى ألا تقعى فى المحظور حين يتزوج المستر مارتن، أقصد ألا تتعرفى بزوجته لأنها ستكون قاسية، فإن مولدك وظروفك القاسية يجبرك على اختيار الصديقات...

– اجل، لكننى ما دمت أزور بيتكم العامر وتشملييننى بعطفك يا مس وود هاوس فلن أخشى شيئا..

– سوف أوطد صلتك يا هاريت بعلية القوم لتكونى فى غنى عنا... ولذلك أرجو ألا تجرك صداقتك لأخوات المستر مارتن إلى مصادقه زوجته التى قد تكون ابنة فلاح جاهلة.

– لك أن تثقى بى.. فلست أرغب فى التعرف إلى زوجته المقبلة..

فى اليوم التالى لقيتا – وهما تسيران فى طريق (دونيول) – المستر مارتن سائرا على قدميه. رمقها الشاب بنظره ثم نظر إلى هاريت فأسرعت إما الخطى ريثما يتحدثان..

بعد لحظات لحقت بها هاريت وفى قلبها خفقان وعلى وجهها ابتسامة.. قائلة:

– يا لها من فرصة..! قال إنها مجرد فرصة فهو لم يتخيل أن يلقانا.. ما أعجب أن نلقاه صدفه..! والآن يا مس وود هاوس ما رأيك فيه...؟ أتظنينه شخصا عاديا..؟

– إنه عادى جدا وبشكل ملحوظ، لكن تعوزه الرقه، ولم أتوقع أن يكون جلفا، وليس له أخلاق السادة..

قالت هاريت وفى صوتها غصة:

– حقا، إنه ليس كالسادة فى رقتهم...

– أحسبك يا هاريت، وقد اختلطت ببعض السادة فى بيتنا أنك تلاحظين الفرق الشاسع بينهم والمست مارتن...

ويدهشنى أن تختلطى به مرة أخرى، فهو من طبقه دنيا... ألم تشوى بهذا الآن..؟ ألم تندهشى..؟ إننى واثقه أنك تنفرين منه لقبح

مظهره وخشونه مسلكه وصوته الذى يخلو من كل رقه وعذوبه..!

– إنه بلا ريب لا يماثل المستر (نايتلى) يا مس وود هاوس، وليس له ملاحته ولا طريقه سيره، لكنه ظريف.. ولا يجدر بنا أن نقارنه بالمستر (نايتلى)...

– وما رأيك فى المستر (وستون)..؟ والمستر (ألتون).؟. عليك أن تعقدى مقارنه بينهما والمستر (مارتن)....

– هناك فارق عظيم بالطبع.. لكن المستر (وستون) أوشك أن يكون عجوزا.. إنه بين الأربعين والخمسين...

– لكن ذلك ما يجعله يزداد تهذيبا ورقه..! تصورى كيف يكون المستر مارتن فى الاربعين وهو بهذه الرعونه والجلافة.!

قالت هاريت وهى واجمة:

– ليس عندى ما أقول..

– بالطبع سيصبح فلاحا جلفا رث المظهر ولا يفكر فى غير المكسب والخسارة...!

– ما أبشع هذا..!

– إنه مشغول بالسوق عن كل شئ.. وهو يسعى خلف المال.. وما شأنه بالكتب..؟ لكن علينا من جهله أو جلافته..

– آه... إنه لم يتحدث عن الكتب..!

– إننى لا أظن أن هناك ضررا على أى شاب إذا ما لتخذ من شاب مرح بشوش ورقيق وخدوم، ويلفت نظرى منه أنه الآن أكثر ظروفا

ورقه.. لقد تحدث عنك بالأمس بالكثير من المديح...!

تضرج وجه هاريت بالحمرة.. وابتسمت قائلة لنفسها:

(إنها تحسب (المستر ألتون) ظريفا على الدوام..!)

إن إما ترسم الحظه لتنحى المستر مارتن بعيدا عن فكر هاريت ليحل المستر (ألتون) محله...!

إن مكانة ألتون لا تشوبها شائبة، فهو سيد حقيقى ومن أسرة لا اعتراض لها على من هى مثل هاريت تحيط الظنون بمولدها، له منزل فيه كل اسباب الراحة وله دخل كاف. من أملاكه الخاصة، وهو شاب طيب، رفيع القدر، ولديه إطلاع والسع ومعرفه بشئون الدنيا وبما يعود عليه بالنفع..

تصورت إما أن الفتاه التى يعجبها (روبرت مارتن) وهو يجوب القريه بجواد ليجلب لها ثمار الجوز يسهل غزو قلبها ببعض عبارات الإعجاب التى يرددها (المستر ألتون)..!

صداقـــــة

قال (المستر نايتلى) لمسز (وستون):

– لست أدرى يا مسـز وسـتون رايك فى الصداقه المتينه بين إما وهاريت سميث، لكننى أحسبها غير مستحبه..

– غير مستحبه...؟ لماذا؟

– لا أحسب أن فائدة ترجى من أيهما للأخرى..

– أنت تدهشنى، فـإمـا لا بد أن تفـيـد هاريت، وكـذلك قـد أمـرت هاريت بشئ ذى نفع.. إننى أراقب صداقتهما المتينه بنفس مسرورة، فما أبعد البون بين شعورينا..! كيف لا تحسب أن فى صداقتهما منفعه..؟ بلا ريب هذا بدايه جدالنا من أجل إما يا مستر نايتلى...

– أتظنين أننى جئت لأجادلك بمجرد أن خرج المستر وستون، وأنك ستخوضين معركه الجدال بنفسك؟

– آه لو كان هنا لنا صرنى، فرأيه كرأيى، لقد تحدثنا عن هذا بالأمس، واتفقنا على أنه من حسن حظ إما ان وجدت مثل هذه الفتاه فى هايبرى لتكون رفيقه لها طيبة. إننى أفتقد فيك يا مستر نايتلى القاضى العدل..

لقد اعتدت على حياه العزله حتى لا تدرى قيمه الصديق. إننى لا

أتصور عله لا عتراضك على المس هاريت سميث، فما دامت إما تريد أن تكون صديقتها أكثر ثقافه ومعرفه بشئون الحياة فإن هذا سيحملها على المزيد من القراءة بنفسها، وستقرآن معا، وأنا أعلم أن هذا هو قصدها..

– بل، إن إما منذ كانت فى سن الثانيه عشرة وهى تحب كثرة الإطلاع، ولقد أعدت عدة قوائم للكتب التى تنوى قراءتها.. وأذكر أن آخر قائمه أعدتها وهى لم تتجاوز الرابعه عشرة بعد، وهى تدل على صواب حكمها على الأشياء، والقائمه عندى للآن –لكننى لا انتظر منها أن تكون راغبه فى الاطلاع على الدوام– وانا واثق أن هاريت لن تفلح فيما أخفقت فيه المس تيلور.

أجابته المسز وستون وعلى وجهها ابتسامة:

– حقا، هذا ما ظننته لكن منذ افترقنا لا اذكر أنها عن شئ كنت أريده..

– لقد افسد إما أنها كانت أذكى فرد فى أسرتها، وفى سن العاشرة كانت قادره على إجابة أسئله كانت إيزابيلا عاجزة فيها وهى فى السابعه عشرة.

ومنذ أن بلغت إما الثانيه عشرة حتى أصبحت ربة البيت، ولقد ورثت عن أمها ما كان لها من مواهب..

– يسوءنى يا مستر ناتيلى منك أننى كنت فى حاجه إلى تزكيه منك لو تركت خدمه آل وود هاوس ورغبت فى العمل عند أسره أخرى فأغلب الظن أنك ما كنت تقول فى حقى كلمه طيبة...

مبتسما قال:

– اجل، ومكانك هنا أفضل.. فـأنت تصلحين لأن تكونى زوجـه لا مربية... ولقد تعلمت من إما دروسا قيمه عن أهم ما تتطلبه الحياه الزوجية وذلك هو انضباط النفس والتحكم فيها وأداء ما يطلب منك.. ولو أن وستون استشارنى فيمن أختارها زوجه له لرشحت له المس تيلور..

– شكرا، فلا فضل لى فى كونى زوجه للمستر وستون.!

– ولماذا..؟ قد يشعر وستون بالضيق من فرط ما اعتاده من المتعة والراحه.. كما قد يورق ابنه باله..

– لا يا مستر نايتلى، لا تتنبأ بمتاعب من هذه الناحية.

– لست أتنبأ بشئ بل أذكر ما يحتمل حدوثه... ولا داعى لنفى ما تمتلكه المس إما من قوة فى التنبؤ أو الحدس... لكننى بالنسبه لها ريت سميث لم أنته من نصف ما أردت أن أقول عنها، فهى كما أظن أسوأ من تتخذها إما رفيقه لها... فهى جاهلة وتتملق إما وتكيل لها المديح وفى هذا الطامة الكبرى...

بل إن هاريت نفسها لن تفيد من الصحبه شيئا، وستزهد فى أى مكان سوى بيت هارتفيلد، لأنها أماكن ليس فيها من التهذيب والرقه ما للبيت الكبير...

– إننى أخالفك الرأى، فأنا أساند هذه الصداقة بين الإثنين، ولقد بدت على أروع صورة فى الليلة الماضية.

- أجل، أراك تؤثرين أن تتكلمى عن شخصيتها ولا تتكلمى عن عقليتها، ولن احاول إنكار ان إما ظريفه وجذابة...

- ظريفه وجذابه...؟ يجدر بك أن تقول إنها جميله، وهل فى قدرتك أن تتصور شيئا أقرب إلى الجمال الرائع من إما فى وجهها وقوامها.؟

- لا أدرى، لكننى اعترف بأنه من النادر أن أسعدنى الحظ برؤيه اجمل من وجهها المشرق وبشرتها البديعه.!

- ما أجمل عينيها..! العسليتان الصافيتان وما اروع بريقها..!

- لا أجد فيها عيب ولا نقصا، وأحب أن أتأملها، بل انها تبدو وكأن جمالها الرائع لا يشغل من تفكيرها إلا حيزا ضئيلا.... ومع ذلك فإننى لا أكره هاريت

- أما أنا يا مستر نايتلى فاثق بأن الصداقه لن تلحق بهما ضررا، فإما مخلوقه رائعه.... لها من الصفات ما لايمكن التشكيك فيها... ولو أنها أخطأت مرة فإنها تصيب مائه مره...

- حسنا، لن أضايقك أكثر من هذا، فإما ستظل ملاكا وساحتفظ براى إلى أعياد الميلاد حين يصل جون وإيزابيلا... جون يحب إما على أساس العقل، وايزابيلا توافقه تماما.. وأنا على ثقه أنهما سيشاركانى الرأى..

- أنا عارفه أنكم جميعا تحبونها حبا يحول بينكم وظلمها أو القسوه عليها، لكن عذرا يا مستر نايتلى عن سمحت لنفسى بأن أشير إلى ان صداقه هاريت سميث لنيصيبكم من الجدال حولها فائدة تذكر....

صاح قائلا:

– عفوا، بل إننى لمدين لك بهذه النصيحة الغاليه وسآخذيها هذه المرة..

– المسز جون نايتلى سريعة الذعر وقد لا تسرها حالة أختها...!

– كونى مطمئنة فلن أثير الذعر فإما تهمنى ولها على الإخلاص، وإيزابيلا كزوجه أخ أقرب منها إلى... إن مشاعر الإنسان نحو إما فيها قلق عليها وحب استطلاع فيما يتصل بها..

– وأنا أيضا أشعر بما تشعر به..

– إنها دائما تعلن أنها لن تتزوج، وبودى لو أراها واقعه فى شراك الحب، ثم يساورها الشك من أن حبيبها لا يبادلها الحب...

قالت المسز وستون:

– يبدو أنه ليس هناك الآن شئ يغريها على الرجوع عما قررته فى الوقت الحاضر، وأنا لا أشير بزواج إما الآن.

تعمدت إخفاء ما فى ذهنها وذهن زوجها المستر وستون حول الموضوع.

وسألها:

– ما رأيك فى الطقس..؟ هل سيكون مطيرا؟

وكان هذا إيذانا بأنه لن يضيف على ما قاله حرفا..!

لوحـــــة

لم يخامر (إما) شك فى كونها نجحت فى توجيه (هاريت) على خير وجه..

وأنها قد أشعلت ما بها من زهو حتى بدا لكل عين.

وجدتها الآن أكثر إدراكا لميزات المستر (ألتون) وصفاته الرائعه. لقد تاكدت أنهـا زرعت مـحبتـه فى قلب (هاريت)، كمـا تاكدت من أن (المستر ألتون) قارب الوقوع فى هوى (هاريت) إن لم يكن قد وقع فيه بالفعل..

كان يتحدث عن هاريت كثيرا ويمتدحها بكل حرارة حتى ظنت أنها لن تلبث أمنيه إما أن تتحقق؛ فقد لاحظ الشاب أن هاريت تتقدم على نحو عجيب فى سلوكها منذ اتصالها بهارتفيلد.

قال لها مرة:

– لقد وهبت للمس هاريت كل ما ينقصها، رشاقه ومحبوبة، حقا كانت جميله لكنك أعطيتها الجاذبية أكثر مما حبتها بها الطبيعه...

– يسرنى أنك تعتقد أننى أديت لها خدمة نافعه، على أن هاريت لم يكن ينقصها سوى إخراج ما بداخلها وتزويدها بملاحظات يسيرة. كانت حلوه الشمائل بالطبيعه، وجميله بالسجية، وما أديت إليها إلا القليل...

هنا قال المستر ألتون:

– لو أنه مسموح لى بمعارضه النساء....

– وربما زودتها باليسير من قوة الحكم على الأشياء.. ودفعتها للتفكير فى أمور مستجده.

– تماما، وهذا ما أثار دهشتى على نحو خاص..

– هذا يسرنى كثيرا، ولم التق فى حياتى بشخصيه تماثلها صدقا وقربا إلى نفسى..

– لا ريب فى أن ما تقولين رائع....

كان يتحدث بلوعة تنم عن مظاهر الحب الكثيرة..... لقد قوى رغبتها فى أن ترسم صورة لهاريت...

لقد قالت لهاريت قبل قليل وكانت معها:

– هل رسمت لك لوحة ذات يوم، وهل جلست إلى فنان ليرسم لك صورة.؟

– لا يا عزيزتى، أبدا...

وما كادت تذهب حتى صاحت إما:

– ما اروع أن تقتنى لها صورة جميله..! لن أضن بالمال من أجل الصورة، وسأرسمها بنفسى، فأنت لا تعرف اننى أحب الرسم.. ومنذ عامين أو ثلاثة أولعت بالتصوير، وحاولت تصوير للكثير من أصدقائى.. وإذا رغبت هاريت فى الجلوس لأصورها فسأفعل..!

صاح:

– إنني أرجوك أن ترسمي لها هذه الصورة، ففيها متعه وأى متعه..! أرجوك يا مس وود هاوس أن تستغلى موهبتك الجميله من أجلها. إنى أعرف لوحاتك وهل أجهل قدرها؟ أليست الحجره التى نجلس فيها زاخرة بلوحات للمناظر الطبيعيه والأزهار من عملك.؟. هل يوجد لدى (المسز وستون) لوحات للأشخاص فى حجره الجلوس براندولز لا يمكن تقليدها..؟

فكرت إما ثم قالت:

– أجل يا عزيزتى...! لكن ما علاقته هذا برسم صور طبق لأصل من الأشخاص...؟ إنك تجهل كل شئ عن الرسم.. لا تدعى بأنك مشغوف برسمى، وخى لك أن تحتفظ بسرورك لهاريت.

لكننى شاكره على حسن ظنك بى.. إن المشكله تتمثل فى أن ملامح هاريت بالغه الدقة مما يجعل تصويرها صعب، كما أن لها عينين لها مميزات خاصة، وحول فمها خطوط لا بد من ملاحظتها...

– هذا صحيح... ولا شك أنك ستتغلبين على ذلك، فأرجوك حاولى وارسمى لها صورة فينتج الآن... إن هذا سيكون شيئا جميلا يحرص الإنسان على اقتنائه...

– لكننى أخشى يا مستر ألتون ألا توافق هاريت على الجلوس لأرسمها، فهى لا تعب بجمالها... ولا بأن تكون لها صورة..

– لقد لا حظت هذا... لكننى أستبعد أن ترفض طلبك بأن ترسميها...

عادت هاريت بعد قليل وعرضت عليها إما الفكرهن فاستجابت.. ودت إما أن تبدو فى الخال، فأحضرت حقيبتها الصغيرة التى تزخر بصور لم تتمها ليختاروا منها حجم الصوره التى تلائم هاريت...

كان كل رسم من رسولها جديرا بالإعجاب.. فأسلوبها ينبض بالحياة، وكان سرور رفيقيها كبيرا... أجل، غلبهما السرور....

قالت إما:

– ليست هناك صور أخرى لكى أعرضها عليكما؛ فلم يكن أمامى غير أفراد الأسرة. هذه صورة لأبى ولم أتمكن من تصويره إلا خلسة لأن مجرد تفكيره بأنه سوف يجلس للتصوير كان يثير أعصابه..

وهذه صورة للمسز وستون وصورت ثانيه وثالثه لها.. إنها أجمل من صادفت وكانت لا تمانع فى الجلوس لأرسمها.. وهذه صورة أختى، وهى تشبهها بقوامها الصغير الرشيق، وجهها يشبه وجهها.. وكانت تتعجلنى لأرسم أطفالها الأربعه.. وها هى محاولاتى لرسم ثلاثه من أطفالها، هذى وجون وبيلا... والصور الثلاث متشابهة، فالام تلح فى تصويرهم ولم أقو على رفض طلبها.. وأنتما تعرفان أن الأطفال فى سن الثالثه أو الرابعه يصعب أن يكفوا عن الحركة..

هذه صورة كروكيه للرابع وهو رضيع وهو نائم فوق الأريكه وهو بالشريط المحيط بقبعته.. لقد نام ووضع راسه فى أنسب وضع.. إنى فخوره جدا بجورج الصغير..

ثم استخرجت صوره كروكيه لرجل حجم كامل قائله:

– وهذا جون زوج أختى.... لم يكن ينقصها سوى القليل لتكمل

لكننى كنت غاضبه فنحيتها جانبا.. وآليت على نفسى ألا أعود إلى الرسم ما حييت.... لقد قابلتها عزيزتى إيزابيلا بفتور قائله:

– اجل، فيها بعض الشبه منه، لكنها فى الواقع ظلمته كثيرا..!

لقد عانيت كثيرا لأقنعه بالجلوس لأرسمه وظن جون أن ذلك منه منه وتفضيل، ولم أطق الأمر ونجيتها جانبا وعاهدت نفسى أن أدع التصوير للأبد... لكن من أجل هاريت ومن أجلى أنا نفسى، ولأن المسألة ليست مسألة أزواج وزوجات ألتون، فقد أعجبته الفكرة:

– إنه الأمر كما ترين وكما قلت، لا أزواج ولا زوجات..

فكرت إما ان تتركهما فى الحال، لكنها كانت راغبه فى البدء فى الرسم.. إنها تفكر فى جعلها بالحجم الطبيعى وبالألوان مثل صورة جون نايتلى....

جلست هاريت باسمة وقد احمر وجهها خجلا....

لكن إما لن ترسم والمستر ألتون يقف خلفها يراقبها... فرجته أن لا يقف حيث هو ثم خطر لها أن تشغله بالقراءة فقالت:

– هل تسمح بأن تقرأ لنا شيئا فتخفف عن ما ألا قيه من صعوبة فى العمل وتقلل ما تشوبه المس سميث من حرج..؟

سره ذلك كثيرا، وهاريت تنصت فى هدوء بينما ترسمها إما.. لكن كلما توقف القلم الرصاص فى يد إما اندفع ألتون لينظر إلى ما أتمت إنجازه بيدى اغتباطه..

كانت الجلسة رائعة، وسرها ما تم خلالها من رسم تخطيطى فى

اليوم الأول فرغبت فى الاستمرار..

كان اليوم التالى موعد جلوس هاريت للمرة الثانية، واستأذن المستر ألتون إما أن تسمح له بالحضور.. فقالت:

– بكل تأكيد وغنه ليسعدنا كثيرا أن تكون فى مجموعتنا..

وكما حدث بالامس تمت الترحيبات والتحيات وصادفهم النجاح، ولقد كملت الصورة فى زمن قصير وفى جو من السعادة، ولقد امتدحها كل من شهدها ودافع عنها ضد النقد..

قالت له المسز وستون:

– إن المس وود هاوس أضفت على صاحتها ما ينقصها من جمال، وتعبيرات العين سليمة تماما، لكن لنيس تلمس سميث هذان الحاجبان ولا تلك الأهداب...

قال لها:

– أهكذا تظنين..؟ إننى لست من رأيك، فالصورة تشبهها تمام المشابهه فى كل التفاصيل، وإننى ما رأيت فى حياتى تشابها هكذا، ثم لا نغفل أثر الظلال..

قال المستر نايتلى:

– لكنك يا إما جعلتها أطول من اللازم..!

وعقب المستر ألتون بقول فى حماس:

– لا، لا، بالمرة... اؤكد أن هذا هو عين طولها، كما لا تنسى أنها جالسة.. كما أنه لا بد من مراعاة النسب والتناسب، تناسب الأبعاد

ودقه الخطوط لتبدو والصورة مطابقة للحقيقه... لا... إنها توحى بالطول الحقيقى للمس سميث بلا ريب..

قال المستر وود هاوس:

– إنهـا بالفـعل صـورة بديعـه، لقـد أحـسنت الرسم يا عـزيزتى كـالعـادة.. ولا أدرى أحـدا يجـاريك فى هذا الشـأن، والشئ الذى لا يريحنى فى الصورة أنها تظهر صاحبتها كمن تجلس فى العراء ولا يغطى كتفيها سوى وشاح صغير... وأظنها ستصاب بالبرد..

– لكن يا أبى نحن فى فـصل الصـيف، واليـوم دافئ.. انظر إلى الشجرة..

– لكن الجلوس فى العراء غير مأمون يا عزيزتى...

صاح المستر ألتون:

– لك أن تقول ما تشاء يا سيدى لكن لا بد أن أعترف بأننى أجدها فكرة رائعه، فكره وضع المس سميث فى العراء.. وتلك الشجره تنطق بحيوية لا سبيل إلى تقليدها.. ولو أن الوضع اختلف لنجست قيمتها، ما أجمل البراعة التى تشع من المس سميث فى الصورة...! إننى لا أمل النظر إليها، ولم أر فى حياتى صورة مثلها...

ثم تحدثوا عن إطار الصوره، وظهرت بعض الصعوبات؛ فلا بد من صفه على الفور وفى لندن وبيد شخص حسن الذوق يعتمد عليه..

لكن إيزابيلا التى يوكل إليها القيام بهذه الأمور يجب اجتنابها لأن المستر وود هاوس لن يرضى بان يسمح بأنها خرجت من بيتها فى هذا

الشهر (ديسمبر) وفى هذا الضباب الكثيف...

هنا قال المستر ألتون:

– سيكون سرورى كبيرا بأن أقوم بالمهمة.. ففى وسعى الركوب إلى لندن فى أى وقت، ومن الصعب أن يعبر عن سعادته لتكليفه بهذه المهمة...

قالت إما:

– ما أكرمك..! لكننى لا أستطيع السماح لك بهذا...

لكنه ألح كثيرا، وفى النهايه توصلوا إلى حل.....

لقد اتفقوا على أن يذهب المستر ألتون بالصورة إلى لندن ليختار لها الإطار المناسب ويصدر التعليمات اللازمة... كما رأت إما أن بقدورها أن تضع الصوره فى كساء لتضمن سلامتها..

فقال:

– يا لها من وديعه غاليه...!

وتنهد طويلا... فقالت غما لنفسها:

(هذا الرجل له من الشهامه ما يؤهله للحب، وهو رجل ممتاز وشاب ومناسب لهاريت كل المناسبه.. لكنه يبذل من ذات نفسه ليكيل لها عبارات المديح بأكثر ما تقتضيه مبادئى، ولكن ما العمل.؟... فهذا شعوره الحقيقى نحو هاريت...!)

رسالة حب

فى نفس اليوم الذى ذهب فيه المستر يلتون إلى لندن حدث ظرف صعب تطلب من إما أداء خدمة لصديقتها... فقد عادت هاريت من بيتها مبكرة ومظهرها يدل على الاضطراب مما يوحى بأن شيئا غير عادى قد وقع لها... وأنها تود الإفضاء به... وسرعان ما ظهرت جليه الأمر..

فحين عادت إلى بيت المسز جودارد علمت أن المستر مارتن سبقها إلى هناك بساعة وترك لها طردا مرسلا من إحدى شقيقاته فيه أغنيتين كانت أعادتهما لها وخطابا منه يطلب فيه يدها..

يا إلهى... من كان يظن هذا...؟ لقد ذهلت ولم تدر ما تفعل... إنها خطبه صريحه... فى خطاب رائع مكتوب بأسلوب ينم عن حب جارف... وجاءت بأقصى سرعة لتسأل المس وود هاوس عما تفعله....

صاحت فيها إما باستنكار:

– أنا واثقه أنه قد عزم على ألا يفقد شيئا لأنه لم يطلبه، وانه سيوطد صلته إن أمكن

صاحت هاريت:

– أتسمحين بقراءة الخطاب.؟ أرجوك أن تقرئيه بنفسك...

قرأت إما الخطاب واندهشت؛ فقد كان الأسلوب أروع م[illegible]توقع، ولغته رغم بساطتها متينة بلا تكلف، وعباراته الغراميه خير ش[illegible] على

قدره كاتبها. الرسالة موجزه تدل على سلامة التفكير والمحبه والرزانة ورقه الشعور..

سألتها هاريت:

– أهو مقبول كخطاب أم موجز للغاية؟

– لا شك أنه فى غايه الجمال، ومن فرط جودته أننى اشك بأن إحدى شقيقاته عاونت فى كتابته.. فيصعب أن أتخيل أن الشاب الذى كان يحدثك بالأمس قادر على التعبير بهذه القدره المدهشة.. لكن الأسلوب ليس لسيدة، فهو محكم ومتين وعبارته مركزة... إنه بلا شك رجل مفكر، وربما كان ذكيا بالفطرة..

وناولتها الخطاب قائلة:

– إنه يا هاريت أجمل مما توقعت..

– أجل، أجل، وماذا أفعل..؟

– ماذا تعنين.؟ بالخطاب..؟

– نعم..

– لكن لم التردد..؟ عليك بسرعة الرد ولا تكسلى..!

– أجل، ماذا أقول له..؟ إنصحينى يا مس وود هاوس يا عزيزتى..

– لا، لا، هذا شأنك أنت.. وأظنك قادره على التعبير عما فى نفسك.. فلا تخافى... ويجب أن يكون المعنى قاطعا بلا لبس أو حياء... وكل تعبير سيأتيك طواعيه... فإياك أن تسمحى للشعور الجميل أو العطف أن يكتسحك...

- إذن تعنين..؟ وهل أنت فى شك من هذا..؟

ربما أخطأت فهمك، وكنت أظنك تريدين استشارتى فى صوغ العبارة للرد..

لم تجب هاريت.. واصلت إما حديثها:

- هل افهم أنك ستوافقين...؟ .

- لا، لا أعنى هذا.. لكن يا إلهى ماذا أفعل؟ بماذا تنصحيننى.؟.

أرجوك يا مس وود هاوس أن تخبرينى بما يجب أن أفعله..

- لن أسرى لك أيه نصيحه يا هاريت.. ولا دخل لى، والأمر منزوك لك..

قالت هاريت وهى تنظر فى الخطاب:

- كنت أفكر بأنه يهوانى كثيرا..

- إن المرأة إذا ترددت عليها أن ترفض.. وإذا كانت مترددة فى أن تقول نعم وَجب عليها أن تقول لا فى الحال.. فهى مسألة غير مأمونه العاقبه.. ومن واجبى أن أقول لك هذا لأننى صديقتك وأكبر منك سنا... لكن لا تظنى أنى أريد التأثير عليك..

- بالقطع لا.. وأنا على يقين بأن لك من الأخلاق ما يمنعك لكن يا ليتك تنصحيننى بما على فعله... لا.. لا.. لا أقصد هذا، وكما تقولين، لابد للإنسان من رأى قاطع.. فهل تعتقدين أنه لا بد لى من قول لا.؟.

قالت إما بابتسامة عذبة:

– لا نصيحة.. والرأى رأيك.. لو فضلت المستر مارتن على الناس جميعا وترينه قريبا إلى قلبك فلماذا التردد..؟ خبريني بما تفكرين فى هذه اللحظه...

ظهر على هاريت الارتباك واتجهت إلى المدفأة ووقفت إلى جوارها تفكر والخطاب لم يزل فى يدها..

راحت إما تنتظر فى قلق والأمل يداعبها.. أخيرا قالت هاريت فى شئ من التردد:

– بما أنك يا مس وود هاوس امتنعت عن ابداء رأيى، ولا بد لى من ان أقرر بنفسى على قدر ما أستطيع، فغنني قررت رفض المستر مارتن، فهل هذا الصواب ..؟

– الصواب بعينه.. وأنت يا عزيزتى هاريت فعلت ما كان يجب عليك فعله... لقد احتفظت برأيى لنفسى وأنت متردده.. أما الآن فلن أتردد فى الموافقه على رأيك، وقرارك يدخل الفرحة على قلبى، فقد كنت سأفقد صديقه عزيزه على، لأننى لن أزور المستر روبرت مارتن فى مزرعته المجاورة للرهبنة الآن هدأت نفسى من جهتك..

قالت هاريت فى فزع:

– وهل كنت تكفين عن زيارتى..؟ لا، أؤكد لك انك ما كنت ستفعلين...! آه، ما أفظع هذا..! وما أجمل أننا نجونا من احتمال وقوعه...! إننى لا أضحى بصداقتك مقابل أى شئ فى الوجود.!

– أجل يا هاريت كنت سأشعر بالم شديد لو حرمت من صداقتك، لكنه أمر لابد منه.. وكنت لو تزوجت الشاب ستحرمين من صحبه عليه

القوم.... ولم يكن مناص من مقاطعتي لك..!

– عجبا...! وكيف لي باحتمال هذا..؟ لو انني منعت من الحضور إلى هارتفيلد لكان في ذلك هلاكي..!

– يا عزيزتي... عجيب أن ينعزل من هم مثلك في قريته..! إنك هناك كنت في صحبة السذج والجهلاء... طيله الحياة.. وإنني لأعجب كيف وجد الشاب الجرأة على طلب يدك..!

– لست أظنه مغرورا بل كريم الخلق، وأشعر أنني مدينه له بالشكر، كما أحترمه، لكن هذا شئ آخر.. وإن كان يحبني فإن ذلك لا يعني أن احبه.. ومع ذلك أعتقد أنه شاب ظريف للغاية، وإنني لأقدره وأقدر تعلقه بي.. لكن أن أتركك شئ لن أفعله مهما كانت الأسباب..

– شكرا صديقتي الحلوة الصغيرة، لن نفترق ما حيينا، وليس على الفتاة أن تتزوج لمجرد أن رجلا طلبها أو احبها أو لأنه استطاع كتابه رسالة بديعه...

– لا بالتاكيد، ثم أنها لا تزيد عن رسالة موجزه..

– حقا ما تقولين.. لكن ما تعرفه المرأة عن زوجها من قدرة على كتابه خطاب جميل هو عزاء يسير عما يلحقها من حرج لشعورها في كل ساعة بسذاجته...

– أجل، هذا صحيح بلا ريب، المهم أن يسعد الإنسان باصدقاء تسره صحبتهم.. لقد نويت رفضه، لكن ماذا أقول؟.

نصحتها إما بكتابه الرد على الرسالة في الحال.. وساعدتها على

صياغة الرد فى عبارات قاطعة.! كان يزعها أنها ستخرنه، وأن تفكر فيما ستقوله أمه واخواته عنها.؟. ألا يذهب بهن الظن إلى جحودها ونكرانها للجميل..؟

انتهت أخيرا من كتابه الرسالة ووضعته فى مظروف ثم أرسلته وانتهى الأمر...

قالت فى عبارة حزينه:

– سوف لا أذهب إلى هناك مرة أخرى...

– حتى لو انهم وجهوا إليك الدعوة فلن أحمل فراقك يا هاريت؛ فقد أصبح وجودك فى هارتفيلد ضروريا لى...

– ومن ناحيتى لن أذهب، فسعادتى هنا فى هارتفيلد.. آه.. أظن أن المسز جودارد ستندهش لما حدث.. فهى تظن أختها متزوجه برجل عظيم رغم زوجها بائع أقمشه..!

– الإنسان يا هاريت لا يجوز أن يتوقع من المدرسة طموحا ولا تهذيبا.. بل ستحسدك المس ناتش على هذه الفرصة التى سنحت لك للزواج من المستر مارتن.. كما سيبدو موضوع حب مارتن لك ذا قيمه عظيمه فى نظرها.. لأنها تجهل أنه ينتظرك مستقبل عظيم مع شخصية أخرى..

علت الحمرة وجه هاريت وابتسمت... لقد أشاع موضوع المستر ألتون السرور فى نفسها بلا ريب.. لكنها عاودت العطف على مارتن الذى رفضته قائله:

– آه، لقد وصلته رسالتى الآن، ترى ماذا يفعلون..؟ هل علمت أخواته..؟ إنهن سيصبن بالحزن لأجله. على أى حال أرجو ألا يحز هذا الموضوع فى نفسه كثيرا..!

صاحت إما:

– فلنفكر فى أصدقائنا الغائبين، فقد يكون المستر ألتون فى هذه اللحظه منشغلا بعرض صورتك على أمه وأخوته... وهو يقول إن الصل يفوق الصورة جمالا... ولا يبوح لمن باسمك الغالى إلا بعد ظان يلحفن عليه فى الرجاء لخمس مرات أو ست..

– صورتى أنا..؟ لكنه تركها فى شارع بوند..!

– أتظنين هذا...؟ لا ياهاريت، أيتها الصغيرة، إنه لا يدع صورتك فى شارع بوند إلا ليستعد للرحيل غدا... فهى نعم الرفيق له والسلوى والبهجة... ووسيلة ليفصح لأسرته عما ينويه..

– إنها وسيلة للتعارف بينك وبينهم، وهى التى ستشبع بينهم ألذ ما عرفته طبيعه الإنسان من مشاعر... وسوف يتلهفون على معرفة أخبارك ويكونون عنك فكرة بديعه...

ابتسمت هاريت مرة أخرى... واتسعت حدقتها.

خبر خطير

قضت هاريت ليلتها فى هارتفيلد، ولقد اعتادت منذ أسابيع على تمضية الشطر الأكبر من يومها هناك حتى خصصوا لها حجرة للنوم...

اضطرت هاريت فى الصباح التالى إلى الذهاب إلى مدرسة المسز جودارد لاستئذانها فى قضاء بضعه أيام فى هارتفيلد..

عاد المستر نايتلى إلى هارتفيلد وجلس مع المستر وود هاوس وإما ثم خرج الأب للنزهة..

قال المستر نايتلى:

– إن هاريت فتاه لطيفه، وإننى أقرر ما طبعت عليه من خلق، أما سلوكها فيتوقف على من تخالطهم، فإن أحسنت أنت رعايتها صارت سيده فاضلة...

– يسرنى أن هذا رأيك، وآمل ألا تبخل الأيدى الصالحة فى رعايتها..

– ها، أنت مشوقه إلى كلمه إطراء، وما دام الأمر كذلك فأقول لك إنك رفعت من شأنها وسلخت من لسانها التهتهة...

الحقيقة أنك جديره بالثناء من أجل ذلك..

– شكرا، ولكننى أشعر بأننى لم أحقق لها نفعا، والناس لا

يشكرون من يقوم بواجبه وأنت تفهم...

– تقولين إنك في انتظارها.؟.

– أجل، فستجئ بين لحظه واخرى.. لقد طالت غيبتها عما كانت تعتزم...

– ربما حدث لها حادث أو اخرها بعض الزائرين.. قد تختلف وجهه نظر هاريت عنك فيمن تحسبيهم أصل المتاعب..

تعلم إما أنه ما يقول غير الصواب ولذا لزمت الصمت...

فواصل يقول:

– لا أريد تحديد الزمان والمكان، لكنى أقول بأن لدى ما يعزز ثقتى بأن صديقتك الصغيره ستسمع خبرا فى صالحها قريبا..

– صحيح..؟ وما نوع الخبر..؟

– أؤكد لك أنه خبر خطير للغاية..

– خطيرا جدا..! لا أستطيع إلا أن أفكر فى شئ واحد.. من هو الذى يحبها والذى اختارك أمينا على سره..؟

كانت تعلم أن المستر ألتون يلجأ إليه ليستشيره...

– لدى ما يؤكد ظنى أن هاريت سيتقدم إليها عاجلا من يطلب يدها وهذا من المصدر نفسه، إنه روبرت مارتن،– ويبدو أن زيارتها لهم هناك حققت له هدفه، وهو مولع بها ويريد أن يتزوجها..

– إنه كريم النفس، لكن أهو واثق من أنها ستوافق على الزواج؟.

– أجل، أجل، سيطلب يدها .. فهل اكتفت..؟ لقد إستشارني في الأمر ويسألني إن كان تبكيره بالزواج ليس من الصواب أو أنها أصغر من أن تليق به، وباختصار إن كنت أوافقه، وكان يخشى أن يعتبرها الناس من وسط أرقى درجة من وسطه لأنك تهتمين بشئونها. لقد سرني هذا، ولم أجد من يماثله سدادا للرأي.. فهو يرمي في حديثه إلى هدف واضح، وهو صريح بلا التواء، وحكمه صائب على الأمور.. وقد صارحني بظروفه وخططه وما عزم على عمله بعد زواجه.. حقا إنه شاب ممتاز، ولم أتردد في نصحه بالزواج، فقد برهن لي على قدرته على تحمل مسئولياته وهو خير ما يفعله، كما امتدحت الفتاه الجميله فخرج من عندي قرير العين.. كان ذلك ليله امس الأول.. وهو لن يتوانى عن التحدث إليها في الأمر.. ومحتمل أنه سيذهب اليوم إلى بيت المسز جودارد... فلعله وجدها هناك واخرها.!

– قل بالله عليك كيف علمت بانه لم يتحدث بالأمس.؟

قال في دهشة:

– لا أجزم بهذا، لكن يمكن استنتاجه. ألم تكن معك طيله نهار أمس..؟

– هل أقصى لك بسر. لقد تكلم بلأمس.. أقصد كتب إليها ورفضت طلبه..

احمر وجه المستر نايتلي وبدا عليه الدهشه والاستياء. ونهض غاضبا يتمتم:

– هي مغرورة أكثر مما كنت أحسبها... ماذا تريد الحمقاء..؟

صاحت فيه:

ـ عجبا..!الرجل لا يمكنه إدراك أن المرأة قد ترفض عرضه، ويتخيل على الدوام أنها لا يمكن ترد من يتقدم إليها..

– هراء، فالرجل ليس هكذا، لكن ما معنى هذا.؟. هل ترفضه هاريت سميث.؟.. إن هذا جنون، وأرجو ألا يكون حقا..

– لقد قرأت ردها، وكان واضحا...

– عجبا..! رأيت الرد ام كتبته كذلك؟ إن هذا من تدبيرك يا إما.... وزينت لها رفضه..!

– وماذا لو فعلت..؟ المستر مارتن شاب مهذب للغاية، لكننى لا أعترف أنه لهاريت ويدهشنى انه وجد الجرأة على التقدم لها...

قال بصوت مرتفع جاد:

– ليس كفئا لها..! لا، إنه ليس كفئا لها حقا، فهو يفوقها عقلا ومنزلة. عواطفك الجامحه يا إما نحوها أعمتك، ثم ماذا لدى الفتاة...؟ إنها إبنه غير شرعيه، ولا يعلم احد والديها، ومؤكد أن اصلها وضيع، فهى مجرد مشرفه بمدرسة داخليه.. وهى جاهلة ولم تتعلم فى حياتها شيئا نافعا، ثم هى صغيره للغايه وساذجة، وليس محتملا أن تنفع بالتجارب فهى محدودة الذكاء..

ولم أكن أوافق على خطبتها إلا من أجله لأنها اقل مما يستحق وغير جديره بأن يرتبط بها.. لقد شعرت أنها هى الفائزة من الزواج، ولم يخالجنى شك فى أن هذا الزواج سوف يرضيك.. وأنه لن يحزنك ان

تغادرك من اجل هذا الزواج الموفق.. وقلت لنفسى (حتى إما سترى أن هذا الزواج طيب.!)

– لكننى مندهشة عندما أراك لا تعلم الكثير عنى... عجبا..! أتظن فلاحا كالمستر مارتن كفئا للزواج من أعز صديقاتى وأننى لن أحزن على فقدها من أجل الزواج برجل لا أسمح لنفسى بأن يكون من زوارى.؟.

– أؤكد لك أن شعورى ليس كما تظن، ولابد من القول بأنك لم تكن عادلا فى قولك.. أما هى فقد يكون المستر مارتن أغنى منها، لكنه يقل عنها مرتبه فى المجتمع.. وهى تعيش فى وسط أرفع من وسطه، وزواجها منه حط من شأنها وخفض لمذلتها..

– هل فى زواج جاهلة مثلها لا يعرف لها أصل بسيد ذكى مبجل يعمل مزارعا ما ينقص من قدرها.؟.

– إنها ليست مسئولة عن أخطاء غيرها، وما من شك فى أن أباها من سادة المجتمع فهو ينفق عليها بسخاء ولا يضن عليها بشئ... ولذلك فهى أرفع من مارتن وأعلى منه مكانة..

– مهما يكن من أمر والديها أو من تكفل بتربيتها فواضح أنهم لم يعدوها للاختلاط بالمجتمع الراقى.. فقد تركوها فى بيت المسز جودارد لتشق طريقها فى الحياة.. وغلى يوم وزميلاتها.. وكانت سعيده بين أسرة مارتن فى الصيف، ولم تكن تشعر بعلو المنزلة، فإذا شعرت بها الآن فانت السبب..

ولست بذلك صديقتها المخلصه، كما أن مارتن ما كان ليتقدم لها إن

لم يكن شعر بحبها له.. ثقى أنه قد وجد منها تشجيعا..

– إنك صديق المستر مارتن الجميم، ولكنك لم تكن عادلا فى الحكم على هاريت. إن لها من مؤهلات الزيجه الطيبة ما لايجوز الاستهانه به. هى ليست ذكيه، لكن إدراكها أحسن ممنا تتصور ، ثم هى لا تستحق الاستخفاف بتفكيرها... كما أنها لطيفه ووادعة وهذا يزكها لدى الناس جميعا.. وهى ستكون دائما موضع الإعجاب... يسعى إليها الرجال سعيا وسيختار من بين الكثيرين...

– أؤكد لك يا إما أن سماعى لك وأنت تسئين إلى تفكيرك على هذا النحو كاف ليجعلنى اعتقد بأن هذا هو تفكيرك، وأفضل ألا يكون لك عقل من أن تسىء التصرف فيه هكذا..

صاحت:

– كن على ثقه بأنى أعلم أن ها هو شعوركم جميعا... ولو أنك أردت الزواج لكانت أصلح زوجة لك. ايجوز أن تكون موضوع دهشه ولم تبلغ إلا السابعه عشرة ولم تسر غلا الخطوه الأولى فى الحياة، وقد بدأت تتعرف إلى الناس، إذا هى رفضت أول من يتقدم لزواجها..؟ لا، رجاء أتركوا لها فسحة من الوقت تتطلع لما حولها..

– كنت أنظر دائما إلى صداقتكما كسخف... وارى أن الصداقه ستكون وبالا على هاريت، فأنت تملأينها غرورا بجمالها وبمميزاتها وستقتنع هى بأن ما من رجل يستأهلها.. ومع ذلك فقد لا تنهال طلبات الزواج عليها سريعا فرغم أنها على درجه كبيرة من الظرف فإن الرجال العقلاء لا يحبون الارتباط بفتاه لا أصل لها ولا نسب.. خشيه مما

يلحقهم من عار.. وإذن فدورك ان تقنعيها بالزواج من روبرت مارتن وإلا اضطرت للانتظار طويلا فى بيت المسز جودارد.!

– إن الشقه كبيرة فى الرأى بيننا، ولذا يرجى فائدة من الجدال..

مستحيل ان أسمح بزواجها من مارتن، وقد رفضته تماما فلا رجوع فيه.. وعليها أن تتحمل التعبة... إن المستر مارتن كان أخا لصديقاتها وبذل جهدها لإرضائها، ولم تكن رأت من هو أفضل منه فلم تجد فيه ما ينفرها منه، لكن الوضع قد تغير الآن وأصبحت تميز من هم السادة.. ولن نرضى لنفسي إلا بسيد مثقف كريم الخصال..

صاح:

– هراء.! محصن هراء..! روبرت مارتن ممتاز بسلامة الفكر والإخلاص، وعقله لا تستطيع هاريت سميث أن تدركه..

لم تجبه إما. شعرت بالضيق وودت لو أنه استأذن بالانصراف. إنها لم تندم على ما فعلت.. لكنها كانت تكره ان تراه يجاهر بمعاضته لها فى موضوع يتعلق بحق المرأة...

قال:

– إن مارتن لو فكر لوجد أنه لن يخسر، أما أنت فأدرى الناس بآرائك عن هاريت، وأنا بصفتى صديقا لك ارى أنه يلزم أن أحيطك علما بأنه لو كان ألتون هو الرجل الذى تقصدينه فإن كل خططك ستضيع هباء...

ضحكت مستنكرة، فواصل يقول:

– إنه من خبره الرجال وراع محترم، لكنه لن يندفع إلى هذه الزيجه الخرقاء... وهو يحكم عقله فى جميع أعماله وهو يعلم انه فى مقتبل العمر وعلى جانب كبير من الوسامة.. ومحبوب حيث حل، وسمعته يتحدث عن أسرة فيها فتيات صديقات لأخواته، ولكل واحدة منهم عشرون ألف جنيه.

ضحكت للمرة الثانيه وقالت:

– أشكرك، ولو كان هدفى هو تزويجه من هاريت لكان لتحذير فى موضعه، لكننى أريد الاحتفاظ بها ريت معى، ولقد صرفت النظر عن الاشتغال لخاطبه...

قال:

– عم صباحا..

وانطلق مسرعا.. وهو يشعر بالغيظ والألم لأجل مارتن.. وزاده ألما أن إما كان لها يد فى هذا..

أما إما فكانت فى ضيق، لشكلها فى صحة آرائها فى مسألة الزواج..

زادها غياب هاريت قلقا وساورتها الظنون، فقد يقابلها مارتن فى بيت المزجودارد ويؤثر عليها.. وهنا تكون إما قد باءت بالفشل...

أقبلت هاريت أخيرا سعيدة فشعرت إما بالسرور..آه.. إما منزعجة لما قاله المستر نايتلى عن المستر ألتون، لكنها أيقنت أن ما قاله الرجل فى فورة غضبه خطأ؛ فقد فاته أن الحب قوة جباره لا تحفل بالفروق ولا

بالقيود، والمستر نايتلى لم يصادف مثل هذه العاطفة، وهو بطبيعة الحال لا يقدرها قدرها..

لكنها هى إما شاهدت وصادفت الكثير منها وسوف تتغلب على ما قد يقف فى سبيلها من تردد... وهى لا تظن أن للمستر ألتون بعد نظر يتعدى الحد المعقول..

تحدثت هاريت عن المستر ألتون. قالت لها المس ناش إن المستر (برى) كان عند المزجودارد يعود طفلة مريضة فأخبرها أنه التقى لأمس عند كيتون بارك بالمستر ألتون متجها إلى لندن.. وأنه أحتج عليه قائلا:

بأنه لا يليق به وهو أحسن من يلعب الورق أن يتغيب عن نادى لعب الورق، لكن المستر ألتون أخبره بأن ذاهب فى مهمة لا يمكن تأجيلها وأنه يحمل معه شيئا نفيسا..

تأكد المستر برى أن فى الأمر سيدة.. وصارحه بذلك فابتسم المستر ألتون ولم يعقب وواصل السير على صهوة جواده فى غاية الحيوية..

أخبرتها المس ناش بذلك وتحدثت كثيرا عن المستر ألتون.. ثم قالت وهى تنظر إليها نظرة ذات مغزى: إننى لا أدعى أننى فهمت ما نوع مهمته، لكننى أعلم بأن السيدة التى يفضلها المستر ألتون لهما أسعد نساء العالم، فليس من شك بأنه لا يوجد جد من يماثله جمالا وظرفا..!

إستياء من المحبوب

بلغ استياء نايتلى من إما حدا أطال غيبته عن هارتفيلد على غير عادته، وحين التقيا دلها بنظراته الغاضبه على سخطه عليها فحزنت لكنها لم تندم على فعلتها، بل إن تطورات الأمور فى الأيام الأخيرة القليله غلى سلامة حكمها على الأمور مما زادها غرورا...

لقد وصلت الصورة فى إطارها الجميل عقب عودة المستر ألتون، وما كادوا يثبتونها فوق رف حجره الجلوس حتى وقف المستر ألتون ليتأملها وعبارات الإعجاب تتدافع من بين شفتيه فى همسات خافته، أما هاريت مشاعرها اجتمعت إما بذلك لأن المستر مارتن بهتت صورته فى نفس هاريت..

لم تكن آراء إما فى تثقيف صديقتها الصغيره إلا فى مرحلتها الأولى، وكان الحديث ايسر من الدراسة والمطالعة، وكان يلذلها أن تسبح بخيالها مداركها أو تبصرها بالحقائق الثابته...

كان طريقه هاريت الوحيده إلى ممارسة الأدب وتزويدها بالثقافه هى جمع كل أنواع الألغاز التى تصادفها.. فى مجلد صغير صنعته لها إما وملأته بالورق وزينته بالرموز الدالة على الانتصار فى الصيد والمباريات...

كان جمع الألغاز شائعاً فى ذلك العصر، ولقد جمعت منها المس

ناش المدرسة الأولى بمدرسة المسز جودارد ما لايقل عن الثلاثمائه لغزا في مجلدلها..

شارك المستر وود هاوس الفتاتين في اهتمامها بالألغاز وتحدث في الأمر إلى صديقه برى، لكن برى لم يتذكر شيئا من الألغاز؛ فقد كان كثير التنقل..

كان من رأى إما الاستغناء عن أهل (هايبرى) في جمع الألغاز إلا المستر ألتون، فرجته أن يسهم بأى شئ يتذكره من الألغاز وسرها أن اجتهد في هذا السبيل، ولقد زودهما بثلاثه ألغاز... وقالت له:

- لكن، لماذا لا تكتب لنا شيئا من عندك يا مستر ألتون؟ هذا ضمان لصدقه وهذا سهل عليك..

فاعتذر:

- لم يسبق لى كتابه شئ من ذلك، وأخشى ألا تكون المس وود هاوس والمس سميث قادر على إلهامه..

وفي اليوم التالى فكمث قليلا ثم ترك قصاصة من الورق فوق المنضده وبها ألغاز من أحد أصدقائه يعجب بها...

وقال:

- وأنا لا أقدمها لتكون ضمن التى تجمعها المس سميث، ولكن يروقنى أن تنظرى إليها..

كان يبدو عليه اضطراب شديد... ثم سكت برهة وانصرف..

قالت إما لهاريت وهى تبتسم وتدفع إليها بالورقة:

– خذيها، فهى لك....

لكن هاريت اضطربت، فقرات إما الورقه وإذا فيها:

(إلى الآنسة.....)

ولم يحدد الشخصيه... فناولتها لهاريت وجلست تبتسم وتقول لنفسها (جميل جدا يا مستر ألتون، ولغزك بلا غموض فمعناه خطب ود الحبيب) كما لو كنت تريد أن تقول لهاريت: اسمحى لى يا مس سميث أن أطلب يدك.!)

سألتها هاريت:

– ماذا يمكن أن يكون حل اللغز يا مس وود هاوس.؟. وعلام يدل.؟ ليس لدى فكرة وليس فى إمكانى أن أحله..؟ حاولى أنت يا مس وود هاوس أن تعرفيه، ساعدينى...

إننى لا أفهم ماذا يعنى بالصديق ولا بالفتاة، وهل تحسبينها طيبه..؟ وهل هى سيدة؟

ثم ما يقصد بكلمه الكوكب نبتون...؟ هل يقصد الحربة ذات الثلاث شعب.؟ هل هى عروس البحر أم سمك القرش؟

عجبا يا مس وود هاوس، هل تظنين أننا سنجد الحل؟

– ما هذا الهراء...؟ بماذا تفكرين يا عزيزتى هاريت..؟ وما الفائدة التى سيجنيها من الإتيان إلينا بلغز كتبه صديقه عن عروس البحر أو سمكه القرش؟.. هاتى الورقه وأنصتى:

إن اللغز مكون من كلمه من مقطعين: كورت وشيب ومعنى الأول

بلاط الملك ومعنى الثانى السفينة... هيا اعكسى الآية... ولن تجدى مشقه في ذلك... اقرئى الورقة مرة أخرى بهدوء... فلا ريب أنها مكتوبه لك ومن أجلك...

أطاعت هاريت وقرأت، فالتهبت مشاعرها وعمها السرور حتى عجزت عن الحديث، تكلمت إما فقالت: معرفته... أجل يا هاريت، لقد تمنيت أن يحدث هذا وقد حدث، واهنئك يا عزيزتى هاريت من كل جوارحى، فارتباطك بالمستر ألتون مما تفخر به النساء....

ستنالين ما أردت من اعتبار وبيت يليق بك، وستكونين وسط اصدقائك بجوار هارتفيلد وبجوارى... وهذا سيقوى صداقتنا للأبد.. وهو ارتباط لن نخجل منه.. أبدا..

لم تنطق هاريت بكلمه، فعانقت إما وهى تردد:

– عزيزتى المس وود هاوس، عزيزتى المس وود هاوس...

وصاحت فى النهاية:

– إن ما تقولينه دائما عين الحق.. ولذا أظن واعتقد وأمل ان يكون كذلك، ولولا هذا ما كنت استطيع تخيل ما حدث.. فهو فوق ما استحق، وكيف لا، والمستر ألتون قادر على الزواج بمن يريد..؟. آه، ما أذكاه رجلا..! لكن هل الرسالة موجهه لى حقيقة..؟

– بل هى الحقيقه، إقبلى رأيى فى الموضوع على مسئوليتى، إنها مقدمة لمسرحيه رائعه وعنوان أحد فصولها.. وستتوالى الحقائق تباعاً...

– إنه شئ لا يصدق، فمنذ شهر واحد لم يخطر ببالى شئ من

هذا... ولكن كثيرا ما تحدث العجائب...

– حين يتعارف المستر ألتون المبي سميث لابد ان تحدث العجائب.. لكن الأمر عجيب فعلا لأنه بسرعة..

– رباه..! إننى لأعجب من غفلتى عندما أعود بذاكرتى إلى اول يوم رايته فيه. لقد أسرعت أنا وراهبان إلى الحجره الأمامية، ونظرنا إليه من خلال الستار حين سمعنا أنه سيمرن ثم اقبلت المس ناتش فوجهت إلينا لوما شديدا ودفعتنا إلى الانصراف.. ثم بقيت هى لترى وتنظر، ثم نادتنى لأعود وأنظر معها..

– إن الارتباط بالمستر التون لابد ان يرتاح له أصدقاؤك مهما كانوا ومهما كانت مكانتهم، ولا علينا من الأغبياء....

– اجل، وهو عين الحقيقه، وما ألطف حديثك... إنك مثل المستر ألتون فى الذكاء...

– لقد ظننت من طريقه اعتذاره بالأمس أنه اراد أن يجرب قدرته..

– وأظن رسالته احسن ما قرأت فى الألغاز.. ما أملح سطورها ولاسيما السطرين الأخيرين... لكن كيف سأرد الورقه أو أن اقول إنى فهمت اللغز..؟ كيف نتصرف يا مس وود هاوس؟

– اتركى هذا لى ولا تفعلى شيئا.. إنه سيحضر هنا فى المساء وسأردها عليه..

أذعنت هاريت.... وقالت إما:

– ها هو ابى قادم، وأظنك لا تمانعين فى ان اقرأ له اللغز لأنه

سيسره، وهو يحب مثل هذه الأشياء خاصة ما فيه إطراء للمرأة..

بدا الوجوم على وجه هاريت، فقال إما:

– عليك يا عزيزتى هاريت ألا تكون مرهفه الحس من ناحية اللغز وإلا كشفت عن مشاعرك بطريقه فجة..!

– لا، لا، وأرجو الا اجعل من نفسى اضحوكه بسببها، إفعلى ما تشائيه.

دخل المستر وود هاوسن وأثير الموضوع من جديد فسال:

– كيف يسير العمل فى مجلدكما.؟. هل من جديد.؟.

– أجل يا والدى، وسنقرأ عليك شيئا جديدا حقا، لقد عثرنا على ورقه هذا الصباح.. القتها جنيه فيما اظن تحتوى على لغز لطيف جدا..

ثم قرات عليه اللغز.. فسر كثيرا، واعجبه نهايه اللغز وما فيه من الإشاده بالمرأة.. قال:

– هذا هو عين الصواب بلا ريب... فقد صيغ اللغز فى عبارة طيبه وصادقة (أيتها السيدة الحسناء)..

آه يا إما.. من السهل أن أتنبأ بالجنيه التى احضرتها..

غنها انت يا غما..! فما من أحد سواك قادر على كتابه شئ لطيف كهذا.!

طأطأت إما رأسها وابتسمت... وواصل هو يقول:

– ذاكرتها القويه...! أنا لا أتذكر شيئا.. وخصوصا اللغز الذى دعينى اذكره لا أتذكر سوى المقطوعه الأولى.....

كيتى الجميله منتجه ولهيبها كم اتقيه
ولقد طلبت عونا من خادع لا أرتجيه
وأصبحت أخشى قربه وبكل نفسى أتقيه
فقد كان قبلا مفسدا لخطبتى، فالشر فيه..

– رائع يا ابى... لقد يقلناها وهى من وضع جاريك..

– صحيح... وليتنى أتذكر الكثير منها.. كيتى الجميله منتجه... هذا الإسم يذكرنى بإيزابيلا المسكينه، وآمل أن تكون معنا الأسبوع القادم، فهل فكرت يا عزيزتى أين ستقيم وأين سينام الأطفال؟

– فى حجرتها بالطبع، وهناك الحضانه للأطفال كما هى العادة..

– لست أدرى ياعزيزتى، لكنها لم تأت من زمن.. من أعياد الميلاد، حيث قضت معنا بضعه أيام، واشتغال المستر جون نايتلى بالمحاماة يسبب إرهاقا كبيرا لها.. كم هى مسكينه إيزابيلا..! ولابد من دعوة المستر وستون والمسز وستون لتناول العشاء معنا.. فستقيم إيزابيلا معنا أسبوعا..

– من سوء الحظ الا يمكثوا طويلا.. لكنها الضرورة؛ فلا بد للمستر جون أن يعودا إلى المدينه فى الثامن والعشرين..

– سيكون أمرا شاقا ان يذهب إيزابيلا إلى مكان غير هارتفيلد... وسأحاول أن أقنعها بالبقاء معنا وقتا أطول.!

– لا تحاول يا أبى.. فهى لا تحتمل البعد عن زوجها..

تنهد، وعمدت إما إلى تحويلفه الحديث.. فقالت:

- لابد أن هاريت ستقيم معنا على قدر استطاعتها عندما تكون أختى وزوجها هنا.. وستجد ما يسرها فى الأطفال.. نحن فخورون بالأطفال يا أبى، أليس كذلك؟

حين انتصف النهار وكانت الفتاتان موشكتين على الاختراق لتستعدا لوجبه الغداء العاديه فى الرابعه بعد الظهر، إذا ببطل اللغز يدخل عليهما. استدارت هاريت بينما استقبلته إما بابتسامتها المألوفة.. لقد جاء لشئ.. لقد ألفى زهرا لنرد وها هو قد جاء ليعرف نتيجه مسعاه..

تظاهر بأنه جاء للاعتذار عن حفل المستر وود هاوس لن المستر (كول) ألح عليه ليتناول الغداء معه..

شكرته إما.. وكان على وشك الانصراف حين أخذت الورقه من فوق المنضدة وأعادتها إليه قائلة:

- ها هو اللغز الذى تفضلت بتركه لنا، وشكرا لك على السماح لنا برؤيته؛ فقد أعجبنا كثيرا..

لم يدر ماذا هو فاعل.. ونظر إليها فى ارتباك، وردد النظر بين الفتاتين.. ثم وقع نظره على المجلد فرفعه وفحصه بإمعان، فقالت له إما:

- اعتذر لصديقك نيابة عنى.. وأبلغه أنه لا يجوز لأحد ان ينفرد بأى لغز..

- لن أتردد فى هذا.! ولو علم أن قصيدته نالت هذا الشرف فسيكيفه فخرا مدى الحياة..

وبارح المكان مسرعا.. فضحكت إما وهاريت فى غايه السرور.!

جاذبيـــــة

لم تقف حالة الطقس حائلا دون قيام الفتاتين بالرياضة المنتظمة رغم انتصاف شهر ديسمبر.. وكانت إما قد خرجت ومس سميث لزيارة أسرة فقيرة تعاني من المرض وعلى مقربة من منزل المستر ألتون.. وهو منزل قديم... وها هما تتطلعان إلى المنزل بعين ملاحظة..

قالت إما:

– ها هو وستذهبين إليه يوما بمجلد الألغاز..

– ما أروعه منزلا..! ها هي الستار الزرقاء التي تعجب بها المس ناش كثيرا...

– سأجد بعد اليوم ما يغريني على أن أسلك هذا الطريق كثيرا.. وسأعرف معالمه بالتحديد..

اكتشفت إما أن هاريت تتوق إلى معرفة مسكن راعي الأبرشيه من الداخل، فاكتشفت أن هذه اللهفه دليل جديد على الحب.. قالت:

– لكم أود الدخول لكنني لا أجد ذريعه لذلك، ولست معى رسالة من أبي...

– إن مما يسبب دهشتي يا مس وود هاوس إضرابك عن الزواج وأنت بهذه الجاذبية..

ضحكت إما وقالت:

– لا يكفي أن أكون جذابة بل لابد أن أجد الجاذبية فى الآخرين.. إنني لا أرفض الزواج الآن، بل لا تراودني الرغبة فيه مطلقا..

– هذا قولك، لكن صعب التصديق..

– لن يغريني على الزواج إلا رجل يتفوق على من أعرفهم جميعا.. وبالطبع فالمستر ألتون خارج عن الدائرة.. وإنني أفضل ألا يوجد من له الجاذبية أصلا..!

– غريب..! شئ غريب أن أسمع هذا الحديث من سيدة..

– لست أجد ما يغريني على الزواج.. والحب ليس مزاجي ولا طبعي، ولا أظنني سأحب يوما.. ولست فى حاجة إلى المال أو العمل أو الشهرة.. ولا أعتقد أن من تزوجن لديهن ما امتلكه من سلطة فى المنزل ولن أجد فى بيت الزواج ما فى بيتنا من اهتمام ورعاية وصدارة..

– لكنك فى النهاية تصبحين عانسا كالمس بيتس..

– إن عرضك للصوره رهيبة.. ولو أنني فكرت فى أنني سأكون يوما كالمس بيتس فى السذاجة والاستسلام والابتسام وطريقة الحديث وعدم القدرة على التميز والتزمت لتزوجت من الغد..

– ولكنك ستكونين عانسا، وهذا شئ رهيب..

– لا عليك من هذا يا هاريت. لن أكون عانسا فقيرة.. إن المرأة غير المتزوجة إذا كانت ثرية تكون دائما موفرة إن كل ما لا يعجبني من المس بيتس أنها طيبة القلب وساذجة..

– عجبا.! وبماذا ستشغلين نفسك عندما يتقدم بك العمر؟

– إن عقلي نشيط ودءوب على التفكير، كما أن لدى موارد كثيرة أعيش عليها ولا أراني بحاجة إلى العمل حتى وأنا فى الخمسين.. فإن قلت عندى الرغبة فى الرسم أكثر من القراءة، وإذا تخليت عن الموسيقى سأحب صناعة السجاد.. وسأكون سعيدة بوجودي مع أطفال شقيقتي الذين أحب رعايتهم وهم سيوفرون لى ما تتوق إليه نفسي فى خريف العمر.. وسأمن بهم من الآمال والمخاوف.. فأهلا بأبناء وبنات أختى.! وسيكون بصحبتي فى معظم الوقت واحدة منهن على الأقل...

– هل لك صداقة مع ابنة أخت المس بينسى..؟

– نعم، ولقد تعارفنا حين جاءت إلى (هابيرى)... اللهم احفظنا..! إن الخالة لا تكف عن الحديث عن (جين فارفاكس).. وكل خطاب يصل إليها منها تقرأه أربعين مرة، وتحياتها وسلاماتها إلى الأصدقاء يتم تبليغهم بها مرات ومرات.! إننيَ بالطبع أرجو لجين كل خير، لكنها ترهقني حتى أوشك على الموت..

اقتربت من كوخ الأسرة الفقيرة.. وكانت إما عطوفة للغاية تولى الفقراء الرعاية وتشملهم بحنانها وتجود عليهم بالمال وتسرى إليهم النصح.. وبعد أن مكثت مع الأسرة وقتا يتيح لها التخفيف من متاعبها غادرت الكوخ وهى تقول لها ريت:

– هذه المناظر التى يستفيد منها الإنسان يا هاريت وكل ما عداها تافه.. أشعر أنني لن أقوىَ على التفكير فى سواها بقية النهار..

– ما أصدقك وما أبأسهم.. الا يسع الانسان إلا التفكير فيهم..

- لا أظن أن هذا الأثر سيمحي مطلقا...

وإذا بهما وجها لوجه مع المستر ألتون.!

تحدث الثلاثة فى مطالب الأسرة البائسة ومتاعبها، فقد كان.فى طريقه لزيارتها، لكنه أثر أن يرجئ الزيارة.. واستدار ليسير معهما... لكن إما انحرفت فى طريق ضيق على جانب من المنعطف وتركتهما وحدهما فى الطريق العام.. وإذا بها ريت تتبعها.. فتوقفت بحجة أن تربط حذاءها.. ثم رجتهما أن يواصلا السير على أن تتبعهما بعد دقيقة...

وإذا بطفلة آتية من الكوخ خلفها، تحمل وعاء لتجلب بعض الحساء من هارتفيلد...

سارت مع الطفلة وتبادلت الحديث واياها.. ووجهت إليها الأسئلة وسرعان ما لحقت بها هاريت والمستر ألتون..

كان المستر ألتون يتحدث بحماس وهاريت تنصت إليه فى سرور وكلها أذان واعية..

صدمت إما حين أدركت أن حديثه منصب على حفل أقيم البارحة فى بيت صديقه (كول)..!

انتهوا فى سيرهم إلى سوار راعي الابرشية وصحت عزيمة إما على أنه لابد أن تدخل هاريت البيت...

قالت لهما:

- لقد ضاع جزء من رباط حذائي، ولا أدري كيف أتصرف، وإنني

أشعر بأنني رفيقة متعبة. أرجو يا مستر ألتون بالوقوف عند باب داركم لاسأل مديرة البيت عن قطعة خيط أربط بها الحذاء...

غمر السرور المستر ألتون... فرجاهما أن تدخلا...

دخلوا حجرته الخاصة، وكانت خلفها حجرة أخرى تتصل بها بباب مفتوح. دخلت إما من الباب ومعها مديرة البيت لتقدم لها المساعدة..

كانت ترجو أن تتاح الفرصة للمستر ألتون للتحدث مع هاريت، لكنها لم تسمع شيئا.. وسرعان ما دخلت إلى الحجرة الخاصة وانضمت إليهما..

كان يقفان إلى جوار النافذة..

اعترف المستر ألتون لها ريت بأنه رآها وهما تسيران فاقتفى أثرهما عمدا...

قالت إما في نفسها: (إنه وعر، وعر إلى درجة مدهشة، إنه لا يتقدم قيد أنملة، ولا يجازف بشيء حتى يتأكد أنه من أنه في مأمن).

لقاء المحبين

كان لزاما أن تترك إما المستر ألتون لحاله، فقد اقترب موعد مجئ أختها، وهذا يستدعى اهتمامها أكثر من أى شئ آخر..

ولم يكن من المنتظر أن تشغل نفسها بترتيب اللقاء للمحبين.. ولقد أثار مجئ الأخت وزوجها المستر جون نايتلى إلى هارتفليد اهتماما أكثر من ذى قبل... فقد سلخت أسرة نايتلى عطلة الخريف باكملها على شاطئ البحر... وقد شعر المستر وود هاوس بالسرور المشوب بالقلق فى انتظار الزيارة القصيرة..

وها هى الأسرة قد وصلت إلى هارتفيلد بسلام، المستر نايتلى وزوجته وأطفالهما الخمسة وعدد من المربيات..

كان لمجيئهم أثره فى حياة هارتفيلد، فتعالى الصخب وساد الارتباك ما ضاعف من عصبية المستر وود هاوس..

ولم تكن إيزابيلا.. حرصا على راحة أبيها وعدم إزعاجه.. لتسمح لأطفالها إطلاقا بأن يكونوا مصدرا إزعاج له...

كانت جذابة، رشيقة، هادئة الطباع، جميلة الخصال محببة إلى النفوس، تتفانى فى خدمة أسرتها.. فهى نعم الزوج الوفية والأم المحبة لأطفالها.. الحنون على أختها وأبيها...

أما المستر جون نايتلى فهو فارع الطول، له مظهر السادة، شديد

الذكاء، ناجح فى مهنته، مولع ببيته، محترم.. ومتحفظ..

كان يفوق زوجته صفاء ذهن وسرعة إدراك.. وكانت بينه وبين إما جفوة، ولا يخفى عليها شئ من عيوبه وإساءاته غير المقصودة لأختها.. كان يعاملها هى كالأخ أو الصديق العطوف الرزين... وعيبه الأكبر فى نظرها عجزه عن التسامح نحو أبيها.. فكان يضجر أحيانا مما يصدر عن الرجل تصرفات غير عادية.. ومن ملل وعدم استقرار، لكنه كان يجله ويقدره..

لكن ما كادت أسرة جون تتخذ مجلسها فى البيت حتى شرع المستر وود هاوس يهز رأسه فى أسى ويتنهد لافت نظر ابنته إلى التغير الكئيب الذى طرأ على هارتفيلد ويقول:

– آه أيتها العزيزة... مسكينة المس تيلور، إنها مأساة..

قالت المستر نايتلى فى حنان:

– أجل يا سيدى، ولابد أنك والعزيزة إما تتألمان لفراقها، فما أقسى الوحدة... لكننى أرجو لها السعادة...

– السعادة يا عزيزتى..! أرجو ذلك..

سأل المستر جون إما:

– هل الحالة فى راندولز تثير القلق.؟

– لا، ولم أر المستر وستون أحسن مما هى عليه الآن طول حياتى.. لكن والدى يعبر عما يشعر به من أسف..

سألت إيزابيلا:

– هل ترونها كثيرا يا سيدى.؟

– ليس كثيرا يا عزيزتى..

– عجبا يا أبى.. إننا لم يكن المستر وستون ولا زوجته يفارقاننا، فلا تتحدث هكذا فقد تعطى إيزابيلا فكرة خاطئة عنا جميعا... يجب أن يعلم الناس جميعا أن المس تيلور تركت فراغا، لكنها وزوجها يعملان على ألا نشعر بهذا الفراغ بجميع السبل..

تدخل المستر جون:

– وهذا ما يجب أن يكون وما أتوقعه مما وصلنا فى رسائلكم إلينا..

قال المستر وود هاوس:

– نعم، ولا شك فى هذا.. لست أنكر أنها تأتى لزيارتنا فى أغلب الأحيان.. لكنها تعود ثانية..

قال المستر جون:

– لكن أين الفتى أبن المستر وستون.. هل جاء إلى هنا أم لا؟

قالت إما:

– لم يأت إلى هايبرى حتى الآن. كنا ننتظره بعد الزواج مباشرة، لكنه لم يجئ..

قال الوالد:

– نسيت أن تخبريهم بالرسالة يا عزيزتى.. لقد كتب رسالة إلى

المستر وستون المسكينة لتهنئته بالزواج.. رسالة رقيقة وبديعة.. ولقد أرتنى إياها... وهو عمل بديع... وربما كتبها له خاله..

قالت إما:

– لقد بلغ الثالثة والعشرين.. وأنت تنسى كيف تمر بنا السنون..

– أحقا بلغ هذه السن..؟ لقد كان فى الثانية حين فقد أمه المسكينة..

صاحت إيزابيلا:

– كم كان هذا جميلا منه..! لا شك أنه شاب لطيف جدا، لكن للأسف لا يقيم فى بيت أبيه وهذه فاجعة.. هل يتخلى المرء عن ابنه...!

قال زوجها:

– لا أعتقد أن أحدا أحسن الظن يوما بآل تشرشل، ولا داعى لأن تتصورى أن المستر وستون يمكن أن يشعر مثل شعورك لو انتزعوا منك هنرى أو جون.. إنه رجل سهل مرح لا قوى المشاعر، فهو يتقبل الأمور على علتها.. ويستمتع بها...

تغاضت إما عما سمعت.. وتذرعت بالصبر ما أمكنها.!

زيارة حميمة

تم الاتفاق علىَ أن يتناول المستر (نايتلى) الغداء معهم ما فى ذلك من تعارض مع ميول المستر وود هاوس الذى كان يفضل صحبة إيزابيلا فى اليوم الأول من زيارتها بلا مشاركة من أحد.. لكن إما كانت تهدف من دعوة المستر (ناتيلى) أن يتصافى ويعودا صديقين كما كان...

ولقد ساعد على عوده الصفاء بينهما أن إما كانت تداعب ابنة أختها الصغيرة حين دخل المستر نايتلى فأخذ الطفلة بين ذراعيه فى ود... ثم قالت وهو يُبدى إعجابه بالطفلة:

– ما أروع أن تتفق آراؤنا فيما يختص بأطفال الأخوة والأخوات..

– لو أمكنك أن تعاملى الرجال والنساء كما هو شأنك مع الأطفال لأمكن أن نكون فى تفكير سواء.

– بالتأكيد، فلابد لاختلافنا أن ينشأ دائما من أننى أتجنب الصواب...

ضحك وقال:

– أجل، ثم تذكرى أننى حين ولدت أنت كنت فى السادسة عشرة..

– أجل، لكن أليست سن الحادية والعشرين كافية للتقريب بين

أدراكنا؟

– نعم، إلى حد كبير..

– لكن ليس إلى الحد الذى يهيئ لى الفرصة لأكون على حق.!

– لم تزل ميزتى عليك أن لى تجارب ست عشرة سنة كاملة ولكن أصدقاء...

دخل عليهما جون نايتلى قائلا:

– كيف حالك يا جورج.؟

– بخير، وأنت يا جون.؟

وأقبل المساء هادئا تتخلله الأحاديث. لقد ترك المستر وود هاوس لعب الورق ليتحدث مع العزيزة إيزابيلا..

تناول حديث الأخوين أمور حياتهما وما يتصل بأعمالهما..

ولم يكن جون ليقل اهتماما عن أخيه بالحديث، على قدر ما سمحت به طباعه الخشنة...

وانشغل الأب بالحديث مع ابنته قال لها بلهفة وهو يمسك يدها:

– ابنتى العزيزة المسكينة إيزابيلا: ما أطول المدة التى مضت منذ كنت معنا، وما أشد نفيك فى السفر.. إننى أوصيك قبل أن تأوى إلى فراشك بتناول القليل من العصيدة.. ما رأيك يا عزيزتى إما لو تناولنا جميعا قليلا منها.؟

وسكت، ثم عاد يقول:

– لقد كان قضاؤكم الخريف فى (سوث إند) عملا شائنا يتا عزيزتى فانا لا أحسن الظن يوما بهواء البحر.

– لقد أوصانا به المستر (ونج فيلد) يا سيدى، أوصى به للأطفال وخاصة بلا الصغيرة بسبب ضعف حلقها..

– عجبا يا عزيزتى... لكن (برى) يشك فى أن يكون للبحر أية فائدة لها..

صاحت إما:

– كفى كلاما عن البحر... ثم إننى يا عزيزتى إيزابيلا لم أسمعك تسألين عن المستر (برى) ولو مرة مع أنه لا ينساك مطلقا..

– آه... ما أطيبه...! كيف حاله يا ترى؟

– لا بأس.. إنه يشكو من مرض المرارة، ولا يجد وقتا للعناية بنفسه.. شئ محزن... لكن الناس يطلبونه..

– وكيف حال المس برى وأطفالها..؟ وهل كبروا.؟

– أرجو أن يأتى المستر برى لزيارتنا قريبا.. سيمر لرؤية أطفالى...

– أرجو أن يأتى غدا فعندى له سؤال أو إثنين أحب أن يجيب عنهما.. وأنت يا عزيزتى دعيه عند حضوره يفحص حلق بيلا..

– لقد تحسن حلقها كثيرا ولم أعد قلقة عليها...

قالت إما:

– يبدو أنك نسيت المستر بيتس وابنتها.. فلم أسمع سؤالا واحد

عنها...

- لا بأس بصحتها يا عزيزى بوجه عام... لكن المستر (بيتس) المسكينة أصابها برد شديد من شهر تقريبا..

- إنى آسفة لذلك، لكن البرد لم يكن أبدا منتشرا فى أى وقت كما كان فى هذا الخريف.

- يا ابنتى العزيزة.. إن هذا الفصل كثير الأمراض فى لندن..!

- لا، إننا لا نعيش فى هواء فاسد مطلقا، لأن ميدان بروتروبك مختلفة عن سائر الجهات، فالهواء منعش والنسيم بليل، ولا أرض بالمعيشة فى جهة أخرى غيرها.. والمستر (ونجفيلد) يرى أنا منتقطنا أصلح الجهات هواء..

- إنها لا تقارن بها رتفيلد يا عزيزتى، بل أن تبالغين، لكنكم بعد قضاء أسبوع هنا تصبحون كخلق جديد.. ولا أزعم أن أحدكم يبدو فى أتم صحة..

- يؤسفنى سماع ذلك منك يا سيدى، لكنى أؤكد أنه لولا الصداع العصبى البسيط والاضطربات فى النبض التى تلازمنى لكنت الآن فى أتم صحة.. والأطفال يبدو عليهم الشحوب لأنهم مجهدون من أثر السفر.. ولفرصتهم بالمجئ..

ونظرت إلى زوجها فى قلق وحب:

- إن صحة المستر نايتلى على ما يرام...

- بل متوسطة يا عزيزتى، بل يبدو متمتعا بكامل صحته...

صاح نايتلى حين سمع اسمه:

– ماذا يا سيدى..؟ هل توجه الحديث لى..؟

قالت إيزابيلا:

– يؤسفنى يا عزيزى أن والدى يحسب أنك معتل الصحة.. وكان بودى لو أنك عرضت نفسك على المستر (ونجفيلد) قبل سفرك...

قال فيلا دهشة:

– أرجو ألا تشغلى بالك بصحتى يا عزيزتى إيزابيلا... حسبك ما تقومين به من علاج لنفسك وللأطفال...

صاحت إما:

– لم أفهم لماذا ينوى المستر (جراهام) المجئ بناظر زراعة من اسكوتلندا ليشرف على ضيعته الجديدة..؟

وهكذا أدارت دفة الحديث وجهة أخرى. لم يضايقها غير استفسار إيزابيلا عن (جين فيرفاكس) فى لهفة... لكنها لم تنسى الثناء عليها..

قالت إيزابيلا:

– ما ألطفها... وما أظرفها... لم أرها منذ وقت طويل إلا بالصدفة فى لندن، وما أسعد جدتها وخالتها بها عندما تأتى لزيارتهما.! إنها نعم الرفيق لإما لو ظلت هنا..!

قال المستر وود هاوس:

– إن هاريت سميث هى أيضا فتاة لطيفة، سوف تحبينها يا

إيزابيلا، ولن تجد إما خيرا منها رفيقة..

- إننى سعيدة بسماع هذا، لكن أعرف أن (جين) على ثقافة رفيعة وممتازة ومن سن إما...

لم تنته الأمسية إلا بالكدر. جئ بالعصيدة فأثارت نقاشا طويلا... ومن سوء الحظ أن من نواحى اللوم التى واجهتها إما عجز خادمتها أو طاهيتها فى (سوث إند) وهى جديدة، عن صنع عصيدة بالمعنى المفهوم...!

قال المستر وود هاوس لإيزابيلا:

- سأظل على حرتى لذهابك إلى البحر بدل المجئ إلى هنا..

- ما الداعى إلى الحيرة يا والدى...؟ أؤكد أن ذلك أفاد الأطفال فائدة كبيرة..

- وكان الأحرى بك ألا تذهبى إلى سوث إند فهى غير صحية..

- لكننا تمتعنا جميعا بصحة وعافية هناك.. وقد قال المستر ويجفيلد أن المكان صحى للغاية وهو ممن يعتد برأيهم..

واستمر الرجل وابنته فى الحديث...

حاولت إما أن تمنع والدها من مواصلة الحديث.. ولكن ضاعت محاولاتها سدى.. ورأت زوج أختها يثور غاضبا ويقول:

- دائما تذكر المستر (برى) وتمتدحه..! إذن فاخبره أن يحتفظ برأيه فى البحر لنفسه، ثم لماذا يشغل هذا الرجل نفسه بما أفعله..؟ أرجو أن يكون لى مثل ما للمستر برى من حق إبداء الرأى، فإننى لم

أعد فى حاجة إلى نصائحه ولا إلى عقاقيره..

قال أخوه:

- حقا ما تقول، فبعد المسافة شئ يجب مراعاته ولا شك.. لكن فكرتى التى كنت أحدثك عنها يا جون وهو إننى أريد تغيير موقع الممر الموصل إلى (لنجهام) وجعله أكثر انجرافا إلى جهة اليمين حتى لا يخترق المراعى التى حول المنزل فلا أرى فيها أية صعوبة... أرجو أن أراك فى الصباح فى الأبرشية لفحص الخرائط معا... ولتبدى لى رأيك..

أقلق المستر وود هاوى العبارات القاسية التى وجهها جون نايتلى إلى المستر (برى) صديقه الأثير... لكنه هدأ بحديث ابنته الملئ بالحب، كما أحس نحو جورج نايتلى بالامتنان لتحويله دفة الحديث إلى موضوع الأرض والخرائط..

هاريــــت

•

من الصعب أن تجد أسعد من المستر جون نايتلى خلال الفترة القصيرة التى زارت فيها هارتفيلد، فقد كانت فى الصباح تذهب بصحبة أطفالها الخمسة لزيارة معارفها القدامى.. وتعود فى المساء للتحدث مع أبيها وأختها عما فعلته فى الصباح..

لم يكن بد من خروج الجميع فى إحدى المرات لحضور مأدبة عشاء فى ليلة عيد الميلاد، ورفض المستر وستون الاعتذار عن قبول الدعوة فى (راندولز) وحتى المستر.وود هاوس أمكنهم التأثير عليه لقبول الدعوة..

إن وجود مركبة ابنته وزوجها بخيولها قضت على معارضته.. كانت الدعوة موجهة أيضا إلى هاريت والمستر ألتون والمستر نايلتى، لكن هاريت أصيبت بوعكة قبل موعد المأدبة، فذهبت إليها إما عند المستر جودارد، وأخبرتها عن المستر ألتون وما سيشعر به من حزن وألم لعدم استطاعتها تلبية الدعوة ثم انصرفت.. وإذا بها تلتقى بالمستر ألتون ويتحدثان عن مرض هاريت.. ثم التقيا بالمستر جون نايتلى وكان عائدا من زيارته إلى (دونول) مع ولديه الكبيرين...

ساروا معا... ووصفت إما مرض صديقتها بالتهاب فى الحلق وارتفاع فى الحرارة ونبض سريع.. فسألها ألتون بانزعاج:

– التهاب الحلق..! أرجو ألا يكون مرضا معديا أو خبيثا..! هل

رآها المستر (برى)؟ يجب ألا تخاطرى بنفسك يا آنسة وود هاوس...!

هدأت إما من روعه، وقالت:

– الطقس شديد البرودة حتى لكانه الثلج بعينه.. ولولا أنه من عدم اللياقة ألا نلبى الدعوة لنصحت والدى بالبقاء فى البيت..! آه يا مستر ألتون.! إن صوتك يبدو أنه أثر التهاب وأنصحك بأن تلزم البيت..!

أزعجه قولها، لكنه لم يكن لديه أقل ميل للاعتذار عن الذهاب..! قال:

– نعم الطقس بارد جدا، وبلا ريب فى غاية البرودة...

سارت مسرورة، فقد أمكنها أن تقصيه عن الذهاب إلى راندولز والبقاء للاستفسار عن هاريت..

لكن زوج أختها عرض عليه أن يذهب معهم فى عربته البتفاوى رداءة الطقس.. ووافق المستر ألتون فى التو.. وانتهى الأمر..

قالت لنفسها فى حنق:

(ما أعجب هذا..! لكنهم العزاب مغرمون بتناول العشاء خارج بيوتهم؛ فهو لا يقوى على رفض الدعوة إلى وليمة ويترك هاريت وهى مريضة..!)

انطلق المستر ألتون لشأنه بعد أن أكد أنه سيذهب إلى البيت المستر جودارد للسؤال عن صحة هاريت...

قال جون نايتلى:

– لم أر فى حياتى رجلا حريص على أن يكون ظريف مثل المستر ألتون وبخاصة إذا تعلق الأمر بالنساء..!

قالت إما:

– لكن إن أراد الانسان أن يكون محبوبا لوجب عليه أن يتغاضى عن الكثير.. ولا يسع الانسان إلا تقدير ما عليه المستر ألتون من رقة الطبع وطيبة القلب..

– أجل، نحوك أنت..!

قالت بدهشة:

– أنا..؟ هل تظن أنني هدفه وغايته.؟

– أعترف لك يا إما بأن هذا ما جال بخاطرى، وعليك بأخذه فى الاعتبار منذ الآن..

– هذا عجيب... ويا لها من فكره.!

– أظن أن معاملتك فيها تشجيع له.. إننى أحدثك يا إما كصديق.. وعليك أن تدققى النظر وتتأملى لتتأكدى من شعورك وأهدافك..

– أشكرك، لكنى أؤكد لك أنك على خطأ، فنحن مجرد صديقين.

وطد المستر وود هاوس العزم على تلبية الزيارة وركب مركبته فى الموعد المحدد ومعه كبرى ابنتيه متدثرا بالملابس حتى لا يشعر بالبرد.. ولما بدأت المركبة فى السير كان الثلج يتساقط.. أما إما فقد لاحظت عدم ارتياح جون للزيارة لما قد يتعرض له أطفاله من أذى بعد العشاء.. وراح يعبر عن برمه بالرحلة..

لم ترد عليه إما، فهى تخشى إن هى ردت أن يتحد الحديث بينهما، فتركته يتحدث، وانشغلت فى إحكام الدثار حول بدنها..

كان المستر ألتون قد سبقهم فى الطريق إلى بيت المستر وستون.. وهو فى غاية الأناقة والابتسام.. رحبت إما برؤيته لتغيير مجرى الحديث... وأفسحت له مكانا بجوارها فى المركبة..

راح يرحب بهما فى بهجة وسرور فظنت أن لديه أنباء طيبة عن هاريت.. فسألته:

– هل تحسنت هاريت؟

بدا الحزن على وجهه وهو يقول بحنان بالغ:

– لا، بل يحزننى أن أخبرك أنها ساءت.. ولقد أحزننى هذا كثيرا...

ابتسمت وقالت:

– أرجو أن تكون زيارتى قد أفادتها ورفعت معنوياتها.! هل زارها المستر برى؟

– أجل..

وقال مغيرا موضوع الحديث:

– يا لها من وسيلة رائعة أن يستعمل فراء الضأن للمركبات فهو يجعلها مريحة فلا يشعر المرء بالبرد..! إننى أرى الثلج يتساقط..

قال جون:

– أجل، وأظن سيتواصل..

قال ألتون:

– إنه طقس عيد الميلاد.. وكم كان من حسن حظنا أنه لم يتساقط

بالأمس وإلا لاعتذر المستر وود هاوس عن الحضور..

إن هذا الفصل هو المستحب لاجتماع الأصدقاء.. وفى عيد الميلاد يدعو كل إنسان الأصدقاء... ولا يبالون بالطقس مهما ساءت حالته.. لقد حجزنى الثلج فى بيت صديق لمدة أسبوع كامل... وما كان أسعده من أسبوع..! اندهشت إما من حديثه... فكأنما غابت هاريت عن باله تماما..!

واصل المستر ألتون يقول:

– لابد أننا سنجد دفئا الليلة.. وكل شئ سينتهى على خير حال.. وإن الزوجين وستون رائعان، فهى تتجاوز كل مديح، أما هو فشخص مضياف ومولع بالأصدقاء ثم التفت إلى إما وقال برقة:

– أظنك توافقيننى على أنه كلما قل عدد المدعووين إلى وليمة كلما كان أفضل، ولو أن المستر نايتلى الذى اعتاد الاجتماعات الكبيرة لا يشاركنا نفس الشعور.!

قال جون:

– لا علم لى بالاجتماعات الكبيرة فى لندن يا سيدى، فأنا لا أحضر مآدب العشاء هناك أبدا...

قال المستر ألتون:

– عجبا..! لم أحسب أن مهنة القانون تبعد الانسان عن المآدب بهذا الشكل.. أجل يا سيدى، ومع ذلك فلابد أن يحين الوقت الذى تقتنع فيه برأيى..

قال المستر جون، وكانوا قد اجتازوا البوابة الخارجية لمنزل الزوجين وستون:

– إن خير متعة لى أن أجد نفسى وقد عدت إلى هارتفيلد بسلام..!

حب يتحول

كان عليهم جميعا أن يبدلوا من ملامح وجوههم وهم داخلون إلى حجرة الإستقبال. فيجد ألتون من مرحه، ويكسرجون عبوسه.. أما إما فكانت مسرورة مستبشرة، فهى تستمتع بوجودها فى بيت وستون، فالمستر وستون من أصدقائها المقربين وزوجته أحب الناس إليها، وما من أحد سواهما كانت إما تجد لذة فى أن تحكى له كل ما تشعر به أو يصادفها وما يجد لها من مشاكل ومصاعب... الخ..

وجدت إما ما يرضيها فى رؤية المستر وستون وابتسامتها وشعورها بأنها تسمعها وتلمسها...

لقد سبق إما فى الحديث عن هاريت ومرضها والدها المستر وود هاوس، فروى حكاية البرد الذى أصابها...

ساء إما أن ترى ألتون يجلس قريبا منها وراح يوجه إليها الحديث فى لهفة واشتياق، وهنا أدركت أن رأى جون كان صحيحا، فقد بدأ يتحول بحبه إليها... وهو كذلك ثم راح يتحدث عن رسوماتها فى حماس شديد حديث المحب الولهان. حاولت أن لا تكون فظة معه.. وأن تكون دمثة السلوك أملا فى تحويل الموضوع لصالح هاريت...

سمعت المستر وستون يتحدث عن ابنه فرانك ويعلن قرب وصوله...

كانت تفكر فى أن فرانك وستون هو الشخص المناسب إلى إن

فكرت فى الزواج فــهــو مناسب لهــا فى السن والخلق.. وأدركت أن الزوجين وستون كانا يفكران فى ذلك.

وها هى فى شوق لرؤيته.. وواثقة من إعجابه بها إلى درجة كبيرة..

وها هو المستر ألتون يسئ اختيار الوقت لمغازلتها.. وأثلج صدرها أنها ستظفر بالمعلومات الضرورية عن فرانك، فوالده رجل نقى السريرة.

ولما تخلصت من المستر ألتون أخيرا وجلست بجوار المستر وستون فى العشاء، فقال لها:

– لا ينقصنا هنا سوى اثنين، هما صديقتك الصغيرة اللطيفة المس سيمث وابنى.. لاقول بعدها إن عددنا قد اكتمل... لقد وصلنى منه خطاب فى الصباح، سيكون معنا بعد أسبوعين.. إنه ظل يبدى رغبته فى الحضور منذ شهر سبتمبر لكن الوقت ليس ملكه... لكننى لا أشك فى أننا سنراه هنا حوالى الأسبوع الثانى من يناير... والمستر وستون شديد الشوق لمعرفته ولا تقل عنك سرورا بمجيئه...

– أجل سيسعدها ذلك بالتأكيد..

– هناك سيدة لها مكانتها فى (أنسكوب)، وهى مسنة وكان يبدى بها أنها لا تحب إلا نفسها.. أتصدقين أنها مولعة بفرانك..؟ إن قلبها قدقد من حجر وطباعها لا يمكن احتمالها..

قالت المسز وستون:

– للأسف، فالمسز تشرشل امرأة ذات أهواء ومتقلبة، ومجئ فرانك الآن متوقف على إرادتها فى السماح له...

قال إيزابيلا:

– أوه.. مسز شرشيل.. الناس كلهم يعرفونها.. إن حياتها نفسها بائسة.. وحمدا لله أنها لم ترزق بالبنين والبنات، وإلا أصابهم منها الشقاء..!

قال المستر وود هاوس إنه يحس بعد العشاء بالرغبة فى الحديث وإلا نام.

قالت إما للمستر وستون:

– إذن فأنت لا تثقين بأن فرانك قادم؟

– أجل... فأنا على ثقة بأن أسرة تشرشل شديدة الرغبة فى الاستئثار به، وهناك نوع من الغيرة، يغارون حتى من حبه لوالده..

– من واجبه أن يحضر ولو ليومين فقط.. من الصعب تخيل أن شابا لا يقدر على فعل شئ كهذا!

– على المرء أن يكون حذرا فى الحكم على الناس وسلوكهم.. لكن هذه السيدة لا تصدر عن روية ولا يقف فى طريقها شئ...

إن رأيى هو أن مستر تشرشل ترفض النصيحة بشئ فى سبيل راحة زوجها الذى تدين له بالكثير...

– لن أقتنع حتى يحضر..!

قالت المستر وستون:

– قد يكون فرانك هو صاحب التأثير عليهم فى الأمور.. والغالب أنه لا يستطيع تركهم والحضور لزيارتنا.!

عاصفة الثلوج

ما إن تناول المستر وود هاوس الشاى حتى أبدى رغبته فى العودة للبيت. كان المستر وستون يفيض فى الحديث، وزاد عدد الحاضرين.. وحضر المستر ألتون فياضا بالحيوية والابتهاج، وجلس بين إما والمستر وستون على الأريكة... وراح يتحدث عن قلقه على هاريت... فسرت إما وراحت تنصت إليه فى ابتسام.

– هل سمعتا عنها شيئا..؟

لكن ما لبث أن انقلب شعورها رأسا على عقب حين راح يحذرها من زيارة هاريت وإلا أصابتها العدوى من إلتهاب الحلق.. إلا بعد أن يطمئن من السيد برى على عدم خطورة الحالة.. اغتاظت إما؛ فقد أدركت أن هاريت لا تهمه فى شئ... وأنها هى إما مقصده وغايته...

التفت المستر ألتون إلى المستر وستون ورجاها ألا تسمح لإما بالذهاب إلى منزل المستر جودارد حتى يطمئن من المستر برى على الحالة... ثم قال:

– إن المس وود هاوس كثيرة الاهتمام بغيرها ولا تهتم بنفسها. لقد أوصتنى بالبقاء فى البيت لأتجنب الإصابة بالتهاب الحلق فهل هذا عدل..؟

هنا لم تطق إما ما يحدث فانتقلت إلى جوار أختها.. هنا دخل

المستر جون نايتلى إلى الحجرة قائلا إن الأرض قد كساها الثلج وأن الريح شديدة الهبوب.. وقال للمستر وود هاوس:

– هذا دليل يا سيدى على رغبتى فى الاعتذار وصواب رأيى... كيف للحوذى أن يشق طريقه بالخيول فى هذه العاصفة الثلجية..؟

كان الهلع قد أخذ من المستر وود هاوس مأخذه فلم يتكلم..

حاولت إما وإيزابيلا التسرية عنه...

أما المستر وستون فقال إنه لم يشأ الحديث عن تساقط الثلج بغزارة ويزعج المستر وود هاوس فيضطر إلى انهاء الزيارة مبكرا، لكن الطريق إن استعصى عليهم الذهاب فيه فلا مانع من أن يقضوا ليلتهم فى (راندولز)، فكل منهم سيجد مكانا للمبيت...

سأل المستر وود هاوى إما:

– ماذا نفعل يا عزيزتى..؟

فابتسمت قائلة إن الحوذى لن يشق عليه أن يعود بهم بسلام إلى هارتفيلد...

قالت إيزابيلا لزوجها:

– عليك يا عزيزى بإعداد المركبة فى الحال وإلا سرت المسافة على قدمى...

– عجبا..! إننى أتعجب كيف يمكنك الذهاب سيرا على الأقدام..! لا، سآمر بإعداد المركبة فى التو...

عاد المستر نايتلى ليخبرهم بأنه ما من مشكلة فى العودة إلى بيوتهم

متى شاءوا، وأن الثلج ليس بالكثافة التى تعيق حركتهم. ولقد قابل الحود بين فوافقاه على رأيه..

هدأ المستر وود هاوس وسكنت بلابل إيزابيلا وذهب عنها الخوف.. وقال المستر نايتلى لإما:

– لماذا لا تذهبون الآن؟

– أنا مستعدة..

– أ أدق الجرس إذن.؟

– أجل..!

دق الجرس وطلب إعداد المركبة...

رافق المستر نايتلى والمستر وستون المستر وود هاوس إلى المركبة.. لكنه بدا أقرب إلى الفزع حيث اكتشف حلوكة الليل وغزوارة الثلج.. وأقلقه أن تكون إما فى المركبة الأخرى... وأمر جيمس بأن يسير على مهل لتكون المسافة بين المركبتين يسيرة..

صعدت إيزابيلا الى مركبة أبيها يتبعها زوجها.. وفى المركبة الأخرى كان المستر ألتون بمفرده مع إما.. كان هذا يضايقها... فهو ثرثار ولن يتوقف عن الحديث..

أمسك بيدها فجأة وطلب إليها أن توليه انتباها... وراح يعبر عن هيامه بها ويعلن لها عن مشاعره الفياضة..

وعن استعداده للموت إن هى رفضته... ولقد عقد عزمه على أن يلقى عرضه قبولا لديها فى أقرب فرصة..

ها هو قد اعترف بحبه لها، لا بحبه لهاريت...

غضبت إما كثيرا، لكنها أثرت أن تكبح غضبها.. قالت:

– إننى لمذهولة يا مستر ألتون.. عجبا..! أتقول هذا لى..؟ رلقد نسيت نفسك وظننتنى صديقتى هاريت... أرجوك كيف عن هذا معى..

– مس سميث..! ماذا تعنين بهذا..؟

– هذا أعجب ما سمعت منك يا مستر ألتون، ولا أجد سببا واحد أعلل به سلوكك غير أنك فقدت وعيك.. اضبط نفسك... وسأحاول نسيان ما قلت..

فقال إنه ليس مخمورا، وانه لم يفكر إطلاقا فى الارتباط بالمس هاريت... وأنها هى التى يحبها..!

قالت:

– هل بعد سلوكك مع المس سميث طيلة الشهر الماضى، وبعد رعايتك لها تخاطبنى أنا بهذه الطريقة..؟ لابد أن هذا خلق منحرف..! ثق أننى بعيدة عن أن أكون موضوع هذه الاعترافات...

صاح:

– يا إلهى..! ما معنى هذا..؟ إننى لم أفكر فيها إطلاقا، ولم اختصها بالرعاية إلا لأنها صديقتك، وإننى لجد آسف أشد الأسف... من الذى فكر فى المس سميث..؟ آه... والمس وود هاوس بقربه..؟ أقسم بشرفى أنه ليس فى خلقى انحراف.. ولم أفكر فى سواك..! وأنا واثق أنك فهمتينى..!

لم تنبس إما بحرف..!

تشجع هو وواصل يقول:

– كم أنت لطيفة.. إسمحى لى بأن أفسر سكوتك على أنه موافقة..!

صاحت:

– لا يا سيدى... إننى لم أفهمك ولم أفطن إلى قصدك قط.. أما عن نفسى فإننى آسفة... هل تريدنى أن أعتقد أنك لم تفكر فى المس سميث اطلاقا..؟

– أبدا يا سيد سميث وأؤكد لك أن شيئا من هذا لم يحدث..! إن المس سميث فتاة لا غبار عليها... لكن زياراتى لها رتفيلد لم تكن إلا من أجلك أنت..! لقد لقيت منك التشجيع..

– تشجيع..؟ ماذا تقول..؟ أنا أشجعك..؟ إنك لا تعدو فى نظرى إلا واحدا من معارفى العاديين لا أكثر... وأنا لا أفكر حاليا فى الزواج..

عقد الغضب لسانه عن الحديث... فهى بحديثها الحازم لم تترك له فرصة للأمل..

وقفت المركبة فجأة عند باب منزله.. لم يشعرا بدخول المركبة إلى المنعطف الذى يقع فيه منزله...

خرج منها دون كلمة، فتمنت له ليلة سعيدة ورد التحية فى برود وكبرياء.. ثم واصلت المركبة طريقها إلى هارتفيلد.. رحب بها المستر وود هاوس فى هارتفيلد وقد سر قدومها.. وها هى قد جاءت لاصلاح الأمور..

لقد شعر تالمستر جون نايتلى بالخجل لما بدر منه من غلطة نحو رجل يحنو على أبيها ويحرص على راحته..

وانصرف كل إلى مخدعه.. ونام..

إلا إما فإن أضطراب تفكيرها منع النوم عن أن يزور أجفانها...!

وها هى تفكر فى الأمر بهدوء شديد.!

اللغــز

انتهت من تصفيف شعرها وجلست تفكر.. إنها نفيسة.. نفيسة.. يا لها من ضربة قاصمة لهاريت..!

كانت إما تقبل عن طيب خاطر أن تخطئ وتلام وأن يصيبها الخزى والعار لو أن آثار خطئها أحاقت بها وحدها.. وتلوم نفسها!

(لو أنني لم أرغب هاريت فى محبته لتحملت كل شئ... إن هاريت خدعت بدناءة.. إنه يزعم أنه لم يفكر فى هاريت على الإطلاق... عجيب!

لابد أن سلوكه لم يكن واضح المعالم. سلوك متأرجح بلا ثبات وباعث على الغموض.. ولولا ذلك لما انخدعت... آه.. كم كان متلهفا على الصورة وسريعا ما أحضر اللغز..

الحقيقة أنه فى الأيام الأخيرة كان سلوكه نحوها يحمل قدرا كبيرا من الشهامة...

آه كم هى مدينة للمستر جون نايتلى بأنه وجه انتباهها إلى الموضوع، وتذكرت ما قاله أخوه جورج عن المستر ألتون وإنه لن يتزوج دون روية..

كان المستر ألتون متكبرا ومغرورا، ولا يعبأ بمشاعر الآخرين.. إنها لم تفكر يوما فى حبه، بل شعرت بالاشمئزاز منه، لقد طمح إلى زيجة طيبة ودفعه غروره إلى رفع بصره إليها والتظاهر بأنه يهيم بها حبا...

آه... إن أكثر ما يغيظها منه قوله بأنها شجعته، وأنها على علم

بغرضه.. فإنه يبغى رفع شأن نفسه، فإن لم يظفر بها هى سليلة بيت هارتفيلد والتى ترث ثلاثين ألف جنيه فسرعان ما يتحول إلى وارثة أخرى.!

إن أسرته ليست شيئا مذكورا.. وليس لألتون صلة تذكر إلا بأقاربه من التجار.. وها هو قد تخيل أنها تحبه..!

راحت تحاسب نفسها...

إن أول خطأ يقع على عنقها هى، فمن الحماقة أنها قامت بدور الواسطة أو الخاطبة للجمع بين شخصين..!

(ها أنا دفعت هاريت المسكينة بكلامى إلى حبه! ليتنى اكتفيت بإبعادها عن مارتين..!

الآن فقدت هاريت المسكينة هدوءها... لكن ماذا هى قائلة لها..؟

استيقظت فى الصباح وهى أكثر ارتياحا واستعدادا للتخفيف من حدة الشر الذى يواجهها والتخلص منه بسلام..

رغم أن اليوم عيد الميلاد فلم تقو على الذهاب إلى الكنيسة... إنه صباح مطير والثلج يملأ الأرض..

ها هى سجينة فى بيتها. ولأيام عديدة ولا تقدر على الاتصال بهاريت.

كان والدها يقول للمستر جورج:

– عجبا يا مستر نايتلى... لماذا لم تقبع فى بيتك كما فعل المستر ألتون المسكين..؟

برغم ما كانت تأمله إما من زوال الغمة عن صدرها، فقد كانت سحابة كئيبة تخيم عليها حين تتذكر ضرورة مواجهة هاريت بالحقيقة..!

الفصل السابع عشر

لم تطل إقامة أسرة نايتلى فى هارتفيلد طويلا.!

لقد تحسن الطقس وحاول المستر وود هاوس استبقاء ابنته وأطفالها، لكنه اضطر فى النهاية إلى وداعهم.. ثم عاد ليعبر عن حزنه على مصير إيزابيلا.!

وصلت رسالة فى نفس المساء من المستر ألتون إلى المستر وود هاوس رسالة مطولة تزخر بالأدب يؤكد عزمه على مغادرة (هايبرى) إلى (باث) فى اليوم التالى استجابة (منه لبعض الأصدقاء لقضاء بضعة أسابيع... وأسفه على استحالة حضوره شخصيا لتوديع المستر وود هاوس...

استولت الدهشة على إما مع بعض الغبطة.. لقد تمنت أن يغيب فى الحاضر، لأن غيابه حل المشكلة إلى حد ما...

اندهش المستر وود هاوس لرحيل ألتون المفاجئ... وتحدث فى ذلك إلى إما بقية اليوم...

قررت إما ألا تتأخر فى إبلاغ هاريت بما تم... فذهبت إلى بيت المستر جودارد فى اليوم التالى...

تحملت هاريت الخبر بشجاعة دون ألم... بدت لها هاريت حبيبة إلى أقصى حد، ولم تجد فيما حدث ما يدعو إلى الشكوى...

انهمرت الدموع من إما.. كان حزنها طبيعيا... لقد حاولت مواساة صديقتها من قرارة قلبها..

وتركت صديقتها وفي نفسها عزم على أن تكون أكثر تواضعا وحكمة، وتكبح جماح نفسها، وأن تحاول تهيئة المناخ المناسب لراحة هاريت... وأن تثبت لها حبها بطريقة أفضل..

صحبتها إلى هارتفيلد وغمرتها بالعطف والحنان، وبذلت جهدها لتشغل فراغها وتسليتها، واستعانت بالكتب والحديث لطرد شبح ألتون من مخيلتها..

كانت هاريت ترى فى ألتون كل القيم المثالية، فليس هناك من يماثله فى الهيئة والطيبة، وبرهنتا بذلك على أنها متدلهة فى حبه.. لكن إما أن مقاومة الحب أمر لا مفر منه، ولا يمكن للحب أن يستمر طويلا قويا كما كان.

وإذا كان ألتون بعد عودته قد أظهر عدم اهتمامه بصورة واضحة، فإن إما لا تتخيل أن هاريت ستقيم على حبه..

لكن ارتباط الثلاثة بهارتفيلد أثر على كل منهم تأثيرا سيئا.. وكان حديث زميلات هاريت فى بيت المستر جودارد ينغص عليها صفوها، فالمستر ألتون معبود المدرسات والبنات بالمدرسة.. ولا حديث لهن إلا عنه وعن مميزاته التى بلا نظير..

شعرت إما بأنها لن ترتاح حتى تنقذ صديقتها مما هى فيه من حب ألتون وحديث الرفيقات..!

فرانـــــك

لم يجئ فرانك تشرشل إلى هارتفيلد أو راندولز..!

وصلت منه رسالة يعتذر فيها ويأمل أن يتمكن من الحضور قريبا.. لم تستمر دهشة المستر وستون كثيرا، ثم أخذ يفكر فى أن وصول فرانك بعد شهرين أفضل من الآن.. حين يتحسن الطقس ويصفو الجو فيتمكن من المكوث معهم أطول فترة ممكنة..

هكذا عادت إليه الطمأنينة و أثلج صدره.. أما المسز وستون فكانت تخشى على زوجها من آلام الانتظار لمن لا يجئ..!

لم تحزن إما لاعتذار فرانك عن الحضور، وحرصت على أن تشارك الزوجين وستون مشاعرهما بهذا الصدد..

أعلنت النبأ للمستر نايتلى معبرة عن دهشتها لمسك أسرة تشرشل من إبعاده عن أبيه..

قال المستر نايتلى فى جفاء:

– أسرة تشرشل قد تكون مخطئة، لكننى أؤكد أنه لو أراد المجئ لفعل..

– لا أدرى سبب قولك هذا، فهو شديد الرغبة فى الحضور، لكن خاله وزوجته يمنعانه.!

– لا يمكننى أن أصدق أنه غير قادر على المجئ إلا بالدليل القاطع..

– ما أعجبه من قول.. ماذا فعل فرانك لتظنه إنسانا غير طبيعى إلى هذا الحد..؟

– لقد عاش فرانك مع ناس متكبرين ويعيشون فى ترف وأنانيون، ولذلك صار مثلهم، وإنه وسنه حوالى ثلاثة وعشرون عاما قادر على تحقيق ما يريد من زيارة أبيه..

– إنك يا مستر نايتلى لا يمكنك الحكم على من يعتمدون على غيرهم..

– لا أصدق أن رجلا بلغ هذه السن لا تكون له حرية الفكر والعمل بهذه الدرجة مع توفر المال والفراغ لديه... لقد كان من قريب فى (ويموث) وهذا دليل على أن بوسعه الابتعاد عن أسرة تشرشل..!

– أجل... أحيانا...

– وهو لا يذهب إلا حين يجد ما يشبع ملذاته..

– إنه لظلم أن تحكم على أخلاق الناس من غير تام بأحوالهم.. إن واجبنا أن نتعرف على أسرة (أنسكومب) وأن نعرف طباع (مسز تشرشل) قبل أن نتخذ القرار..

– هناك شئ واحد يا إما يقدر الانسان أن يفعله إذا أراد.. الواجب..! بالقوة والعزيمة.. من واجب فرانك أن يظهر اهتمامه بأبيه.. فيذهب من فوره إلى المسز تشرشل ليقول لها فى بساطة وعزم: لا بد لى من الذهاب حالا لرؤية أبى، فإنه سيتألم إن لم أجعله موضع تقديرى واحترامى.. إننى راحل غدا)..

ضحكت إما:

– كيف يمكنك أن تتصور أن المستر فرانك يمكنه أن يقف هكذا ويقول ذلك بأعلى صوته...

– ثقى يا إما إن الرجل العاقل لن يجد صعوبة فى ذلك، يكفى أن يشعر أن هذا هو الصواب ليفعله..! إن الناس جميعا يحترمون الملك القويم، فإن اتبعه فلا بد أن يلينا ويأخذا برأيه..

– إننى أشك فى ذلك، ولو أنك كنت مكان فرانك يا مستر نايتلى لن يكون عليك أن تشق طريقك من خلال عادات وتقاليد اعتدتها من قبل..

– إنه شاب ضعيف؛ وواجبه أن يقاوم أى محاولة من جانب خاله وزوجته يرى فيها الاستهانة بأبيه..

صاحت إما:

– لن نتفق بشأنه..! إننى أجزم بأنه غير ضعيف، والمستر وستون لن يغفر له لو كان ضعيفا.. وإن فرانك كل المزايا وهى السكون وعيشة الملذات والقدرة على انتحال الأعذار..

– بل إنه بلا مزايا... فتنقصه الرقة الإنجليزية فى مراعاة شعور الآخرين.!

– يبدو لى أنك لن تخلى عن إساءة الظن به.!

– أنا..؟ لا أظن.. لكنى لم أسمع بأنه يتصف بشئ من المحاسن التى ذكرتها.. اللهم إلا ما يتصل منها بشخصه كقوة البنية وجمال الخلقة والرقة فى معاملة الناس..

– حسنا، وهذا يكفيه...! ألا تتخيل يا مستر نايتلى ما سيحدثه مجيئه من إثارة..؟ لن يكون هناك إلا موضوع واحد فى (أبرشية دونول) و (أبرشية هايبرى) هو فرانك تشرشل..!

– معذرة، لقد أفحمتنى... وإنه ليسرنى التعرف به لو وجدته يحسن الحديث..

– أظنه قادرا على ذلك... فهو يتحدث فى الزراعة والرسم والموسيقى، وله ثقافة عامة بما يكفل له الزعامة..!

– عجبا..! أتكومن له فى سن الثالثة والعشرين الصدارة على من معه..؟

– إن حسن إدراكك يا عزيزتى إما كفيل بجعلك تجزمين بأن هذا الجرو المدلل لا يحتمل..!

– إنك تقلب الأشياء رأسا على عقب، فالحسن قبيح.. وأنت متحيز ضده...

– لست متحيزا..!

– لكن متحيزة له للغاية... ولا أستحى، فإن حبى للزوجين وستون يجعلنى لا آلف عن التحيز له..

رد المستر نايتلى مغتاظا:

– إنه شخص بلا قيمة..

فاضطرت إلى تغير مجرى الحديث...

ولم تدر سببا لغضبه...

كانت تعيب عليه اعتزازه بنفسه دائما...

نص الرسالة

تحدثت إما مع هاريت وهما تسيران ذات صباح عن المستر ألتون بما فيه الكفاية. وفى طريق العودة حرصت على إنهاء الحديث..

تواصل الحديث عن الفقراء، وإذا بهاريت تقول:

- كم هو بار بالفقراء، المستر ألتون..!

كانت بالقرب من بيت المسز بيتس وابنتها، فقررت إما الدخول للزيارة...

كان البيت ملكا لجماعة من رجال الأعمال والمرأتين تقيمان بالدور الأرضى فى شقة متواضعة.!

نهضت العجوز من مكانها للترحيب؛ لأنه وود هاوس ورفيقتها، بيما انطلقت ابنتها للترحيب بهما وشكرهما على الزيارة..

وتسائل بلهفة عن صحة المستر وود هاوس وتتحدث عن الفطيرة التى صنعتها... وأحضرتها من البوفيه..

قالت:

- كانت المسز كول هنا منذ قليل وتناولت قطعة من الفطيرة.. وأعجبتها كثيرا... ونأمل أن تتفضلا وتتذوقاها..

تطرق الحديث إلى المستر ألتون الذى تربطه مودة بأسرة كول.. ولقد

أرسل المستر ألتون خطابا إلى المستر كول...

قالت المس بيتس:

- إن المستر ألتون كما تقول ابنة خالتى فى رسالتها يجيد الرقص..

قالت إما وهى تبتسم:

- أرجو أن تكون المس فير فاكس بخير..

قالت الخالة:

- شكرا، كم أنت عطوفة.. ها هى الرسالة.. لقد قرأتها للمسز كول... وهى مكتوبة فى صفحتين لا أكثر..

أشارت إما بجمال خط المس فير فاكس..

قالت المس بيتس:

- يا لك من رقيقة.!

قررت إما أن تهرب من سماع رسالة جين دون فظاظة.. ستبدى عذرا تافها وتخرج... لكن المس بيتس قالت:

- إن أمى تسمع جين بوضوح عنى لأنها تتحدث بوضوح، ولقد مر عامان منذ كانت هنا...

- هل تنتظران مجيئها قريبا؟

- أجل، بعد أسبوع..

- شئ يبعث على السرور، دون شك..

– يا لك من عطوفة..! وستسر برؤية أصدقائها فى (هايبرى).. وقد تأتى يوم الجمعة أو السبت وهذا هو سبب فى إرسالها الخطاب فى وقت لم نكن نتوقعه..

إنها ستقيم معنا لمدة ثلاثة شهور على الأقل، وخلاصة القول أن أسرة كامبيل ستسافر إلى أيرلندا لأن ابنتهما زينت لها السفر إليها.. لقد تزوجت فى اكتوبر الماضى.. فكتبت رسالة عاجلة الى أمها وأبيها... سيلتقون بابنتهما وزوجها المستر (دركسون) فى دبلن ثم يعودون إلى مقرهما فى (بالى كريج)...

قالت إما:

– لابد أنك تشعرين بأنه حسن الحظ أن يسمح لمس فير فاكس بالحضور إليكما فى هذا الوقت، فإنه لم يكن يتوقعا ألا تصحب المقدم كامبيل وزوجته فى رحلتهما إلى أير لندا..

– بالطبع، فنحن نود أن تبعد عنا، وتقول جين أن المستر دكسون يوليها كل العناية، وهو شاب ظريف للغاية.. لقد أنقذها ذات مرة من الوقوع من القارب.. ومن يومها وأنا أحب هذا الرجل..

– لكن المس فير فاكس رغم الإلحاح تفضل تكريس وقتها لكما...

– أجل، وبمحض اختيارها.. ويريد المقدم وزوجته أن تستمتع بالهواء فى مسقط رأسها..

– لكم أطرب لسماع هذا... لكن لابد وأن المسز دكسون قد شعرت ببالغ الأسى... وأنا أعلم أن المس فير فاكس تفوقها جمالا وملاحة..

– لا وجه للمقارنة بينهما... المس كامبل فى منتهى البساطة وغاية فى الظرف والرشاقة..

– أجل، شئ مؤكد..

– المسكينة جين أصابها برد شديد.. كان ذلك منذ وقت طويل.. منذ السابع من شهر نوفمبر ولم تبرأ منه.. وهى تأتى إلى بلدتها، وتستنشق الهواء الذى يلائمها.. ومدة الثلاثة شهور فى (هايبرى) كافية لتشفى تماما...

– هذا قرار حكيم..

– وأنا دائما أقرأ رسائل جين وحدى قبل أن أقرأها بصوت مرتفع لأمى خشية أن يكون فيها ما يسوء.. وهذه رغبة جين.. وأنا أنفذها..

ولقد فزعت أمى كثيرا... وإن لم تتحسن صحة جين سندعو المستر برى ليعودها مهما بلغت النفقات... والآن دعينى أقرأ لكما خطاب جين..

قالت إما وهى تنظر إلى هاريت وتهم بالوقوف:

– أنا آسفة، فلابد أن نسرع إن والدى بانتظارنا ولقد طالت زيارتنا... ومن واجبنا أن نقول لك والمسز بيتس: عمتما صباحا..

– وبلغت إما الطريق وهى مسرورة؛ فقد نجحت فى الفرار من الاستماع إلى نص الرسالة كلها..!

جيــــن

كانت جين فير فاكس يتيمة وابنة وحيدة لصغرى بنات المسز بيتى.. لكن أباها الملازم فير فاكس قضى نحبه وهو يؤدى عمله بعيدا عن البلاد، ثم ماتت أرملته حزنا ومريضة بداء السل... وابنتها فى الثالثة، فانتقلت لترعاها جدتها وخالتها..

لكن أحد أصدقاء والدها، المقدم كامبيل، كان قد عاد إلى الوطن فسعى إلى استضافة جين فى بيته... وسرعان ما توطدت الصداقة بين الطفلة وابنة المقدم كامبيل..

عاشت جين فى أسرة المقدم، حتى لم تكن تزور جدتها إلا بين الحين والآخر...

سعى المقدم إلى تقليم جين وإعدادها لتصبح مدرسة...

هذه هى حكاية جين، فلم تر من الأسرة غير العطف والحنان.. ونالت قسطا لا بأس به من التعليم وعاشت مع بشر اتصفوا برجاحة العقل وسعة المعلومات..

أولاها المقدم كل عنايته وعهد بها إلى الاساتذة الممتازين.. وأصبحت مدرسة وهى فى نحو الثامنة عشرة...

عاشت جين فى كنف الأسرة إلى أن تزوجت المس كامبيل من المستر دكسون الجميل ذى الثروة الطائلة...

الآن وقد بلغت جين الحادية والعشرين فقد استجمعت قواها واعتزمت أن تدخل معترك الحياة..

لكن المرض لازمها منذ زواج ابنة المقدم، فأصر المقدم وزوجته على أن تخلد إلى الراحة حتى تسترد قواها، ولما حين ليسافرا إلى ابنتهما فى ايرلندا وجدتها جين فرصة للسفر إلى (هاييرى) لتستمتع بضعة شهور بالإقامة فى أحضان جدتها وخالتها.!

وافق الزوجان كامبل على الفكرة وسافرت جين إلى هاييرى..

حزنت إما لأنها مضطرة إلى الترحيب بجين وهى لا تحبها على مدى ثلاثة شهور كاملة..

أخبرها المستر نايتلى أن سبب كراهيتها لجين أن الفتاة تجمع المحاسن كلها.. لكنها لم تستطع قبولها بسبب تحفظها وإعراضها ناهيك عن خالته الثرثارة...

لقد تصور الناس أنها وجين ستكونان صديقتين حميمتين.. فهما فى سن واحدة...

زارتها بعد غياب سنتين وأدهشها ما رأته من أن الفتاة ظلت على حالها فى السلوك والمظهر. كانت رشيقة وذات طول مناسب وقوام رقيق، ومحياها الجميل الذى يسر الناس التطلع إليه...

كانت لها عينان سوداوان وأهداب وحواجب سوداء.. وبشرة صافية... كان جمالها يمتاز بالرشاقة...

جلست إما فى الزيارة الأولى تتأملها راضية من ناحيتين ناحية

شعورها بالسرور، ومن ناحية شعورها بأنها توفيها حقها..

رأت إما الآن أنها أميل إلى تبرئتها من تهمه إجبار المستر دكسون على حبها بدل زوجته.. وها هى قد جاءت وقد قررت أن تشق طريقها فى الحياة باحتراف مهنتها الماضية...

تركتها إما وهى تشعر بالحنان والعطف عليها، وها هى تفكر فيها وهى عائدة إلى بيتها.. وحزنت لأنه ما من شاب فى هايبرى جدير بالفتاة.

قضت جين وجدتها وخالتها أمسية فى ضيافة إما فى هارتفيلد.. بدءوا يعزفون واضطرت إما للعزف...

كانت جين على درجة كبيرة من الحذر والفتور.. ولقد بلغت المساوئ الذروة، فقد كانت جزرة بالنسبة لموضوع ويموث وأسرة دكسون، وقد بدا أنها لا تجازف ولا تبوح بشئ.. تحت ستار الأدب...

وكانت جين تحيط موضوعات أخرى بالكتمان؛ إذ حدث أن كانت فى ويميوث مع المستر فرانك تشرشل.. ولقد تعارفا هناك...

سألته إما:

– هل هو وسيم..؟

– أعتقد أنه ظريف جدا...

– ولطيف..؟

– هذا الرأى السائد عنه بوجه عام..

– وهل بدا عليه ما يدل على أنه شاب ذو عقل حصيف، واسع المعلومات؟

– الجميع كان يجد سلوكه مرضيا.!

أمسية رائعة

اعتاد المستر (نايتلى) الظن بأن إما ظالمة لجين، وسره الآن أن يرى ما حدث من تحسن فى العلاقة بينهما..

حين عاد نايتلى إلى هارتفيلد لأمر بينه والمستر وود هاوس فى صباح اليوم التالى عبر عن استحسانه لكل ما رأى..

وما كاد ينتهى مع المستر وود هاوس قال:

– كانت أمسية ممتعة للغاية يا إما لأنك والمس فير فاكس جعلتمونا نستمع موسيقى رائعة، وما أمتع أن يجلس الإنسان مع هاتين الفتاتين تروحان عنه بالحديث والموسيقى.. لقد سرنى يا إما أنك جعلتها تعزف كل هذا الوقت، فقد كان هذا متعة لها ولا شك نظرا لأن جدتها لا تملك بيانو،،،

قالت وهى تبتسم:

– يسرنى أن أراك راضيا، وأرجو ألا أكون مقصرة مع ضيوف هارتفيلد..

قال والدها:

– لا يا عزيزتى، فهذا ليس طبعك، وما من أحد يماثلك رعاية وترحيب بالضيوف. عنايتك بالغة بكل شئ..

قال نايتلي:

– لا، لم تقصري لا في الفهم ولا في المعاملة للناس، وأظنك فاهمة لما أعنيه..

– إن المس فير فاكس شديدة التحفظ..

– آه، صحيح، لكنك لابد متغلبة على ما قد يكون عندها من تحفظ أساسه الخجل، فالحرص خليق بالاحترام..

– تحسبها خجولة بينما لا أراها كذلك..

– آمل ألا تعتقدي أنك لم تقض أمسية ممتعة..

– لا، مطلقا.. سعدت بمثابرتي على توجيه الأسئلة إليها.. ولم أفز من المعلومات إلا بالقليل..

– لقد خاب أملي..

قال المستر وود هاوس:

– أرجو أن يكون الجميع قد أمضوا أمسية ممتعة.. لقد استمتعت.. كانت المس بيتس ثرثارة بقدر ما كانت معتدلة المزاج.. كعادتها دائما.. وهي ظريفة وكذلك والدتها المسز بيتس.. وكذلك المس جين فير فاكس، فهي ظريفة وحسنة الخلق، ولابد أن الأمسية أعجبتها وذلك لوجود إما..

قال نايتلي:

– صدقت يا سيدي، وكذلك. سرت إما لأن المس فير فاكس كانت موجودة..

قالت إما :

– إنها مخلوق طريف.. وأنا أراقبها باعجاب دائما، كما أشفق عليها من سويداء قلبى..

قال المستر وود هاوس عن أسرة بيتس:

– شئ محزن أن تضيق حالتهم إلى هذا الحد. يا لها من مأساة.. لطالما وددت لو أقدم لهم بعض الهدايا البسيطة. لقد ذبحنا خنزيرا وتفكر إما فى إرسال فخذ منه إليهن.. وخنازير هارتفيلد ليست لغيرها.. ما رأيك يا عزيزى..؟

– لقد أرسلت إليهن ربع الخنزير الخلفى يا والدى العزيز لعلمى أن هذا يسرك...

– رائع يا عزيزتى، إنه يمن الصواب..

قال المستر نايتلى:

– إنى أحمل لك يا إما خبرا، فأنت مشغوفة بسماع الأخبار.. وصل إلى سمعى وأنا فى طريقى إلى هنا خبر أظنه يستدعى اهتمامك..!

– ما هو..؟ ولماذا تبتسم..؟ وأين سمعته..؟ وهل سمعته فى راندولز..

– لا، بل لم أكن قريبا من راندولز..

انفتح الباب فجأة، ودخلت الحجرة المس بيتس والمس فير فاكس.

وانطلق لسان الأولى بالشكر وبالأنباء، فأدرك نايتلى أنه قد فاتت الفرصة..

– كيف حالك يا سيدى العزيز..؟ لقد حضرت يا مس وود هاوس لأشكرك على هديتك البديعة... هل سمعت النبأ..؟

المستر ألتون سيتزوج..

لم يكن لدى إما وقت لتفكر فى الرجل... فاحمر وجهها..

قال نايتلى:

– هو ذا الخبر الذى أردت أن تعرفيه.. وكنت أحسبك تهتمين بسماعه..

فسألته المس بيتس:

– من أين أتميت بالخبر يا مستر نايتلى..؟ لم تمض سوى خمس دقائق على البرقية التى بعثتها لى المز كول..! اسم العروس المس هوكنز. من أهالى (باث).. لكن كيف عرفت الخبر يا مستر نايتلى.؟

– كنت فى عمل مع المستر كول منذ ساعة ونصف ولما فرغ من قراءة رسالة المستر ألتون وقت دخولى سلمها لى على الفور..

– هذا صحيح... وشكرا لك يا سيدى. والدتى تشكرك على كرمك... وتقول إنك غمرتها بالفضل..

أجابها المستر وود هاوس:

– إن الخنازير فى هارتفيلد ممتازة وتفوق غيرها، حتى إننا، إما وأنا، نجد لحمها ألذ اللحوم..

– أجل يا سيدى العزيز.. إن أصدقاءنا كما تقول والدتى يأسروننا بفضلهم... آه يا مستر نايتلى إذن فقد اطلعت على الخطاب بالفعل.؟

– كان خطابا قصيرا، لكنه كان باعثا على البهجة والسرور..

ونظر نظرة ماكرة إلى إما وقال:

– إنه حسن الحظ، ولقد فهمت من الخطاب أنه قد تم الاتفاق على كل شئ:..

قالت إما:

– عجبا أن يكون أقدم على الزواج..! نرجو له السعادة..

قال أبوها:

– إنه صغير على الزواج وكان الأحرى ألا يتعجل، ويبدو أنه غنى كان وجوده فى هارتفيلد مبعث سرور لنا دائما.

قالت المس بيسى:

– أصبح لنا جار جديد يا مس وود هاوس، ووالدتى فى غاية السرور وتقول إن بيت راعى الأبرشية غير محتمل بلا زوجة.. إنك لم تشاهدى المستر ألتون يا جين...

– لا، لم أره... هل هو طويل القامة؟

فصاحت إما:

– إنه ليس بالطويل ولا بالقصير، وهو عنوان للكمال فى (هايبرى) جسما وعقلا..

قالت المس بيتس:

– أعتقد أن المس هوكنز ممتازة، وما أعظم اهتمام المستر ألتون

بوالدتى، فقد أبدى رغبته فى أن تجلس فى المقصورة الخاصة بالكنيسة حتى تتمكن من السمع... وسوف يكون هنا قريبا المستر ألتون والمس هوكنز وأسرة كول وأسرة برى..

قالت إما:

– أراك صامتة يا مس فير غفاكس، لكنى آمل أن يثير هذا الخبر اهتمامك أنت التى سمعت ورأت الكثير فى الأيام الأخيرة...

– ربما سوف أهتم بالخبر عندما أرى المستر ألتون..

قالت المس بيتس:

– لقد ذهب منذ أربعة أسابيع وحسب.. أجل، إنها المس هوكنز، أجل، وليس لمخلوق أن يندهش إذا كان المستر ألتون طموحا...!

آه.. يا مس وود هاوس، كيف حال المس سميث..؟

يبدو أنها شفيت تماما.. وهل وصلك خطاب من المستر جون نايتلى؟ ما ألطف الصغار..! أتدرين يا جين أننى أتخيل دائما التشابه بين المستر دكسون والمستر جون..؟ فى الطول والهيئة وفى عدم الثرثرة..

– لا يا خالتى العزيزة، فلا تشابه بينهما مطلقا..

– عجيب... وأنت تقولين إن المستر دكسون ليس وسيما...

– لا، إنه بعيد عن الوسامة، فهو شخص عادى.. لقد أخبرتك بذلك..

– لقد قلت يا عزيزتى أن المس كامبيل لا تسمح بأن يقال عنه هذا...

– أما من جهتى فحكمى لا يساوى شيئا.. ولقد قلت ما أعتقد أنه

الرأى السائد..

- أجل يا عـزيزتى جـين... وأظن أنه لابد لنا من الانصـراف لأن الطقس سئ... وستقلق جدتك..

سوف أمر الآن بمنزل المسز كول أما أنت يا جين فاذهبى إلى البيت توا...

الآن عم صباحا يا سيدى العزيز.. ها هـو المستر نايتلى قادم معنا أيضا.. شئ جميل...

انفردت إما بوالدها... وكانت سعيدة بالنبأ لأنه دل على أن المستر ألتون لم تطل آلامه، ولكنها حزنت لأجل هاريت.. فلا مفر من أن تشعر هاريت بالألم..

دخلت هاريت بعد دقائق وعلى وجهها علامات اضطراب، وقالت:

- عجبا يا مس وود هاوس..! ماذا حدث..؟ لقد غادرت بيت المسز جودارد منذ نصف ساعة.. ومرت بدار فتاة خياطة قررتها... ثم خرجت ولجأت إلى متجر (فورد) لبيع الأقمشة لأحتمى من المطر المنهمر.. من تظنين يدخل فجأة المتجر..؟ اليزابيث مارتن وأخوها..!

حـسـبـتنى سـيـغـشى على يا مس وود هاوس..! لم أدر مـاذا أنا فاعلة...

وقع بصر اليزابيث على، أما هو فلم يرنى.. لكنها حولت نظرها عنى ولم تعرنى التفاتا... ووصلا الى نهاية المتجر وأنا جالسة قرب الباب... آه، كم شعرت بالشقاء..! آه.. لقد التفت نحوى ورآنى.. وراحا يتحدثان

همـا.. ثم أتت نحوى وسألتنى عن صحتى.. ولاحظت أنها تغيرت نحوى.. فتصافحنا... ولبثنا بتحدث... وتملكتنى رعدة. قالت إنها آسفة لأننا لا نلتقى هذه الأيام.. ثم اتجه نحوى على مهل وراح يتحدث وأنا أجيبه.!

تشجعت وقلت إن المطر توقف ولا بد لى من الذهاب.. ثم خرجت فلحق بى قائلا إننى لو كنت ذاهبة إلى هارتفيلد فالأفضل أن أسلك الطريق المار بحظيرة المسشتر كول..

فشكرته.. وعاد هو إلى اليزابيث وأتينت أنا من طريق الحظائر...

لقد ارتاحت نفسى عندما رأيته رقيق الشعور مغتبطا، وكذلك اليزابيث...

لم تتكلم إما... لقد كان طبيعيا أن يحزن مارتن لعدم الفوز بهاريت؛ فقد طعن طموحه وحبه فى الصميم...

ثم ما لوصف هاريت من قيمة..؟

إنها يمتلكها السرور بسهولة ولا تميز الغث من الثمين..فما قيمة مدحها..؟

العــــروس

إن الطبيعة البشرية تبدى كرما نحو من كانوا فى موقف تستدعى الاهتمـام.. فلم يكد الأسبـوع يمـر على تردد اسم المس هوكنز فى (هايبرى) حتى راح الناس يشيدون بمحاسنها ويتغنون بجمالها ورشاقتها وثقافتها الرفيعة وظرفها البديع...

ولما عاد المستر آلتون إلى ذكرها لم يجد ما يضيفه سوى اسمها الأول والموسيقار الذى تهوى ألحانه...

عاد وهو يشعر بمتهى السعادة، بعد رحيله المؤلم ورفضه من إما وخسرانه تحقيق أمله..

لقد رحل عن (هايبرى) ممزقا وعاد اليها مخطوبا لفتاة أخرى تفوق الأولى... وهو مسرور وقانع وواثق بنفسه، عنده حافز وعمل، لا يفكر فى المس وود هاوس ويتحدى المس سميث..

كان (لأوحتا هوكنز) علاوة على جمالها البديع ومواهبها ثروة تبلغ العشرة آلاف جنيها، وفى هذا حفظ لكرامته وراحة لباله...

تناقل الناس حكايته. لقد فاز بأنثى تملك عشرة آلاف جنيها فى يسر وسرعة.. بعد ساعة من التعارف... مقابلة عن طريق الصدفة -كما ذكر للمستر كول- ثم تناول الغداء بمنزل (المستر جرين) ثم وليمة فى بيت (المز براون) وأمكنه التأثير بسهولة على الفتاة... حتى كانت

مستعدة لقبوله وحبه...

وهكذا فاز بالمال والحب، وأصبح رجلا سعيدا، لا يتحدث إلا عن نفسه ومهامه الجسام، يتلقى التهاني، ولا يخشى مخاطبة الحسان وهو باسم وفى تودد...

وكان موعد القران وشيكا بعد استحضار الضرورى من الأثاث والأجهزة... ولما رحل ثانية الى (باث) أصبح الكل على توقع أن يعود إلى (هايبرى) بصحبة عروسه.. لم تره إما أثناء إقامته القصيرة إلا نادرا، وشعرت عقب المقابلة الأولى أنه لم يزل متألما... وأنها حين تراه يثير فى نفسها الذكريات البغيضة...

كانت ترجو له كل خير، لكن رؤيته كانت تؤلمها، وودت لو أنه عاش بعيدا عنها بعشرين ميلا..

لكن مجئ المسز ألتون دون شك سيبدأ صلات جديدة على أساس مختلف..

أما العروس فهى لا بأس بها، لكن جمالها يكاد يكون عاديا إذا قورن بجمال هاريت.. ثم إن ألتون لم ينل شيئا يذكر.. فهى إن قورنت بهاريت لا تتفوق عليها بشئ.. وهى لا تحمل اسما عريقا ولا سند لها... إن (المس هوكنز) صغرى ابنتى تاجر فى برستول.. ولقد مات والداها منذ بضع سنين فقد بقى لها عم يشتغل بالقانون عاشت وأختها فى كنفه، وهو محام عادى خامل..

أما ما رفع صيت عائلة هوكنز فهو زواج الأخت الكبرى من ثرى قرب برستول يملك سيارتين..

لكم ودت إما أن تحدثها هاريت عن مشاعرها، لكن وا أسفاه هى صموت كالقبر.. لقد شغل ألتون قلبها ولن يبرئها الكلام من حبه... ولابد أن يحل محله رجل آخر.. لقد زادها رجوع ألتون لوعة وأسى لأنها تراه أينما ذهبت..!

لكن هاريت تناست ألتون إلى حين عندما زارت (اليزابيث مارتن) مسز جودارد بعد أيام...!

لم تكن هاريت بالمنزل حين وصلت إليزابيث، ولقد تركت لها رسالة تقتضى الرد... مكتوبة بأسلوب مؤثر فيه لوم ممزوج بالعطف...

فى يوم رحيل ألتون إلى (باث) رأت إما أنه من اللائق أن ترد هاريت الزيارة لاليزابيث مارتن.. فهذا أفضل ما يمكن عمله...

رأت أن تصحبها فى المركبة ثم تتركها عند مساكن الرهبانية وتبعد بالمركبة قليلا، ثم تعود إليها بعد وقت يسير لتأخذها إلى البيت..

لم يكن ثمة حل أفضل من هذا بالتأكيد.!

حنيـــن

لم تتحمس هاريت للزيارة.. لكنها ذهبت.. فلما وصلتا إلى المنطقة. نزلت عند آخر الممشى العريض النظيف الممهد بالحصى والذى تحفة من الجانبين أشجار التفاح، فبعث هذا فى نفسها لواعج الحزن والأسى.

لاحظت إما حين افترقت أنها كانت تدقق فيما حولها وهى وجلة، فعزمت على ألا تزيد الزيارة عن ربع ساعة.. ثم ابتعدت لتقضى الفترة مع خادمة عجوز كانت بخدمتهم اتخذت دونول مقرالها منذ زواجها..

بعد ربع الساعة عادت إلى المكان، وما كادت المس سميث تسمع نداءها حتى هرعت إليها، وعلى البوابة كان فى وداعها إحدى أختى مارتن..

لم تر هاريت سوى المسز مارتن والفتاتين.. وكن فى ريبة.. وتحدثن فى الأمور العادية، إلى أن قالت المسز مارتن إن هاريت زاد طولها عما كان، وأخذن يتحسرن على ما مضى.. وبدا عليهن أنهن مستعدات لتناسى ما كان والعودة إلى ما كان من سابق العلاقة، وإذا بهن يسمعن صوت إما فانتهى كل شئ...

كانت هاريت، كما توقعت إما، على استعداد لكى يحل الصفاء وتزول الجفوة..!

كانت مهمة مؤلمة، وشعرت إما بالآلم الذى لحق بهاريت من

الزيارة... وعزمت على التضحية لكى تعود المياه إلى مجاريها..

قررت أن تتجه بالمركبة إلى (راندولز)... لكن ما إن وصلت المركبة إلى هناك حتى علمتا أن الزوجين وستون خرجا منذ قليل... إلى هارتفيلد..!

انطلقت المركبة فى الطريق إلى هارتفيلد إلى أن توقفت. أطلت إما من النافذة، فإذا بالزوجين وستون هما اللذان أوقفا.. قال المستر وستون:

– كيف حالك يا إما؟ لقد كنا مع والدك وسرنا أنه بخير.. إن فرانك قادم غدا عند الظهر؛ فقد أرسل رسالة وصلت فى الصباح وسيقيم معنا أسبوعين.. والطقس الآن مناسب.. طقس جميل وجاف وغير متقلب، وسنسعد تماما. لقد أصبح كل شئ على ما يرام..

أمنت المسز ستون على ما قاله زوجها.. وسرت إما لسرورهما.. وذهب بها التفكير إلى الأمل فى ألا يتطرق الحديث إلى المستر ألتون بعد اليوم..

ثم قال المستر وستون:

– وسوف أجئ به سريعا إلى هارتفيلد..

قالت المسز وستون:

– هلم بنا يا مستر وستون؛ فقد عطلنا الفتاتين..

– أجل،

– أجل.. هلمى...

وقال لإما:

– لا تنتظرى أن يكون شابا ظريفا، وقد لا يعدو أن يكون شابا عاديا...

قالت المسز وستون:

– عليك بأن تفكرى فى يا عزيزتى إما حوالى الساعة الرابعة..

فصاح وستون:

– بلى فى الثالثة...

شعرت إما بالسعادة تملك عليها مشاعرها.. لقد تغيرت نظراتها إلى الأشياء كلها، فخيل إليها أن شجيرات العنب ستزهر فى التو وتخرج ثمارها.. وتطلعت إلى هاريت ورأت على ثغرها ابتسامة كذلك... عذبة...

سألتها هاريت:

– هل سيمر المستر فرانك تشرشل، بباث كما يمر باكسفورد؟

قالت:

– سنعرف هذا فى حينه.!

لم يكن لديها فكرة عن الجغرافيا، كما كان ذهنها شاردا وأخيرا أقبل صباح اليوم المنشو.. فنزلت إما من حجرتها وهى تحدث نفسها قائلة:

(كم أنا قلقة عليك يا أعز صديقة..! أنت شديدة الاهتمام براحة الناس إلا راحتك...)

دقت الساعة الثانية عشرة.. فقالت:

(لن أنسى أن أفكر فيك عزيزتى المسز وستون أربع ساعات منذ

الآن، وسافكر فى الغد فى أنهم سيجيئون لزيارتنا جميعا... ولن يتوانيا فى إحضاره معهما).

وحين فتحت باب حجرة أبيها فوجئت بجلوس سيدين لم يكن المستر وستون قد انتهى من توضيح سبب مجئ فرانك مبكرا يوما عن موعده... ولم يكن أبوها يفرغ من الترحيب بالضيفين العزيزين..

دخلت فى دهشة، وتم التعارف فى غمرة السرور... ها هو فرانك ماثل أمامها...

كان شابا وسيما للغاية... رائع المظهر والحديث.. تفيض نفسه حيوية كأبيه... متزنا نشيطا..

آنست فيه لين الجانب والإقبال على الحديث..

كان قد وصل إلى راندولز مساء أمس.. فقد استعجل الوصول فى اضطره لتغيير خطته فى السفر...

صاح المستر وستون:

– لقد أخبرتك بالأمس بأنه سيكون هنا قبل الموعد المحدد..

وقال فرانك:

– إنه لمن بالغ السرور أن يجد الانسان مكانا يستمتع فيه.. وأشعر بأننى سأوفق إليه بحضورى إلى موطنى..

كان سروره براندولز عظيما، وبد له المنزل على أحسن ما يكون من النظام والترتيب.. وكان اعجابه بهارتفيلد فوق كل شئ... وراح يتحدث عن روعة الريف، وريف وطنه بالذات الذى يهواه فؤاده...

كان يوجه إليها الأسئلة: أهى فارسة تركب الخيل..؟ وهل فى هابيرى ركوب للخيل؟ وهل توجد منتزهات.؟ وهل توجد مراقص..؟ وهل هو مجتمع مولع بالموسيقى.؟

ثم راح يثنى على زوجة أبيه كثيرا، فهو شديد الاعجاب بها ولما تقوم به لإسعاد أبيه، كما شكر لهما حب الترحيب به..

قال:

– كنت أتوقع أن أراها شخصا لطيفا كريم الأخلاق، لكنى أعترف بأنى لم أنتظر أن أرى سيدة جميلة وفى سن معقولة... إنها سيدة جميلة وشابة..

قالت إما:

– لست تبالغ مهما مدحتها... لكنها لن تتوانى عن الشجار معك لأنك تمتدحها. حذار أن تدعها تظن أنك تحدثت عنها كفتاة جميلة..!

– أرجو أن أتحسن فى المستقبل، لا.. كونى واثقة بأننى فى حديثى معها ساكون حريصا...

كان المستر وستون أثناء الحديث يرمقها بنظرة خاطفة مسرورا، وهى واثقة أنه كان ينصت لما يقولان..

سأل أبوها فى لهفة عن مدى لقيه المستر فرانك من راحة فى سفره وقد اضطر إلى النوم ليلتين فى الطريق وعبر عن سروره لرؤيته لم يصب بالبرد..

ثم نهض المستر وستون لينصرف قائلا:

– لابد أن أذهب لأن لى أعمالا فى (كراون) تتعلق بالعشب الجاف، ثم أذهب إلى متجر فورد لقضاء بعض الحاجات للمز وستون، وأنا لا أجد ما يدعو لتعجل الآخرين فى الانصراف.!

نهض فرانك فى الحال وهو يقول:

– سأغتنم الفرصة لأقوم بزيارة فتاة تقيم فى هايبرى.. ومن أسرة تدعى فير فاكس... فى بيت المسز بيتس.. فهل تعرفين يا مس وود هاوس أسرة بهذا الاسم.؟

قال والده:

– مؤكد أننا نعرفه.. فقد مررنا به وشاهدة المس بيتس تطل من النافذة... وأعلم أنك قابلت المس فير فاكس فى (ويموث) وهى ظريفة، فزرها بالتأكيد...

قال فران:

– لا ضرورة الآن... سأؤجل الزيارة إلى يوم آخر..

صاح والده:

– عجبا.! إذهب ولا تؤجل الزيارة.. وثمة ملاحظة أخرى من واجبى أن أبديها لك يا فرانك: لا ينبغىَ أن تقصر فى شئ نحوها وهى هنا.. فهى الآن مع جدة عجوز فقيرة وتعيش على الكفاف، وإن لم تبادر بزيارتها كان ذلك إهانة..!

قالت إما:

– سمعتها تتحدث عن لقائها بك، وهى فتاة رشيقة للغاية..

أجاب بفتور:

– نعم..

قالت:

– وستراها على أحسن ما تكون.. وأخشى ألا تسمعها أبدا لوجود خالتها الثرثارة..

قال المستر وود هاوس:

– أؤكد أن المس فير فاكس فتاة ظريفة للغاية، وهى تقيم هنا، وقد جاءت لزيارة جدتها وخالتها، وهما جديرتان بالإعجاب وستفرحان كثيرا لرؤيتك... وسيصحبك أحد الخدم ليدلك على الطريق..

– لا يا سيدى، فوالدى سيرشدنى..

– لكن والدك لن يواصل معك، فهو ذاهب إلى كراون.. وهى على الجانب الآخر من الطريق.. والمنازل كثيرة، وقد تضل الطريق..

اعتذر فرانك وسانده والده بحماس قائلا:

– هذا غير ضرورى بالمرة يا صديقى العزيز.. إن فرانك سيصل إلى بيت المسز بيتس بمجرد وثبة ثم خطوة تتلوها وثبة..

انصرف السيدان...

وبقيت إما ترفرف عليها أجنحة السعادة لبداية التعارف.. لقد أصبح فى مقدرها الآن أن تفكر فى بيت (راندولز) جميعا فى كل ساعات النهار وهى واثقة بأنهم فى غاية الهناء..!

تقـــارب

عـاد المسـتـر فـارنك تشـرشل إلى هـارتفـيلد فى الصـبـاح التـالى وبصحبته المسز وستون التى بدا أنه أغرم بها من أعماق قلبه مثل ما تعلق بهايبرى..

لم تكن إما تتوقع مجيئهما، ولم يكن المستر وستون يعلم شيئا عن عزمهما للمجئ إلى هارتفيلد، فقد زار هاتفيلد قبلهما واستمتع بسماع الحديث عن ابنه وظرفه...

رضيت كل الرضا عندما شاهدت فرانك والمسز وستون معا.. هذا دل على رغبته فى اتخاذها صديقة له واكتساب محبتها..

اتسع الوقت أمام إما لتكون رأيا سليما عنه، ولقد تنزه ثلاثتهم معا ساعتين حول شجيرات التوت فى هارتفيلد وفى هايبرى، ولقد أعجب الشاب بهارتفيلد مما أسعد المستر وود هاوس كثيرا وراح يمتدحه على غير ما توقعت إما..

لقد رجا أن يرى البيت الذى عاش فيه والده طويلا وكان فى الأصل بيت لجده.. وقام بزيارة لامرأة عجوز قامت بتربيته وأجزل لها العطاء...

راقبـتـه إمـا عن كثب، واتضـح له أن مـا ادعـاه المسـتـر نايتلى عن أعذاره فى عدم المجئ كان ظلما..

توقفوا عند (نزل التاج) وبه زوجان من الخيل المخصصة لمركبات

السفر.. وراحت المرأتان تسردان تاريخ الصالة الفسيحة التى أضيفت إلى البناء، وكانت مشيدة كصالة للرقص... لكن ذلك كان فيمت مضى..

مضى إلى نافذة وأطل منها ثم أعلن عزمه على إحياء الصالة من جديد..!

اندهشت إما، فهو فى جداله يشبه ما لأسرة وستون من صفات وعادات تطغى على أسرة تشرشل... ففيه حيوية والده وسرور وحب المجتمعات.. وبلا كبرياء..

ومروا ببيت المسز بيتس واقترحت إما أن يقوموا بالزيارة فقال:

– أجل، أجل، كنت موشكا على اقتراح هذا..

وكانت الزيارة موفقة للغاية بالأمس.. وأشكرك على تحذيرى من ثرثرة لمس بيتس..! لكننى لم أستطع الافلات من البيت بعد ثلاثة أربع الساعة والفضل لوالدى الذى لحق بى هناك..!

– وما رأيك فى المس فير فاكس.؟

– مريضة للغاية... شاحبة اللون مما يجعلها معتلة الصحة..

أخذت إما تدافع عن بشرة المس فيرفاكس...

قالت:

– إن بشرتها رقيقة ناعمة، مما يكسب محياها جمالا له طابعه الخاص..!

أصغى إليها بحب، ولكنه اعترف بأن البشرة النضرة تصفى جمالا على القسمات..

قالت إما:

– لا مجال للنقاش فى الذوق، فأنت على الأقل معجب بكل ما فيها عدا بشرتها..

– لا أستطيع أن أفصل بينها وبين بشرتها..

– هل كنت ترتها كثيرا فى (ويموث)؟

اقتربوا من متجر فورد فقال:

– لابد أنه المتجر الذى ذكر أبى أنه يتعامل معه.. وأرجو أن تسمحا لى بالدخول لأبرهن أننى من أبناء هايبرى الأصلاء.. لابد من شراء شئ من المتجر.. هل يبيعون القفازات.؟

أجابته إما:

– نعم.. وأرى أنك ستكون محبوبا للغاية فى هايبرى.. فقد ذاع صيتك قبل مجيئك... لأنك ابن المستر وستون، ولو صرفت نصف جنيه هنا لطغت شهرتك على فضائلك...

دخلو المتجر، فقال:

– أؤكد يا مس وود هاوس إنه مهما ذاعت شهرتى بين الناس فلن يعوضنى ذلك عن السعادة التى افتقدها فى حياتى الخاصة..

سألته:

– أستنتج أنك على علم بمركز المس فير فاكس فى الحياة، وما هو مصيرها..؟

– أجل...

قالت المسز وستون بابتسام:

– سأبتعد عنكما قليلاً...

فرغوا من شراء القفازات وغادروا المتجر، وقال فرانك:

– هل سمعت عن الفتاة التي كنا نتحدث عنها وهي تعزف.؟

أجابته إما:

– لطالما سمعتها... إنها رائعة ومن أهل هاييري..

– أحقا..؟ إن لي بالموسيقى ولعا شديدا، لكنني لا أعرف العزف..

– والمستر دكسون خبير بالموسيقى، أليس كذلك..؟ إننا سنعرف منك عنهم في نصف ساعة أكثر مما تعترف به المس فير فاكس في نصف العام..

– أجل، المستر دكسون والمس كامبيل... هما اللذان كنت أتحدث عنهما...

– ما أتعس المس دكسون.. إنني سعيدة لأنها ذهبت إلى ايرلندا لتعيش هناك..!

– لا أدر ماذا تقصدين..؟

– إنه إذا كانت المس فير فاكس تعزف كلما طلب إليها المستر دكسون فللإنسان أن يظن الظنون..

– يبدو أنه كان بينهما تفاهم.. لكن لأنك تعرفين المس فير فاكس

منذ الصغر، فلابد أن تكونى الأقدر على معرفة أخلاقها وسلوكها..

– عرفتها من الطفولة.. لكننا لم نكن صديقتين.. لابد أن العيب هو عيبى أنا... ثم إنها هى دائما تتخذ الحيطة..

– آه... يا لها من صفة بغيضة؛ فالحيطة سياج واق لكنها لا تجلب محبة الناس..

– إلى أن يتوقف عن حيطته فتزداد المحبة.. لكن الألفة التى بينى وبين المس قير فاكس ليست محل نقاش.. ولى لدى ما يسئ الظن بها..

أحسنت إما أنها عرفته معرفة تامة... ولم تصدق أن هذه هى المقابلة الثانية... فهو أفضل مما ظنته، وآراؤه معتدلة وأرق شعورا..

لقد اعترف بأنه لا يجد سعادته فى (أنسكومب) وأنه حين يعثر بمن يحبها سوف يتنازل عن طيب خاطر عن الكثير من ثروته ليستقر ويبكر بالزواج..!

إعجـــــاب

لكن تزعزع حسن ظن إما به فى اليوم التالى حين علمت أنه ذهب إلى لندن ليقص شعره... كان يفطر فأرسل يطلب مركبة... وفى عزمه العودة على العشاء.

كان فى عمله هذا ما لا تقره من مظاهر الخيلاء والسخف... إنه الآن معرض لأن يوصف بالخيلاء والإسراف والتقلب، مما يدفعه إلى أى عمل قد لا يرضى أباه وزوجته المسز وستون.. وعدم المبالاة بما يبدو على مسلكه بوجه عام..

كان أبوه يصفه بالمتحذلق كأنه يروى حكاية ممتعة أما المسز وستون لم يعجبها ذلك منه، قالت:

– كل شاب وله نزواته...

لكنها كانت تمتدحه بأنه رقيق ظريف مهذب ويعامل الناس بغاية الرقة والرعاية..

واكتشفت إما أن طبعه يمتاز بالإشراق والحياة والصراحة.. وكان يذكر خاله بكل التقدير ومولع بالحديث عنه... وأثنى على زوجة خاله وتحدث عنها باحترام.. رغم عدم تعلقه بها..

قال المستر وستون إن فرانك شديد الإعجاب بها، أى إما.. ويراها فائقة الجمال وجذابة للغاية..

كان المستر نايتلى فى هارتفيلد، فقال لإما وهو يتطلع إل صحيفة كانت بيده:

– ها!! إنه كما حسبته تماما، شخص سخيف وتافه..

إنه لا يعنى إثارتها... فتغاضت عما قال

وكانت زيارة الزوجين وستون لهارتفيلد فى صباح ذلك اليوم أفضل ما توقعته... لقد كانت فى حاجة الى استشارتها... ولقد أشارا عليها بما زادت..

لقد استوطنت أسرة كول أبرشية هايبرى منذ سنين.. وهى أسرة حميدة الخصال، بها ألفة وكرم وبعد عن المظاهر.. لكن كانت من مركز وسط.. لكن لم تلبث مواردها أن زادت فى العامين الأخيرين زيادة كبيرة، فقد ربح متجرهم أرباحا وفيرة.. وابتسم لهم الحظ، واتسع مجال نظرتهم للأشياء تمشيا مع ثرائهم.. وبحثوا عن بيت أكبر وزاد من حذمهم وراحوا يقيمون المآدب والحفلات... ولم يدر بخلد إما أنهم تبلغ بهم الجرأة أن يوجهوا الدعوات إلى كرام العائلات مثل آل دونول وهارتفيلد وراندولز..

لكن الدعوة وجهت إلى أسرتى دونول وراندولز ولم تصلها دعوة... وقالت المسز وستون لها:

– إنهم يعلمون أنكم لا تتناولون العشاء خارج البيت..

وأبدى فرانك أسفه الشديد لعدم مجئ إما إلى الحفل.. ثم وصلت الدعوة وأسرة بينهم.. قالت عند قراءة الدعوة:

– لا شك أننا سنرفضها...

لكن آل وستون نصحاها بالذهاب.. فقبلت الدعوة. فقد صاغتها أسرة كول بأسلوب بديع وبتقدير كبير لأبيها...

استقر الرأى على تلبية الدعوة دون إغفال راحة المستر وود هاوس والاعتماد على المسز بيتس والمسز جودارد فى البقاء معه..

قال المستر وود هاوس:

– لست مولعا بدعوات العشاء، وكذلك إما، فالسهر لا يلائمنا.. وكان الأحرى بآل كول لو حضرا فى مساء يوم ما فى الصيف القادم لتناول الشاى معنا ثم يصحبانا فى نزهتهما المسائى.. ولكن فما دامت لها رغبة شديدة فى أن تتناول عزيزتى إما معهما العشاء وبما أنكما يا عزيزى وستون ويا عزيزى المسز وستون هناك والمستر نايتلى فلا أحب أن أمنعها..

قال المستر وستون:

– إننى ذاهب إلى المسز جودارد...

قال المستر وود هاوس:

– يسعدنى أن أرى المسز جودارد. إننى أقدرها كثيرا.. ولابد أن تبعث لها إما بكلمة تستدعيها وسيوصل جيمس الرسالة.. ولكن لابد قبل هذا من إرسال اعتذارى لعدم الحضور إلى المستر والمسز كول فى عبارة مهذبة..

سيقوم جميس إلى الحفلة بسلام ثم يجب أن تخبريه بموعد عودتك

ليأتى بك على أن تكون الساعة مبكرة..

– لكنك لا تحب أن أعود قبل أن أشعر بالتعب يا أبى..

– لا، لكنك سرعان ما يصيبك التعب...

صاح المستر وستون:

– لكن يا سيدى العزيز لو أنها انصرفت مبكرا سينفرط عقد الجماعة..

– سيكون هذا أفضل..

– لكن سيكون هذا اهانة لأسرة كول.. وأعتقد يا سيدى أنك لا تريد جرح مشاعرهم، وهم من أكرم الناس وأكثرهم مودة... ولهم عشر سنوات وهم جيرانك..

– قطعا لا.. مهما كانت الأسباب.. وأنا شاكر لك للفت نظرى لذلك... ولقد قال لى المستر برى إن المستر كول مريض بالمرارة ولا أريد له المزيد من الألم.. وعلينا يا عزيزتى إما أن نقدر ذلك.. وستكونين فى أمان تام بين الأصدقاء..

– أجل يا والدى.. ولن أتأخر إلا بقدر ما تتأخر المسز وستون من أجلك.. وأنا مطمئنة إلى أن المسز جودارد ستعنى بك وهى تحب لعب الورق.. وعليك أن تعدنى بألا تسهر..

وعدها بذلك... على أن تعنى بنفسها وبتدفئة نفسها تماما وأن تأكل إن هى جاعت..!

بيانـــو

عاد فرانك تشرشل مرة أخرى، ولما تأخر على العشاء فى بيت أمه فقد دارت المسز وستون هذا عن أهل هارتفيلد؛ فقد كانت بها رغبة شديدة فى أن يتقرب إلى المستر وود هاوس...

عاد بعدما قص شعره دون أن يندم من فعلته... بدا غير هياب وعلى قدر كبير من المرح...

قالت إما لنفسها حين رأته:

(إن فعل الشر يكون شرا على الدوام أما السخف فلا يكون دائما سخفا.. لا ليس شابا تافها ولا سخيفا كما يدعوه المستر نايتلى وإلا لسلك مسلكا مختلفا... فإما أن يكون مزهوا بعمله أو خجلانا.!)

جاء يوم الثلاثاء ومعه الأمل فى لقائه ولمدة أطول حتى يمكنها الحكم على سلوكه العام وتستنتج ما يرمى إليه من سلوكه نحوها..

استقر رأيها على الاستمتاع والابتهاج برغم أن الحفل كانت فى بيت (المستر كول)..

احتفت إما بالسيدتين جودارد وبيتس وهما جالستان إلى والدها بعد العشاء..

قدمت إليها شطائر الكعك وأكواب من النبيذ..

سارت مركبتها خلف مركبة أخرى كانت فى الطريق إلى بيت المستر كول... سرها أنها عربة المستر نايتلى..

ولقد توقفت ليأخذ بيدها عندما نزلت من المركبة..

قالت له:

– خليق بك أن تأتى بالمركبة، كما يفعل السادة وإننى لسعيدة لرؤيتك...

– ما أسعدنى حظا إن وصلنا فى نفس اللحظة..

– الآن، ليس لديك ما تخفيه، فأنت لا تخشى أن يظن بك ما يخجلك.. وإنه ليسعدنى أن أدخل نفس الحجرة معك..

– إنك تهرفين...

سرها أنهم استقبلوها بحفاوة واحترام.. وعندما أقبلت أسرة وستون غمرها الزوجان بمظاهر الحب وخصوصا بالإعجاب واقترب منها فرانك فى لهفة ووجهه مشرق.. وإذا به فى العشاء يجلس بجوارها..

كان عدد المدعوين أكثر من أن يسمح بتناول أى موضوع، عام.. وحين شرعوا يتحدثون فى السياسة وعن المستر ألتون أصاخت السمع...

كانت المسز كول تتحدث عن المس فير فاكس، فأصاخت السمع.. قالت إنها كانت فى زيارة للمس بيتس فأدهشها وجود بيانو هناك... كان البيانو قد وصل فى اليوم السابق من متجر (برود وود) مما كان

موضع دهشة الفتاة وخالتها وكانت جين فى حيرة من أمره... ترى من أرسله.؟ بلا ريب من المقدم كامبيل.! وقالت:

– لكن وصل خطاب إلى جين منهم وليس فيه إشارة عن البيانو.. وقد يكون هذا مفاجأة لها.. والحقيقة أننى لم أسمع فى حياتى خبرا خير من هذا..!

لقد كنت أقول للمستر كول إن جين فير فاكس التى وصلت فى الموسيقى إلى قمة المجد ليس لها آلة للعزف فير فاكس لكى تتسلى بها... ونأمل أن تستجيب المس وتعزف لنا على البيانو الكبير الموجود فى القاعة.

واستجابت جين...

التفتت إما إلى فرانك وسألته:

– لماذا تبتسم..؟

– ولماذا تبتسمين أنت.؟

– لسرورى بأن المقدم كامبيل بهذا الثراء وله مثل هذا الكرم. هدية رائعة حقا..

– فعلا...

– وإننى لأعجب لماذا لم يقدم الهدية من قبل..

– لعل المس فير فاكس لم تطل إقامتها هنا من قبل..

– أو أنه لم يترك لها الفرصة لاستعمال معزفهم فى لندن..

– إنه بيانو جراند.. لا يتسع له بيت المسز بيتس...

– لك الحق أن تقول ما تشاء، لكن ملامحك تدل على أن أفكارك تشبه أفكارى..

– لا أدرى.. بل إنى أعتقد أنك تبالغين فى تقديرى أكثر مما أستحق.. لكنى لا أرى ثمة سبب للشك.. فإن لم يكن صاحب الهدية هو المقدم كامبيل، فمن يكون؟

– ما قولك فى المستر دكسون؟

– عجبا... إنه رأى صائب... إنها تعلم كما يعلم والدها قيمة هذا البيانو لها..

– وقد يكون المستر دكسون أيضا؟

– أجل، المستر دكسون.. حسن جدا... إنها آتية من الزوجين معا..

– إننى لا أتمالك من الشك فى أمرين: إما أن يكون المستر دكسون بعد أن طلب يد صديقة جين أوقعه سوء الحظ فى شراك حب جين.. أو أنه أحس بميل منها إليه.. لكننى أؤكد أنه لابد من سبب لاختيارها المجئ هنا بدل الذهاب إلى أيرلندا..

– أقول لك إن ظنونك تنبئ عن احتمال كبير، ويمكننى أن أقول إن تفضيل المستر دكسون لها على صديقتها فى العزف شئ مؤكد لا يحتمل التأويل..

– ثم إنه أنقذ حياتها وكانت موشكة على الغرق..

– نعم، وكنت واحدا من جماعة السفينة..

- أحقا..؟ حسنا، لكنك لم تلحظ شيئا.!

- لم أر سوى أنها كانت موشكة على الوقوع من السفينة فأمسك بها... تم كل هذا فى لحظة...

انقطع حديثهما عندما طلب إليها مشاركة الجماعة.. ولما انشغل الكل بالطعام، قالت له إما:

- وصول البيانو أوضح لى كل شئ.. كن على ثقة بأننا سنسمع عما قريب بأنه هدية من الزوجين دكسون..

- فإن أنكر أى علم لهما به، فيكون هدية من أسرة كامبيل..!

بدا أن فرانك قد اقتنع فاكتفت إما بما قالت.. وتحول مجرى الحديث إلى مواضيع أخرى... وقدمت الحلوى بعد تناول العشاء، ودخل الأطفال وتجاذب الضيوف معهم الحديث وأعجبوا بهم..

ودخلت السيدات وفيهن صديقة إما الحبيبة... وجلست وبدت جين فير فاكس متفوقة فى المظهر والحركة...

لم يكن ضروريا لإما أن تتصل بها أو تتحدث إليها، فهى لا تحب الحديث عن البيانو فهى تعلم سره.. لكن الآخرين واصلوا الحديث فى الموضوع من جديد ورأت حمرة الخجل والشعور بالإثم وهى تقول:

- صديقى العزيز المقدم كامبيل..

وأسعد إما أن ترى المسز وستون تواصل الحديث فى الموضوع وتسأل جين عن النغم واللمس والدواية...

سرعان ما لحق بهن فرانك تشرشل الذى حيا السيدات قدمته إما

إلى المس سميث صديقتها وسمعته فيما بعد يمتدح هاريت قائلا:

– فى حياتى لم أر جمالا كندا، كما أنها تعجبنى لبساطتها..

وقالت هاريت عنه:

– الواقع إنها مبالغة أن يقال إنه مثل المستر ألتون، لكن بينهما شبيها على أى حال...

قال فرانك إما إنه يكره الجلوس فى قاعة الطعام ولذلك فقد أسرع بمغادرتها.. ولا يزال والده منهمكا فى الحديث والمستر نايتلى والمستر كوكس والمستر كول فى شئون ا

لأبرشية.. سألته عن المجتمع فى يور كشاير وعن أطراف الجهة الموصلة لأنسكومب... فقال إن التزاور هناك قليل.. وإنه حين تتحدد زيارة لأى بيت تعتل صحة المسز تشرشل أو ينحرف مزاجها فلا تقوى على الذهاب..

كان جليا أنه منزله عاليا فى أنسكومب، وقد قال إنه ينجح فى إقناع المسز تشرشل فيما يعجز عنه خاله نفسه..

وضحكت إما كثيرا..!

واستطرد فذكر أنه كان يتوق إلة مغادرة البلاد فى العام الماضى... أما الآن فلا يبدو ميالا إلى ذلك...

قال:

– لقد اكتشفت شيئا مؤسفا للغاية، لقد أمضيت هنا أسبوعا بالكامل والأيام تمر بسرعة عجبا..!

قالت:

– ولعلك تأسف على إضاعة يوم بأكمله في قص شعرك.!

ضحك وقال:

– لا، فإنني أحب أن يراني أصدقائي في عل خير وجه..

ثم سرح بخاطره، وراح يحدق في المس فير فاكس التي كانت تجلس في مواجهتهما تماما..

سألته:

– ما الأمر..؟

اعتراه شعور بالفزع، ثم أجاب:

– الحقيقة أن المس فير فاكس قد صففت شعرها بطريقة غريبة... فما أعجبها خصلا ملتوية..! سوف أسألها إن كانت التسريحة موضة أيرلندية...

وذهب على الفور...

وإذا بالمسز وستون تحتل مقعده وهي تهتف:

– إنها لنعمة أن يقترب المرء ممن يحبهم..! إنني يا عزيزتي متلهفة على الحديث معك.. هل تعلمين كيف جاء آل بيتس إلى هنا؟

– في ظني أنهما جاءتا سيرا على الأقدام..

– صحيح.. لكن المحزن أن تعود الفتاة على قدميها بعد السهر الطويل وفي هذا البرد الفظيع.. ولذا فقد حدثت المستر وستون ووافق

وذهبت أنا الى المس بيتس لأؤكد لها أن مركبتنا تحت تصرفهتا لتذهب بها وابنة أختها إلى البيت قبل أن تذهب بنا إلى بيتنا.. ما أطيب هذه الفتاة جين..! لكنها قالت، أقصد المس بيتس إنهما حضرتا فى مركبة المستر نايتلى وستعود بنا المركبة بنا إلى بيتنا..!

اندهشت كثيرا... حقا، إنها لرعاية كريمة جدا من المستر نايتلى... وما أقل الرجال من أمثاله..!

– إنه إنسان رحيم وشهم.. لقد جاءنا اليوم فى مركبته لأننا وصلنا معا..

– لقد طرأت على ذهنى فكرة... لقد دبرت مشروع زيجة بينه والمس فير فاكس.. فما قولك؟

– لا، وإلا حـرم هنرى الصـغـيـر من أن تؤول إليـه دونول... لا، ويدهشنى أن تفكرى فى هذا.. لا، لا أريد هذا هذا الزواج...

– إذا صحت عزيمة المستر نايتلى على الزواج فلن يمنعه هنرى وهو لم يزل فى السادسة..

– بل أنا التى سوف تمنعه.. عجيب أن تكون جين فير فاكيس من دون النساء جميعا هى الزوجة..!

– كانت أقرب الناس إليه..

– لكن هذه حماقة..

– إننى أراها محتملة..

– لا أرى احـتـمـال حـدوثهـا.. بل هـى الشـفـقـة التى حـدت به أن

يحملهما فى المركبة لا غير..

– عفوا، قد تكون حماقة، ولا أرى فى الزيجة شيئا من عدم التوافق..

– لا أظن المستر نايتلى راغبا فى الزواج، فدعيه لشأنه..

– إن كان هكذا فسيظل أعزبا، أما إن كان يحبها...

– هراء..! ليس لها مكان فى قلبه، وأنا واثقة، ولكن...

– أجل، ولعل أعظم خدمة يقدمها أن يهيئ لجين بيته المحترم..

– سيكون هذا وبلا عليه، إذ كيف يطيق ثرثرة المس بيتس على الدوام..؟ وقار أيك فى حديثها عن قميص أمها المهلهل..؟

– يا للعار يا إما..! لا تسخرى منها... لن ينال المستر نايتلى منهن إلا الخير... والمهم أن يكون هو راغبا فى الزواج... فهو يشيد بالمس فير فاكس ويعزفها على البيانو وبصوتها الرخيم... ولماذا لا يكون هو الذى ابتاع لها البيانو؟

– مستحيل...

وطال الحديث بينهما، وفى النهاية استطاعت إما التأثير عليها... وثار هرج، فالبيانو جاهز.. ورجا المستر كول إما أن تعزف... فاستجابت وعزفت عزفا مدهشا وغنت بصوت رائع... وشاركها فرانك فى أغنية أخرى..

أشادوا بصوته لكنه أنكر... وأكد أنه يجهل الموسيقى.. ثم عاودا الغناء..

ثم تنحت إما عن مكانها للمس فير فاكس...

لم يلبث المستر ناتيلى أن جلس بجوارها وراحا يتحدثان عن عزفها ولقد كان إعجابه به بالغا وحماسة شديدا..ثم حدثته عن عطفه بنقل جين وخالتها بمركبته فكان حديثه مقتضبا..

قالت:

– وهذه الهدية من أسرة كامبيل، هذا البيانو، هدية رائعة..

– أجل، لكن كان الأحرى أن يخبروها بذلك..

فى الأغنية الثانية بح صوت جين، فرفع صوته قائلا:

– كفى هذا...

وقال فرانك لجين:

– غنى... فالمقطوعة الأولى ليست صعبة، وفى المقطوعة الثانية تتذكر قوة الأغنية..

غضب نايتلى وقال:

– هذا الفتى لا يعجب إلا بسماع صوته، ولن نمكنه من هذا..

وأوعز إلى المس بيتس أن توقف الغناء الذى أجهد المس فير فاكس كثيرا، ففعلت..

ثم انطلق اقتراح بالبدء فى الرقص وسرعان ما أفسح المكان ليكون قاعة للرقص..

هنا تقدم فرانك وأخذ بيد إما إلى المرقص بينما راحت المسز

وستون تعزف لحنا راقصا مرحا..

جاءت منها التفاتة ورأت المستر نايتلى جالسا بينما غيره يراقص جين..

لم يسمح لسوء الحظ إلا برقصتين..

وانتهى الحفل.. وقال فرانك وهو يصحب إما إلى مركبتها:

- كم كنت بارعة فى الرقص..!

دوران السلم

ليست إما بنادمة على ذهابها إلى بيت أسرة كول..!

أمدتها الزيارة بذكريات ممتعة.. والأكثر من هذا أن حضورها أسعد أسرة كول وهى جديرة بأن يعمل الناس على إسعادها.. وتركت لديها إما أثر لا يزول..

لكن كان هناك نقطتان تضايقانها...

ساورتها الشكوك نحو مشاعر جين فير فاكس وذكرت الأمر لفرانك فكان يوافقها...

أما الموضوع الآخر فهو أسفها على تفوق الآنسة فير فاكس عليها فى العزف...

جلست تتدرب على العزف بنشاط، وإذا بهاريت قادمة.. قالت:

– جندالو استطعت العزف مثلك والآنسة فيرفاكس..

– لست عازفة ماهرة مثلها.. ولا أزيد عن كونى مصباحا بينما هى ضوء الشمس الباهر..

– عجبا..! بل أحسبك خيرا منها فى العزف..

– الذين لهم دراية بالعزف لابد أن يشعروا بالفرق..

– حسنا، لكن لا زلت أعتقد أنك مثلها فى العزف، ولقد أشاد المستر

كول بحسن ذوقك وكذلك المستر فرانك..

– لكنها تجمع بين الناحيتين يا هاريت..

– هل أنت واثقة..؟ إنها تجيد العزف لكنى لا أجد فيها الذوق.. كنت بالمناسبة لدى (أسرة كوكس) وقالوا لى شيئا عديم الأهمية بخصوص المستر مارتين..

– ماذا قالوا..؟

– ذكروا أنه تناول العشاء معهم يوم السبت الماضى..

– عجبا..!

– وأسهبوا فى الحديث عنه وخاصة (آل كوكس) وسألتنى إن كنت أوافق على الذهاب معهم فى الصيف القادم وأقيم معهم.

– لابد أنهم يرونه زوجا مناسبا لآن..

– هذا محتمل...

كانت إما تريد مصاحبة هاريت

إلى متجر فورد لأنها ستبتاع بضع حاجيات خشية أن تقابلها أسرة مارتين مرة أخرى..

تركتها إما داخل المتجر وذهبت إلى بابه للتسلية... ثم تطلعت وإذا فى الطريق المسز وستون وفرانك... فى طريقهما الى هارتفيلد، وإذا بهما يتوقفان عند باب المسز بيتس.. لكنهما حين رأياها أسرعا إليها...

أخبرتهما المسز وستون بكونها ذاهبة لسماع البيانو الجديد.وقال

فرانك:

– وإن كنت عائدة إلى هارتفيلد فيسرني أن أصحبك إلى هناك.

قالت المسز وستون بخيبة أمل:

– ظننتك تريد الدخول معي عند آل بيتس..

– أنا..؟ لا...

قالت إما:

– إنني أنتظر صديقتي، ولعلها تفرغ من عملها ثم نعود إلى البيت، لكنني أرى الأجدر أن تذهب مع المسز وستون..

قال:

– من الأفضل أن تدخل هي وحدها..

قالت إما:

– بل عليك أن تصحب المسز وستون..

فانصرف مع زوجة أبيه... وشاهدتهما إما وهما يدخلان.. أوصت هاريت بإيصال ما اشترته إلى هارتفيلد...

سمعت أصوات على مقربة من المتجر... إنهما المس بيتس والمسز وستون.. قالت الأولى:

– سمعت أنك بالجوار يا مس وود هاوس فجئت مسرعة أرجوك أن تتفضلي بالدخول عندنا وقضاء فترة قصيرة معنا لتبدي رأيك في البيانو الجديد.. أنت والمس سميث... كيف حال المستر وود هاوس...؟

إن والدتي ستسر بوجودك معنا ... كما ألحف المستر فرانك علينا لنعود بك... يا له من شاب دمث الأخلاق.! لقد عكف على تثبيت مسمار نظارة والدتي... ونحن شاكرون له..

قالت إما:

– إنه ليسعدني أن أزور المسز بيتس والمس جين...!

خرجت من المتجر.. وقالت المس بيتس وهن في الطريق:

– إنني أهنئك يا مسز وستون بكل جوارحي.. فهو يتصف بكل مكارم الأخلاق... وحين قدمت له تفاحة وتذوقها قال إنني لم أتذق مثل هذا التفاح الحلو...

كانت قد فرغت من حديثها حين فتحت الخادمة (باتي) الباب وارتقى الجميع السلم.. وهي تقول:

– رجائي يا مسز وستون أن تحتاطي، فهناك درجة عند دوران السلم، ورجائي يا مس وود هاوس أن تحذري فالسلم مظلم إلى حد ما.. وأنت يا مس سميث... إنني شديدة القلق يا مس وود هاوس...!

نشوة الطرب

كانت حجرة الجلوس عنواناً على الهدوء والنظام؛ فقد استسلمت المسز بيتس للنعاس بجانب المدفأة، بينما فرانك منهمك فى إصلاح النظارة على مائدة قربها.. أما جين فكانت واقفة تتأمل البيانو وقد أولتهما ظهرها...

كان فرانك مشرق الوجه عندما رأى إما لثانى مرة هذا اليوم.

قال بصوت خافت:

- شئ رائع أن تحضرى فى التو. أنت ترينني أحاول أن أكون نافعا... هل تظنين أننى سأنجح..؟

قالت المسز وستون:

- غريب..! ألم تنته منها بعد..؟

- إننى لم أعمل متواصلا.. فقد ساعدت الآنسة فيرفاكس فى ضبط أصابع البيانو... كنت أخشى أن تسرعى بالعودة إلى منزلك..

جلست إلى جواره، وبحث عن أفضل تفاحة لها... ساور إما الشك فى أن عدم جلوس جين راجع إلى حالتها العصبية...

بدأت جين العزف... وأخذت نشوة الطرب المسز وستون فطربت.. وشاركتها إما فى المديح..

قال فرانك وهو يبتسم:

– لقد أحسن المقدم كامبيل اختيار البيانو.. أليس كذلك يا مس فير فاكس؟

لكنها لم ترد عليه لأنها كانت والمسز وستون مشغولتين بالحديث..

قالت إما هما:

– أرجو ألا تضايقها..

هز رأسه مبتسما، ثم عاد يقول:

– ما أعظم سرور أصدقائك في أيرلنده بسرورك يا مس فير فاكس.. هل تظنين المقدم كامبيل يعلم أن المهمة أنجزت في موعدها.؟

قالت جين:

– لست متأكدة إلى أن تصلني رسالة... وإلا كان رجما بالغيب!

– رجم بالغيب؟ نعم... آه... إنني مسرور يا مسز بيتس بإصلاح نظارتك...

شكرته الابنة والأم، فتوجه إلى البيانو ورجا المس فير فاكس أن تعزف شيئا.. قائلا:

– إنه لجميل لا ينكر لو عزفت مقطوعة (الفالس) التي رقصنا عليها بالأمس.. لقد استمتعت بها كثيرا...

عزفت، وقال هو:

– إن لم أكن مخطئا فهذا اللحن هو الذي رقصوا عليه في

(ويموث).!

تلون وجهها... ثم عزفت لحنا آخر..

ابتسمت جين... لقد كانت تنعم بمشاعر دفينة كامنة فى أعماق نفسها..

أحضر فرانك كل المقطوعات الموسيقية إلى إما وفحصاها معا فقالت له هما:

- أنت تتكلم فى وضوح تام، ولابد أنها فهمتك...

- أرجو هذا..

- لكنى أشعر بشئ من الخجل..

- من بواعث سرورى أن الفكرة خطرت ببالك.. لقد أصبحت أدرك نظراتها وحركاتها الغريبة.. دعى الخجل جانبا...

- أظنها تشعر بالخجل..

- لا أدرى.. وهى تعزف الآن لحن (روبن) أحب الألحان إليه.

لمحت المس بيتس، وقد أطلت من النافذة، المستر نايتلى يمتطى جواده.. فقالت:

- سأدخل حجرة والدتى لأدعوه وأشكره..!

سألها المستر نايتلى وكان صوته واضحا:

- كيف حال المس فير فاكس..؟ أرجو ألا يكون أصابها برد ليلة الأمس.. كيف حالها الآن؟

نظرت المسز وستون إلى إما نظرة ذات مغزى... لكن إما هزت رأسها..

قالت المس بيتس:

– كم أنا مدينة لك بالشكر..! من أجل المركبة..

قال:

– إننى ذاهب إلى كنجستون، فهل من خدمة أؤديها لك؟

– عجبا..! إن المسز كول كانت تردد أنها تريد شيئا من هناك..!

– إن لديها خدمها وتستطيع أن تبعث بهم..

– شكرا، لكن أدخل، فمن تظن عندنا.؟ المس وود هاوس والمس سميث.. أدخل..

– حسنا، لكن لخمس دقائق ليس إلا..!

– وهنا المسز وستون والمستر فران... ما أروعه جمعا..!

– لا، ليس الآن، فلابد أن أسرع إلى كنجستون...

– عجبا..! أدخل، سيسرهم رؤيتك..!

– لا، إن حجرتك مزدحمة بهم.. سوف أزوركم يوما آخر وأسمع البيانو..

عادت إلى الحجرة قائلة:

– لم يستطع أن ينتظر، فهو ذاهب إلى كنجستون...

قالت جين:

– لقد سمعنا... سمعنا كل شئ..

صاحت المس سميث:

– عجبا يا مس وود هاوس! هل عزمت على الخروج...؟

كانت السهرة قد طالت وعليها أن تعود إلى البيت.. استأذنت المسز وستون ومن معها للخروج بصحبة الفتاتين.

الرقص على أنغام الحب

قد يكون بالإمكان هجر الرقص تماما، لكن حين يبدأ الناس في الرقص فمن الصعب أن يتوقفوا..

رفض فرانك تشرشل مرة واحدة في هايبري، وزاد حنينه إلى الرقص، وفي هارتفيلد زين للمستر وود هاوس الذهاب إلى راندولز لحفل راقص آخر..

كانت إما تتوق إلى أن يراها الناس، فرانك وهي، يرقصان مرة أخرى، وأن ترقص من أجل الرقص..

لاحظت إما أمن ما طبع عليه فرانك من كيانه يشوبه لعناد، وأنه يهوى معارضتها، فرضيت بأن يمتدحها وطفحت عن معارضته..

دخل عليها في بيتها وعلى ثغره ابتسامة... وقال:

– أرجو ألا تكون مخاوفك من حجرات والدي الصغير قضت على ميلك إلى الرقص.. هل آمل أن يكون لبيْ شرف الرقص معك الرقصتين الأوليين... في نزل التاج..؟

– التاج..؟

– أجل، إن لم يكن لديك ووالدك اعتراض.. إنها فكرة والدي، وليس للمسز وستون اعتراض عليها ما دامت أنت راضية..

– إنها فكرة رائعة.. ومن جهتى سأكون فى غاية السعادة..

أما والدها فاعترض بأنه لم يدخل نزل التاج فى حياته..

قال فرانك:

– إن ما يجعل للمكان أفضليته كونه بعيدا عن إصابة أحد بالبرد..

– لكننى لا أدرى كيف تكون صالة نزل التاج أكثر أمانا لك من بيت أبيك؟

– لأنها أكبر يا سيدى..

– لكن وقتى محدود لسوء الحظ...

قالت إما:

– عجبا..! سيكون هناك متسع من الوقت لبحث كل شئ.. وسيمكن تدبير مكان ملائم للخيل..

– بالطبع، وجيمس لن يشكو..

– كما أن المسز وستون تعهدت بمباشرة كل شئ..

قال فرانك:

– إن والدى والمسز وستون الآن فى نزل التاج.. ولقد تركتهما وجئت لأخذ رأيك. ولأقنعتك باللحاق بهما وتنصحينهما بما ترينه على الطبيعة.

خرج الاثنان معا إلى نزل التاج.. وهناك إلتقيا بالزوجين وستون...

قالت المسز وستون:

– هذا الورق الذى يغطى الجدران أسوأ مما كنت أحسب...

قال زوجها:

- وماذا يهم..؟ لن نرى شيئا من ذلك فى ضوء الشموع..

تبادلت المرأتان نظرة ذات معنى..

وثارت مشكلة:

أين الحجرة التى يتناول فيها المدعوون العشاء..؟

اقترحت المسز وستون الالتقاء بالشطائر وتقدم فى نفس الحجرة لكن الاقتراح رفض، فكيف تكون الحفلة بدون عشاء؟

نظرت المسز وستون إلى حجرة المرقص ثم قالت:

- لا أظن أنا الحجرة ضيقة، كما أن عددنا ليس بالكثير..

- دعونا نأخذ رأى بعض مدعوينا..

قال فرانك:

- ما رأيكم فى المس بيتس..؟

قال والده:

- نعم، إذهب إليها وأحضرها لتفرغ من المسألة..

- إننى ذاهب فى الحال..

كان من المحقق أن يحضر كل من دعوهم جميعا.. وكان فرانك قد بعث برسالة إلى (أنكسومب) يقترح فيها البقاء لأيام قليلة زيادة على الأسبوعين..

وداع

لم يبق سوى تحديد موعد الحفل الراقص خلال الفترة التى سمح لفرانك بقضائها...

لكن سارة (أنسكومب) برهنوا على كرمهم بالفعل فلم يعارضوا مد أجازه فرانك.. وظهرت عقبه عكرت صفو إما... فقد أبدى المستر نايتلى عدم اكتراثه بالحفل، ولعل سبب هذا أنه لا يرقص..

قال لإما:

لا وجه لاعتراض على الحفل، وليس لى أن أرفض. إن السرور بمشاهدة الرقص ليس متعه لى..

لكن، وصل خطاب من المستر تشرشل يتعجل عودة فرانك؛ فقد أصيبت المسز تشرشل بداء عضال وأصبحت الحاجه إليه إلى جوارهما ماسة...

بعثت المسز ألتون بمذكره إلى إما تخبرها فيها بما كان وبأن الشاب سوف يقوم بتوديع أصدقائه، ومن المنتظر أن يصل هارتفيلد فى التو...

أصيبت المس وود هاوس بحزن شديدج لعدم إقامة الحفل وعلى فراق فرانك..!

أما والدها فجزع على صحة المسز تشرشل ولم يأبه لإلغاء الحفل..

جاء فرانك إلى هارتفيلد..

قال لإما:

– عن الوداع هو أقطع ما في الوجود.

– لكنك ستعود...

– عودتي ليست مؤكدة..!

– لابد من صرف النظر عن الحفل..

– يا للحسرة..! لكنك قلت لنا إن هذا سوف يحدث. غريب يا مس وود هاوس أنك دائما على صواب.!

– كنت أفضل أن أكون مرحه على أن أكون على صواب.

– إن عدت سيقادم الحفل كما اتفقنا.. ما أروعها أسبوعين أمضيتهما هنا.! وما أسعد الناس في هايبري.!

ضحكت وقالت:

– أنا متأكده أنه لم يكن يخطر ببالك أنك ستميل إلينا.. وإلا لما تباطأت في المجيء..

ضحك... ولم يرد... قالت:

– ألابد من رحيلك هذا الصباح..؟

– أجل، وسيلحق بي والدي هنا لنعود معا.. ثم أرحل..

– أليس لديك فسحة من الوقت لتزور أصدقاءك: المس فير فاكس

والمس بيتس وغيرهما..؟

– ذهبت للزيارة..

– كان واجبا أن تقوم بالزيارة..

وسكت فتابع يقول:

– أريد أن أعطى ما تبقى من وقت لهارتفيلد، فهى عزيزه المنزلة فى نفس..

دخل المستر وود هاوس ومعه المستر وستون...

قال أبوه:

حان الوقت للرحيل..

نهض فرانك مستأذنا.. وقال:

– سوف تصلنى أخباركم جميعا.. وفى هذا أعظم سلوى لى.

– ولقد أخذت عهدا على المسز وستون أن تراسنى بأخباركم جميعا...

ثم صافح الجميع وقال:

– وداعا..واختفى عن الانظار...

شعرت إما بأسى الفراق... وعرفت مقدار خسارتهم لغيابه عنهم وخشيت على نفسها أن يستبد بها الحزن...

كانا أسبوعين كلهما السعادة والهناء..

كم ستكون الحياه بدونه كئيبة... كئيبه..!

كاد أن يعترف لها بحبه..

قالت لنفسها:

لابد أننى أحببته، ما فى هذا شك.. إننى أشعر بالوهن وبلادة الشعور والعزوف عن الجلوس لأشغل نفسى بشئ أعمله... وأشعر أن البيت كئيب... كل هذا يدل على أننى وقعت فى حبه.!

آه... لكم سيسر المستر نايتلى برحيله..!

لم يبد المستر نايتلى سروره بذهاب فرانك.. قال لها:

– لقد خانك الحظ يا إما... وفرص الرقص لا تجئ إلا نادرا.. ولم تر إما جين فر فاكس لعدة أيام.. ولما تقابلنا كانت هادئه....

وعلمت أنها مريضه ولم تكن لتحضر الحفل..!

حب وحذر

لم يخامرها الشك أنه تحبه...

لكن حبها كان يسيرا.. كان يسرها أن يتحدث الناس عنه وسرورها بلقاء الزوجين وستون...

كانت تتلهف على رسالة منه لتتعرف على مشاعره وعلى صحة زوجة خاله، ومتى يجئ إلى راندولز مرة أخرى..

لكنها فى النهاية وصلت إلى رفضه، فقد رأت أن حبهما لابد أن يتضاءل فيكون صداقة..

لابد من الصداقة.. فالحب العنيف قد يثير فى نفسها أكثر من صراع لا تحمد عاقبته... قالت:

– لا أرانى أفيد من كلمة التضحية... ويخيل لى إن ارتباطى به ليس مما يجلب سعادتى فى الواقع.. وفى هذا الخير كله.. إنه يهيم بحبى ومولع بى.. فلأكن على حذر فلا ألهب مشاعره إن عاد مرة أخرى..!

قصارى القول أننى أحمد الله على أن سعادتى غير معرضة للخطر، وسأعود كما كنت وأنسى كل شئ!

وصلت رسالته إلى مسز وستون فأخذتها إما لتقرأها... وأخذتها الدهشة، فالرسالة مكتوبة بأسلوب رصين..

كان يشعر بإحساس صادق نحو المسز وستون... وورد اسمها أكثر من مرة فى الرسالة...

وعلمت أن المسز تشرشل قد تماثلت للشفاء... ولا يستطيع أن يحدد متى يعود إلى راندولز.!

لكن الرسالة لم تزد مشاعرها توهجا، فسلمتها للمسز وستون.. فكرت لماذا لا تحول حبه نحو هاريت..؟

لقد أعجب بجمالها وبساطتها...

قالت لنفسها:

– لكن على أن أطرح الفكرة عن ذهنى تماما.. وسأكتفى بصداقته وحسب..!

كان جميلا أن تعمل على راحة هاريت...

الناس فى هايبرى لم يكن يشغلهم سوى خطوبة المستر ألتون ثم انشغلوا بفرانك تشرشل، والآن غاب فرانك وسيعودون للحديث عن ألتون..

وانتقل فرانك إلى زوايا النسيان..!

حين اقترب موعد الزفاف أصبحت هاريت المسكينة فى اضطراب المشاعر... وفى حاجة إلى مواساة من إما...

قالت لها إما:

– إنك يا هاريت بحزنك من أجل المستر ألتون إنما توجهين نحوى سهام اللوم... لقد كانت غلطتى من البداية..

عليك التذرع بالصبر من أجلك أنت... ولتحافظى على صحتك وعلى ثقة الناس فيك... ولتعود إليك سكينتك..

لبثت هاريت فترة وهى تشعر بالتعاسة حين جال بفكرها أن المس وود هاوس كانت فى حاجة إلى رعايتها وعرفانها بالجميل.. قالت:

– أنت يا أعز الناس تريدين منى اعترافا بالجميل..؟ كم كنت جاهدة يا مس وود هاوس..!

فشعرت إما بأنها لم تحب هاريت بقوة كالآن..!

قالت:

– عزيزتى هاريت..! لن أرضى بأصغى النساء ذهنا وأبعدهن نظرا وأصدقهن حكما بديلا عنك.!

ثروة فى الطريق

شاهد الناس المستر التون لأول مرة فى الكنيسة....

استقر رأى إما على ألا تكون آخر المهنئين فاصطحبت هاريت معها للتعجيل بالانتهاء من المهمة الشاقة..

سلكت هاريت مسلكا طيبا...

لم تعجب إما بالعروس... فلاحظ لها من الرشاقه... كان قوامها بديعا ولم يكن وجهها قبيحا، لكنها كانت بعيدة عن الرشاقه..

سألتها هاريت بعد أن غادرتا بيت العروسين:

– ما رايك فيها يا مس وود هاوس.؟. أليست فاتنة.؟

– نعم، فاتنه... ولطيفه جدا..

– أحسبها جميله... تماما..

– وهى لا شك حسنه الهندام جدا، ولها فستان بديع..

– لا يدهشنى انه وقع فى حبها..

– لا، لا، ليس هناك مجال للدهشة: ثروة صادفته فى الطريق...

– أظنها احبته من قلبها..

– ربما...

– أجل، وخيرا فعلت وأود لها السعادة من قلبى، ولا أرى يا مس

وود هاوس أننى سأزورهما مرة أخرى..

عندما ردت العروس الزيارة أصرت إما كشف حقيقتها... انفردت بها خمس عشرة دقيقة...

تصادف أن تغيبت هاريت عن هارتفيلد وانشغل أبوها وألتون فى حديث طويل.. فاستمعت للعروس فى هذه واقتنعت أنها مغروره، راضيه تماما عن نفسها.. وتبالغ فى شأن نفسها... لا يعنيها إلا مظهرها المتألق.

آه، لو أنه تزوج هاريت لكان ذلك أفضل وأروع.. !

قالت المسز ألتون:

– وعدنى أخى وأختى أن يزورانا فى الربيع أو الصيف...

أظن يا مس وود هاوس أن وفود السياح تجئ هنا كل صيف.؟

– لا، إنهم يأتون هنا... فنحن بعيدون عن مواطن الجمال...

– لقد بلغ أهالى هايبرى أنك رائعه فى العزف..

– لا، أبدا... أؤكد أننى بعيدة عن ذلك.. غنى مولعة بالموسيقى حقا، أما ماعدا ذلك فأقسم أن عزفى عادى.. وأنا اعلم أنك تجيدين العزف يا مس وود هاوس... وأعترف أننى جئت هنا وبذلت تضحية كبيرة.. وقلت هذا للمستر ألتون..

– لا نظن المستر ألتون تردد فى أن يجعلك فى وسط موسيقى رائع فى هايبرى..

– لا، ولا شك من هذه الناحية.. وأظن أن من واجبنا أن نؤسس ناديا للموسيقى ونجمع أسبوعيا بانتظام فى داركم أو دارنا. أليست

فكرة طيبة.؟.

– بالطبع..

– الكثيرات أعرضن عن الموسيقى بعد الزواج ومنهن (سيلينا) التى لم تعد أناملها تلمس البيانو إطلاقا و(المسز جويز) وكثيرات لا حصر لهن.

– كل شئ سيسير على ما يرام..

قالت المسز ألتون ضاحكه:

– أجل، سنرى.. لقد كنا فى زياره الزوجين وستون إن المستر وستون رجل ممتاز وأصبح من أصدقائى، وهى طيبه للغايه وفيها أمومه ورقه القلب.. أظنها كانت مربيتك؟ إنها سيدة فاضله حقا..

– إنها تمتاز بدماثه الخلق والكياسة والبساطه والظرف..

– لقد حضر السيد نايتلى نفسه، وبما أنه من أصدقاء المستر ألتون، إنه سيد بمعنى الكلمه... وأشعر نحوه بعظيم المودة..

وخرجت وزوجها وتنفست إما الصعداء..!

يا لها من إمرأة لا تطاق..!

إنها تدعو (نايتلى) باسمه مجردا بينما تطلق على زوجها لقب المستر، وتتحدث عن ثروتها ومظهرها ورقتها..!

قال والدها:

– حقا يا عزيزتى، إنها تسرع فى الحديث بعض الشئ، وهذا مع ارتفاع صوتها يؤذى السمع، ورغم ذلك فهى تبدو شابه فاضله كريمه الخلق... رغم ظنى أن التون كان خيرا له ألا يتزوج..!

نسياً منسياً

لم تغير إما فكرتها عن المسز ألتون... أبدا..!

إنها فى رايها مغروره، جاهلة، تافهة.. حظها من الجمال والثقافه قليل.. وكان ألتون فخورا بها وسعيدا، يدل مظهره على أنه ممتن لأنها رضيت أن تضحيه إلى هايبرى..

وكان معارفها الجدد يمتدحونها كثيرا مثل المس بيتس.. طيبه القلب...

تغيرات مشاعرها نحو إما، لعل السبب ما شعرت به من مهانه بعد أن لقيت مقترحاتها لتوطيد الألفه والمودة بينهما طريقا مسدودا.! وخاصة بعد مسلكها ومسلك زوجها من هاريت والذى يتصف بالاستخفاف والإهمال.. فلم يعد ثمه شك أنهما أطلقتا العنان للسخريه بها... وكذلك أطلقا لسانهما ينهشان به إما نفسها وذلك بمعاملة هاريت بالازدراء العافر..!

لقد تعلقت المسز ألتون فى الوقت ذاته بالمس فيرفاكس من البداية.. واندفعت تبدى رغبتها فى مصادفتها والأخذ بيدها... ولما التقت بإما لثالث مره قالت:

– إنها ظريفه للغايه يا مس وود هاوس، وإنى أعبدها؛ فهى لطيفه وحبوبه بقدر ما هى وديعه ومهذبة، ثم اعظم مواهبها.! بل إنى أعتقد أن

لها مواهب خارقة... فهى تعزف ببراعة شديدة...!

قالت إما فى هدوء:

– حين تصبحين أكثر معرفه بها وتدركين كيف كانت تعيش فى بيت المقدم كامبيل وزوجته ستعرفين أن مواهبها لم تكن مجهولة..!

– لكنها الآن فى عزلة لا يعرفها أحد... لكنها كتومة.. ولقد صارت هنا نسيا منسيا...

– يبدو شعورك فياضا تجاهها، ولا ادرى السبب..

– لو أننا ضربنا المثل لاقتفى أثرنا كثيرون...!

إننا لا نشعر بالضيق لأننا نعيش فى بحبوحه من الرزق، فإذا ازددنا واحدة مثل المس فيرفاكس فلن تضيق بنا الحال...

لقد قررت رعايه جين وسأستضيفها فى بيتى معظم الأحيان وأعرفها بالناس وأقيم الندوات الموسيقيه لتظهر مواهبها.. وسأسعى لها فى وظيفة...!

فكرت إما (مسكين يا جين، إنك لا تستحقين كل هذا..! آه، إن هذه المرأة تستبيح للسانها سيرة الناس بلا حدود)..

بعدها لم تزعجها المسز ألتون قط... ولم تعد بحاجه إلى صداقتها..

راحت إما تتأمل ما يحدث فى شئ من الغبطة...

كان امتنان المس بيتس برعاية المسز ألتون لجين واضحا وصادقا... ولم تندهش إما إلا لقبول جين هذه الرعاية..!فهى تخرج للنزهه مع المرأة وزوجها وتقضى معهما اليوم بأكمله.. فكيف لها بتحمل

معاشره هذين؟ وكيف لا يؤذى هذا مشاعرها..؟

لقد دعاها المستر كامبيل لتلحق بهما فى أيرلندا لكنها رفضت تلبيه الدعوة... فلا بد أنها تكتم سرا..!

جاهرت إما برأيها للمسز وستون، فقالت هذه:

– لا نظن يا عزيزتى إما أنها نجد متعه كبيرة فى بيت المستر ألتون، لكنه أفضل من مكوثها فى بيت المس بيتس..

وقال المستر نايتلى وكان حاضرا:

– صدقت يا مسز وستون.! وهى تلقى من المسز التون ما لم تلقه من سواها..!

قالت المسز وستون:

– بل إننى أرى أن المس بيتس دفعت جين إلى ذلك دفعا.. متأثره بكرم الزوجين ألتون..!

قال المستر نايتلى:

– هناك شئ ام لعلكما أغفلتماه: إن المس فيرفاكس تتفوق على المسز ألتون عقلا وخلقا وموهبة.. وهى تحترمها لذلك..

قال إما:

– إننى لمدركه برأيك الرفيع فى جين..

– أجل، وفى وسع إنسان أن يدرك هذا..

– وكان الأحرى بك معرفه الأسوأ فى طبعها منذ البدايه..

احمر وجه نايتلى... وصاح:

– عجبا..! أتعنين هذا.؟. لقد لمح لى المستر كول بذلك منذ سته اسابيع..!

داست المسز وستون على قدم إما، بينما استطرد نايتلى قائلا:

– أؤكد لك أن جين لن ترضى بى، وانا لن أطلبها...

إذن فانت كنت تظنيني سأتزوجها.؟.

– لا، فانت إن تزوجتها لن تأتى لتجلس معنا على سجيتك هكذا...

– لا يا إما... إنها حقا فتاه لطيفه جدا، لكن فيها عيوبا مثل عدم الصراحة التى يريدها الرجل فى الزوجه...

– وأبلغت المستر كول.؟

– بالطبع وفورا..! قلت له إنه مخطئ...

– وماذا عن المسز ألتون..؟.

– لا أظنها تواصل رعايتها لجين على طول الخط؛ فهى ما أخذتها إلا ليتحدث الناس عن كرمها وأريحيتها...!

وذهب... فقالت إما شاعرة بانتصار:

– ما قولك الآن فى موضوع زواجه من جين...؟

– أقول إنه واقع فى هواها، فلا تحاولى الفوز على.!.

جرح يندمل

أقيمت الولائم والمآدب فى هايبرى للعروسين ألتون.. وتوالت الدعوات.. حتى قالت المسز ألتون:

– لعمرى إن حياتنا ستكون حياه بهجه ولهو، وإذا كان الأمر هنا فى الريف هكذا فليس هناك ما يخيف..!

وحرصت على تلبية كل الدعوات.. وسارعت إلى عقد الندوات المسائيه فى بيتها رغم انزعاجها الا تكون فى بيتها غير حجرتى استقبال..

والا يكون مطبخها معدا لصنع الفطائر الدسمة..

إن السيدات بيتس وبرى وجودارد متخلفات فى المعلومات عن أمور الدنيا وعليها أن تعلمهن ما جهلن..!

لم يكن بدُ من إستضافه الزوجين فى بيت هارتفيلد... فوجهت إما الدعوة إليهما للعشاء وإلى أسرة وستون والمستر نايتلى وكذلك هاريت...

اعتذرت هاريت عن قبول الدعوة وسرت إما بذلك، فالفتاة تفضل ألا تجتمع بألتون، ولا تقدر أن تراه مع زوجته دون أن تشعر بالضيق، والفضل أن تظل فى بيتها..!

هنا وجدت إما أنه لامناص من دعوة جين فيرفاكس.. وظلت كلمات المستر نايتلى تقرع سمعها: لقد لقيت جين من المسز ألتون رعايه لم تلقها من سواها..!

قالت لنفسها: (إنه على حق، وشئ مخجل بالفعل؛ فقد كان واجبى أن تزداد صداقتى بها، وساكون اكثر اهتماما بها عن ذى قبل)..

استجابوا جميعا للدعوة.. لكن حدث ما كدر صفو إما المأدبة.. فقد بدا للمستر جون نايتلى أن يقضى ولداه معه يوما فى هارتفيلد وساءت الظروف أن يكون هذا فى يوم المأدبه..

لقد أزعج هذا المستر وود هاوس وابنته للغايه.. فهاجت اعصاب الب، لكنه لم يلبث أن هدأ.. فقد سارعت إما إلى تهدئته ثم حدث استدعاء للمستر وستون إلى المدينه.... فارتاحت نفس الأب كثيرا...!

تحدث جون نايتلى إلى المس فيرفاكس كثيرا، ثم راح يتأمل المسز ألتون بعينين متقدتين..

قال جون لجين:

– حين لقيتك قبل افقطار، إلى أين كنت ذاهبة.؟

– إل مكتب البريد... وهو جوله أقوم بها كل يوم؛ فأذهب لإحضار رسائلى...

– لكنك عندما تصرين فى مثل سنى ستجدين أن الرسائل لا تستحق هذا العناء كله..!

ضحكت وقالت فى عذوبة:

– أشكرك...!

انهالت المسز ألتون على المس فيرفاكس قائلة:

– ما هذا الذى سمعه يا عزيزتى جين.؟. عجبا..! تذهبين إلى مكتب البريد فى المطر...؟ ما كان ينبغى لك ان تفعلى ..! استمعت بمثل ذلك يا مسز وستون.؟.

قالت المسز وستون:

– عليك يا مس فيرفاكس ألا تخاطرى بنفسك على هذا النحو.! أنسيت أنك برئت من وعكه البرد من أيام.؟.

قالت المسز ألتون:

– بالقطع لن تعود إلى ذلك، ولن نسمح لا بفعله.. سأتحدث فى هذا مع المستر ألتون...! سوف يحضر لك رسائلك الرجل الذى يوافينا برسائلنا كل صباح..

قالت جين:

– إنه لكرم بالغ منك، لكننى لن أتخلى عن جولتى الصباحية بحال..!

– أرجو أن تعتبرى يا جين ما قلت أمرا مفروغا منه..

فقالت جين بجد:

– معذرة؛ فلست أوافق على ذلك بحال..

وقالت موجهه الحديث إلى جون نايتلى:

– إن مكتب البريد مؤسسه مدهشه ولها نظام بديع..

– لاشك أنها منظمه على أحسن حال..

– ونادرا ما يكون فيها إهمال..

– إن العاده تكسب موظفيها خبرة عظيمه...

كان العشاء قد أعد، فتاهب له المسز ألتون.. وقالت:

– هل من الواجب أن أكون فى المقدمة.؟. إننى أخجل من ذلك..!

لم يخف على إما لهفه جين على إحضار رسائلها بنفسها؛ ولاحظت تورد وجهها واغتباطها أكثر مما قبل..:

قررت إما ألا تفوه بلفظ يخرج مشاعرها... وها هى تتأبط ذراعها وتخرجان فى أثر السيدات الأخريات...!

خبرة الحياة

حين عادت السيدات إلى حجرة الاستقبال عقب تناول العشاء انقسمن إلى فريقين.

استأثرت المسز ألتون على اهتمام جين فلم يعد أمام إما إلا أن تحادث المسز وستون..

كان الحديث بين المس فيرفاكس والمسز ألتون يدورهما وهو بالطبع يدور حول مكتب البريد والبرد والصداقه...

قالت المسز ألتون:

– نحن فى شهر ابريل وأنا قلقه ويونيو على الأبواب..

– لكننى لست متعجله، فإننى سأقضى الصيف هنا..

– ابلغك شئ.

– لست أسعى إلى وظيفه الآن...

– عجبا..! إنك كلما بكرت بالطلب كان أفضل..!

– عزيزى المسز ألتون مهلا...

– لكنك لا تملكين مالى من خبرة بالحياه.. خذى مثلا ان لدى المسز براج طلبات لا حصر لها تصلب وظيفه مدرسة

– سوف يعود المقدم كامبيل قريبا، ولابد أن أمكث معهما بعض الوقت.. فلا ترهقى نفسك بالبحث لى عن شئ..

– أرهق نفسي..؟. لا.. أؤكد لك ان أسرة كامبيل لا تهتم بك أكثر منى...! ولن يتسنى لك الحصول على وظيفه بسهولة، وعلينا أن نسعى إليها..

– معذرة، فليس هذا ما أنشده... وإلى أن يستقر رأيى سأحصل على الوظيفة..

– عجبا..!

– أقصد القول إن هناك مؤسسات للإعلان فإذا قدمت طلبا سأوفق فى الحال..

– هكذا..! عليك ألا تقبلى أيه وظيفه..!

– لا أبلى بكل هذا... كل ما أريده أن أكون فى أسرة أحد السادة..

– لن يهد أبالنا، أنا وأسرة كامبيل إلا بعد استقرارك فى مركز كريم وتشعرين فيه بالسرور والعز والهناء..

– إننى جادة فى أن توفرى جهودك، وعاجزه عن شكرك يا مسز ألتون.. ولن افكر فى الوظيفه إلا فى الوقت المناسب..

دخل المستر وود هاوس الحجرة فغيرت المرأة مجرى الحديث.. فسمعتها تقول لجين:

– ها هو العزيز الهرم الأنيق... كم هو حبيب إلى النفس..!

ما رأيك فى فستانى...؟ إنه من اختيار سيلينا...

إننى أميل إلى البساطه، وأفضل الثوب البسيط..!

هل تظنين فستانى أنيقا.؟.

جاء المستر وستون اخيرا...

فرح المستر وود هاوس لرؤياه...

أما المسز آتون فاندهشت. لماذا جاء بعد اليوم الشاق من العمل فى لندن.؟. أما كان الجور الأجدر أن يظل فى بيته ليرتاح.؟!

نظر إليه المستر نايتلى بدهشة، أما المستر وستون فبدا منشرح الصدر كعادته، وراح يمهد لرسالة عائليه تخص المسز وستون... إنها من فرانك، وقد تسلمها هو فى الطريق ففضها وقال لها وهو يتناولها إياها:

– ستجدين فيها ما يسرك...! إقرئيها لإما كذلك...

وبينما هما تطالعان الرسالة كان يقول:

– اجل، إنه قادم... فما قولكما....؟ لقد قلت إنه سيعود قريبا ولم تصدقانى..؟. سيكون هنا الأسبوع القادم.. أما ما زعمته زوجة خاله عن مرضتها فهو كذب...

جميل أن يعود فرانك بيننا...

سرت المسز وستون كثيرا أما إما فانشغلت بسبر غور مشاعرها...

حكاية وملاحظة

قال المستر وستون للمسز ألتون:

– أمل أن يسعدنى الحظ بتقديم ابنى إليك. عن فرانك تشرشل. إنه ابنى..

– أجل، ويسعدنى كثيرا أن أتعرف إليه.. وسيسعد كلانا، المستر ألتون وأنا برؤيته فى الأبرشيه..

– ما أكرمك..! إننى على ثقة أن فرانك سيكون فى غاية السعادة.. لقد التقيت برجل البريد وهو يحمل رسالة لزوجتى..!

ضحكت وقالت:

– عجبا يا مستر وستون، أتفض رسالة موجهه إليها.؟!

– عفوا، لقد جاء فى الرسالة أنهم قادمون جميعا لأن المسز تشرشل كانت معتله الصحة طيلة الشتاء وتظن أن البرد الشديد فى (أنسكومب) ولا يناسبها المكان هناك –إنها ليس لها مكانة عظيمة عندى، وهى شديدة الولع بفرانك ولذا لا أذكرها بسوء... وهى معتلة الصحة الآن..

قطع حديثهما وصول أقداح الشاى، وانصرف عنها المستر وستون.. جلس المستر وستون وزوجته والمستر ألتون والمستر وود هاوس بعد الفراغ من تناول الشاى يلعبون الورق...

قال المستر جون:

– أجل يا إما، أعتقد أنه لا مجال للحديث عن الأولاد، لديك خطاب أختك، وفيه كل شئ... إن ما أوصى به ألا تدلليهما أو تعطيهما دواء...

– سأبذل قصارى جهدى لإسعادهما وفى هذا الكفاية لإيزابيلا...

– فإن كانا مصدر إزعاج عليك بإرسالهما إلى بيتهما من جديد.. لقد جئت لأقضى يوما هنا فوجدتك مشغولة بمأدبه عشاء...! وكل خطاب تتلقاه منك إيزابلا فيه وصف لمباهج ومسرات جديدة..! ومآدب عشاء عند المستر كول، وحفلات راقصه فى نزل التاج، ثم تكرار خروجك وهذا لم يأت إلا عن طريق راندولز..!

قال أخوه بسرعة:

– أجل راندولز هى السبب..

– فإذا كان الولدان عقبة فى طريقك فأرجو إرسالهما إلى بيتهما..

صاح المستر نايتلى:

– لا، إرسلهما لى فى دونول، فليس عندى ما يشغلنى..!

صاحت إما:

– أنتما تدفعنى إلى الضحك..! كم ارتباط لدى يتم إلا وأنت بين الجماعة..! ثم من قال إنه لا وقت عندى لرعايه الولدين..؟

ثم أومأت برأسها إلى جون وقالت:

– إننى فاهمة، لقد كنت سعيد الحظ لأنك التقيت بأصدقائك هنا

وسررت وأردت ألا تمر الحكاية دون ملاحظه..!

ثم التفتت إلى جورج وقالت:

– ولكنى لا أتخيل وأنت تعلم أننى لا أكاد أبتعد عن هارتفيلد ساعتين تتنبأ بهذه المباذل التي أضيع فيها وقتى عبثا...!

أما عن الصغيرين فأقول إنه إن لم يتسع لهما وقت خالتهما إما فلن يكونا أسعد حالا مع همهما جورج... الذى يغيب عن بيته فوق الساعات الخمس... وهو فى البيت إما منصرف للقراءة أو إلى تسوية حساباته.!

حفل الرقص

كانت إما قلقه على فرانك...!

تضاءل تعلقها به حتى أصبح لا يشغل تفكيرها، وكان ما يقلقها هو أن يعود حاملا لها المشاعر الفياضة... ولا بد من اتخاذ الحيطه من أجله ومن أجلها معا.. لقد صممتا على عدم الوقوع فى شراك حبه مرة أخرى.. ورأت من واجبها ألا تشجعه.

وسرعان ما أقبل فرانك وحده إلى هاييرى لتقضى ساعتين.. ولما حضر من رانولز إلى هارتفيلد مباشرة فقد أمكن لإما أن تتفحصه...!

رأته أقل هياما بها عن ذى قبل.. كان مبتهجا للغاية ومقبلا على الحديث والضحك، ولقد ظل عندهم مدة لا تزيد عن ربع الساعة ثم خرج ليقوم بزيارات أخرى فى هاييرى...

كانت تلك الزيارة الوحيدة التى قام بها فرانك فى غضون عشرة أيام، وكان دائم الاعتذار لمن فى راندولز...

قال إنه متأكد من مرض زوجه خالة، فقد صارت أضعف عنها منذ عام..

بعد وقت قصير ظهر أن لندن لم تكن المكان الملائم لها؛ فلم تتحمل ضجيجها وزاد توتر أعصابها وازدادت آلامها وأرسل فرانك رسالة بأنها متجهه معهم إلى ريشموند ليتولى علاجها طبيب مشهور.. ولقد

استأجروا بيتا فى بقعه بديعة...

بدا لإما أن فرانك فى غايه لسرور وقد أشار فى رسالته إلى ذلك وأضاف أنه يقدر كثيرا نعمة بقائه شهرين بقرب أصدقائه.. وأنه واثق بأنه سيتردد على راندولز كلما أراد..

فرح المستر وستون ولاشك بهذه الأنباء، فالمسافه بين اندولز وريشموند لا تزيد عن التسعه أميال وتستغرق ساعة فى الركوب...

وتحقق بهذا الانتقال إلى ريشموند شئ رائع... فقد صار تحديد موعد للحفل الراقص وشيكا..!

أرسل فرانك رسالة موجزة قال فيها إن زوجه خاله شعرت بتحسن كبير، وأنه لا مانع من أن يقضى معهم يوما فى أى وقت...

لقد أصبح الحفل الراقص الذى سيقيمه المستر وستون حقيقه مؤكده...!

واستسلم المستر وود هاوس ولم يعارض...

واتفقوا على أن تمضى المسز بيتس الأمسيه فى هارتفيلد، وتم إخطار الحوذى جيمس بالاستعداد...

نقطة ضوء

لم يحدث ما يكدر الصفو أو يمنع الحفله الراقصه، ووصل فرانك تشرشل إلى راندولز ذات صباح..

لم يكن قد لقى إما، فشهدت قاعة نزل التاج اللقاء..

ألحق المستر وستون على إما أن تحضر مبكرة لتبدى رأيها فى الحجرة وأجابت رجاءه، ومن ثم أمضت بعض الوقت فى هدوء مع فرانك... وصحبت بالطبع هاريت معها..

كان فرانك بانتظارهما...

لاحظت إما أنها لم تكن الوحيدة التى ستدل برأيها..كان فرانك يقف بجوارها ودائم التطلع نحو الباب... وقال:

– أظن المسز ألتون ستكون هنا بعد قليل.. إننى شديد اللهف على رؤيتها.. لقد سمعت عنها الكثير..

وسمعوا صوت مركبه آتية...

ثم أقبل المستر ألتون وزوجته...

تلهفت إما على معرفه رأى فرانك فى المسز ألتون..

قالت المسز ألتون للمسز وستون:

– يا له من شاب ظريف للغاية، وهو نموذج للسيد الكامل... فليس

به غرور ولا دلال الشبان الذين عرفتهم...

سعد المستر ويستون برأيها في ابنه.. فابتسم ابتسامة عذبه...

التفتت المسز ألتون إلى المستر وستون وقالت:

– لابد أن المس بيتس وجين على وصول..

دخلت المس بيتس وأطلقت من فمها وابلا من الكلمات:

– ما أكرمكم..ّ لقد قالت جين: شئ جميل، شئ جميل...! إنه لشئ جدير بالإعجاب و...

وما أن التقت بالمسز وستون حتى قالت:

– جميل جدا وأشكرك يا سيدتى، وأرجو أن تكونى بخير، ويسرنى أن أسمع ذلك..! آه...! ها أنتيا عزيزتى المسز ألتون..! إننى شاكرة لك لأجل المركبه..! إنها مريحه للغاية ونحن مدينتا ذلك على حسن صنيعك.. و...

ثم رأت إما فقالت:

– كيف حالك يا عززتى المس وود هاوس..؟ ثقى بأنك تبدين فاتنة... آه.. هاهو الدكتور هيوز وزوجته لابد أن أذهب لتحيتهما...

عاد فرانك إلى مكانه بجانب إما التى وجدت نفسها تصغى إلى حديث المسز ألتون والمس فير فاكس.. وهما تقفأن خلفهما مباشرة...

سألتها المسز ألتون:

– ما رأيك فى فستانى..؟ وتسريحة رايت لشعرى..؟

لقد فهمت أن فرانك تشرشل راقص ممتاز وسنرى إن كانت طريقتنا فى الرقص متماثلة... إنه بلا شك شاب ظريف وأنا معجبه به للغاية..

ظهر المستر ألتون فصاحت:

– آه، لقد ظهرت أخيرا..!

سألت إما فرانك:

– كيف وجدت المسز ألتون؟

– لا شئ...

– يا لك من جاحد..!

– ماذا تعنين... لا تقولى شيئا لى.. أين والدى؟

متى سيبدأ الرقص..؟

قال المستر وستون:

– من واجب فرانك أن يطلب إما ليرقص معها...

فالتفت فرانك إلى إما وأعلن بزهو أنه اختار شريكته فى الرقص... ثم كانت رغبه المسز وستون أن يرقص زوجها مع المسز ألتون...

تواصل الرقص فى بهجه ومرح.. وانطلقت الألسن تلهج بالثناء على الحفل وصاحبته...

بدأت الرقصتان الأخيرتان قبل موعد العشاء..

ولم تجدها ريت زميلا يراقصها... فقد كان عدد الراقصين متوازنا

منذ البداية... وكان المستر ألتون واحده يتمشى ولم يطلب مراقصه هاريت..

وسرعان ما وقف يحادث المسز وستون..

سألته:

– لماذا لا ترقض يا مسز ألتون.؟

– إنني على استعداد على أن يرقص معي...

– لا، لا... إنني لا أجيد الرقص.. هناك فتاة لم يطلبها أحد للرقص... هي المس سميث...

– آه، إنني لم ألحظ ذلك..! لكن وا أسفاه، لقد ولت أيام رقص...

ثم انسحب ليقف مع المستر نايتلى، فكما رأت إما أن تنفجر من الغيظ..

وإذا بإما تضحك؛ فقد اتجه المستر نايتلى إلى هاريت وأخذ بيدها إلى المرقص..!

قالت المسز ألتون لزميلها في الرقص:

– لقد أخذت نايتلى الشفقه بمس سميث. إنه ولا ريب رجل دمث الأخلاق إلى أقصى حد...

أعلن أن موعد العشاء قد حان فتحركوا صوب المائدة..

وكانت المس بيتسى قد أطلقت للسانها العنان؟؟

جين يا عزيزتي.. أين أنتَ.؟ها هو الشال... ارتديه حول رقبتك يا

عزيزتى... تقول المسز وستون إنها تخشى التيارات الهوائية بالممر... أهلا مستر تشرشل.. كيف حالك..؟ إن رقصك رائع للغاية و:..

لم تسمح الفرصة للحديث بين إما والمستر نايتلى إلا بعد تناول العشاء..!

قال لها:

– لقد عمد الزوجان ألتون إلى تجريح هاريت... ولكن خبرينى: لماذا هما عدوان لك..؟

لم تجب، فواصل:

– يجب أن تعترف يا إما إنك كنت تودين زواجه من هاريت..!

– نعم... وهما لن يغتفراه لى..

– لن أنحى عليك باللائمه... وسأتركك لأفكارك.!

– أعترف بأننى أسأت الظن تماما فى المستر ألتون، فهو شخص فيه صغار، وقد اكتشفته قبلى... كنت واثقة أنه يحب هاريت...

– و أعترف لك إن اختيارك لهاريت كان رائعا... ففيها كل ما عرفت منه المسز ألتون..! إنها فتاة مستقيمة، ومخلصة وحلوة الحديث... أكثر مما كنت أظن..!

شعرت إما بمنتهى السرور... وانقطع حديثهما حين أعلنت المسز وستون استئناف الرقص.!

قالت:

- هلمي يا إمـا وكـوني قـدوة للسـيـدات، فـإننا أراهن نائمـات وكسولات...

قالت إما:

- أنا جاهزة..

سألها المستر نايتلي:

- ومع من سترقصين.؟

- معك...

- هل تراقصينني..؟

- نعم، هلم بنا..!

وزال الوهم

كان التفاهم مع المستر نايتلى داع لسرور إما...!

كانت فرحتها لأنهما التقيا عند إدراك حقيقة ألتون وزوجته.. وأثلج صدرها خاصة مدحه لهاريت...

بدت هاريت فى نهاية الحفل كمن استيقظ من حلم. رأت أن المستر ألتون ليس بالرجل الممتاز الذى كانت تتصوره.. وزال ولعها به... ولم تعد تخشى شيئا على هاريت..

ما أعظم ما تنتظره إما من هناء فى الصيف التالى..! صارت هاريت أكثر تعقلا، وفرانك أقل حبا، والمستر نايتلى غير مبال لجدالها ومعارضتها..!

حين انتهت إما من ترتيب شئون البيت ولبت مطالب الصغيرين إذا بالبوابه الحديديه تفتح ويدخل شخصان لم تتوقع رؤيتهما معا: فرانك وفى ذراعه هاريت..!

كانت هاريت شاحبه خائفه وفرانك يشجعها.. وسرعان ما كانوا ثلاثتهم فى البهو... وارتمت هاريت على مقعد وفقدت وعيها..

بعد دقائق ألمت إما بكل شئ...!

لقد خرجت المس سميث والمس بكرتون، وهى مدرسة بمدرسة المسز جودارد، معا... وسلكتا طريق ريشموند وعند منعطف تظلله أشجار

الدردار على الجانبين ظهرت جماعة من الغجر فجأة... خرج من بينها طفل يستجدى الفتاتين. ارتاعت المس بكرتون ونادت على هاريت لتعدوا خلفها، لكن المسكينه لم تقدر على اللحاق بها... واضطرت إلى التوقف وقد بلغ. بها الخوف أشده..

هجم عليها ستة أولاد وامرأة ضخمة وصبى كبيروهم يصيحون بها أن تعطيهم نقودا، فأخرجت من كيس نقودها شلنا.. ثم سارت فتبعوها وطلبوا المزيد...

وجدها فرانك على تلك الحال.. وكانوا يسبونها بأقذع الشتائم..!

لقد شاء حسن حظها أن يتأخر فرانك فى هايبرى مما دفعه إلى نجدتها فى الوقت المناسب.. ولم تره العصابه وهو يقترب فصاح وأفزعهم فلاذوا بالفرار..!

وسرعان ما جاء بها إلى هارتفيلد على تلك الصورة.!.

رحل فرانك بعد أن اطمأن على سلامة هاريت..

لكن إما كانت تفكر... أليس هذا الموقف قد جمعهما على الألفه..؟

إن الأمر عجيب ولم يحدث لأية فتاة فى الجوار من قبل...!

لقد تحدث فرانك عن ذعر هاريت وسذاجتها، وكيف تعلقت بذراعه بشدة وهو مدهوش وفرحان... وكيف سخط على زميلتها الجبانه...!

عزمت إما على ألا يعلم والدها بما حدث... فسيسبب له هذا إزعاجا وقلقا، لكن كان إخفاء الأمر عنه مستحيل؛ فقد ذاع الخبر فى أرجاء هايبرى وأصبح حديث الجميع..

وارتعب المستر وود هاوس.. وجعل يطالبهم بألا يبتعدوا عن أشجار التوت مرة أخرى..

أما الغجر فأسرعوا بالرحيل نجاه بجلدهم، وأصبح فى وسع الفتيات أن يسرن دون خوف..!

لا.. إستسلام

مضت على تلك المغامرة أيام قلائل وإذا بهاريت تجئ ذات صباح إلى إما وبيدها ربطه صغيره قائلة في تردد:

– إن كان لديك وقت يامس وود هاوس فأود أن أدلي إليك باعتراف...

اعترت إما دهشه بالغه. رجتها أن تتكلم. بدا على هاريت مظهر من الجد جعل إما تتوقع أن تدلي إليها بشئ عادى..

قالت هاريت:

– إن من واجبي ورغبتي أيضا ألا أخفى عنك شيئا من هذا الموضوع. لقد أصبحت مخلوقا جديدا لحسن الحظ في ناحية ما، ومن حقك أن تعرفي ما طرأ على من تغيير وأن تقرى عينا..

لست أريد أن أثرثر؛ فإني أخجل من استسلامي، وأظنك تفهمين ما أعني...

– أجل، أظنني فهمت...

صاحت هاريت بحرارة:

– عجبا..! لقد كنت أعيش طوال ذلك الوقتفى عالم الخيال.!

– كان هذا مني جنونا، ولم أعد الآن أرى في هذا الشخص شيئا

غير عادى، وسيان عندى أن ألقاه أم لا، ولو لم تكن لى عينان لفضلت ألا أراه.. والحق أننى أقطع المسافات الطويلة كى أتحاشاه... وأنا لا أحسد زوجته قط ولا أعجب بها. هى بلا شك جذابة للغايه، لكنى أحسبها بعيده عن الظرف والكياسة وحسن الخلق.. سمجه، ممقوته... ولن أنسى نظرتها تك الليلة... لكننى أؤكد لك يا مس وود هاوس أننى لا أتمنى لها السوء.. لا، وليكونا سعيدين... لن أشعر بعد الآن بأى ألم، ولكى أؤكد لك هذا فسأقضى على ما كان يجب القضاء عليه منذ وقت طويل..!

أليس فى وسعك التكهن بما فى هذه الربطه..؟

– لا، لا أعرف... هل أعطاك شيئا..؟

ومدت يدها بالربطه، فقرأت عليها إما: (أنفس الكنوز)..

وأثار ذلك فيها الرغبة فى المعرفه...

فتحت هاريت الربطه.. ورأت إما داخلها علبة بديعة من الخشب المطعم، فتحتها وإذا بها غلالة قطنية وقصاصة من شريط لاصق... قالت:

– الآن، عليك أن تتذكرى...

– لا، إننى لا أتذكر شيئا..

– عجبا..! كان ذلك قبل إصابتى بالتهاب الحلق وفى هذه الحجرة بالذات.. وقبل حضور الزوجين نايتلى مباشرة. ألا تتذكرين حين جرح إصبعه بمبراتك الغيرة ونصيحتك له باستخدام الشريط اللاصق..؟

لقد أخرجت ما كان عندى وقصصت له قطعه من الشريط، فقص منها جزء صغيرا، ثم عاد لى البقيه ودفعتنى غفلتى إلى الاحتفاظ بها مثل الكنز...

نهضت إما وصاحت:

- عزيزتى هاريت، لقد جعلتنى أخجل من نفسى إلى درجه لا تحتمل... ألا أتذكر.؟ أجل... إننى أتذكر كل هذا فليسا ممحنى الرب..! كان فى جيبى الكثير منه لكننى إحتلت عليكما لتقعا فى الحب..!

وعاودت الجلوس قائلة:

- واصلى حديثك... وماذا أيضا.

- لم يخطر ببالى أن معك مثله..!

- إذن فقد احتفظت بالقطعه من أجله..!

- وهنا شئ أخر أكثر قيمه... كان ملكا له..!

كان بقية من قلم رصاص قديم.. تركها ألتون فوق المنضدة حين كان يدون بعض الخواطر...

- أكملى...

- هذا كل شئ.. ليس عندى ما أحكى عنه.. سألقى بهذه الأشياء فى نار المدفأة... وأريدك أن ترينى...

- أنت مسكينه يا عزيزتى هاريت.. وكنت سعيده بالكنز..؟

- أجل، فقد كنت بلهاء..! ثقى بأننى كنت مخطئه للغايه لأحتفظ

بهذه الأشياء بعد زواجه...

– لكن، أضروري أن تحرقي الشريط فقد تكون فيه منفعه..؟

– سأكون سعيدة بحرقه... ها هي العلبه في النار وانتهيت من المستر ألتون بحمد الله..!

تساءلت إما: متى يقع الحب بين هاريت وفرانك.؟.

لا، فقد وقع بالفعل...!

حدث بعد حادثه هاريت مع الغجر بأسبوعين أن كانتا تتحدثان.. فقالت لهاريت:

– أجل يا هاريت أنصحك بأن تفعلي هذا حين تتزوجين..

قالت هاريت بجد:

– لن أتزوج ماجيت...

– عجبا..! هذا قرار جديد...

– ولن أحيد عنه أبدا..

– آمل ألا يكون هذا بسبب المستر ألتون..

– فصاحت غاضبة:

– المستر ألتون..! من..؟ لا، لا.. إنه يفوقه بكثير..

– لن أدعي يا هاريت أنني لست متأكده مما تقولين إن عزمت عليه، أو بالأحرى ما تفكرين فيه من عدم الزواج، إنما سببه اعتقادك بأن حبك المفضل قد يكون أرقى منك منزلة... وهو لن يفكر فيك، أليس كذلك؟

– صدقيني يا مس وود هاوس... إنني لا أجرؤ على التفكير في ذلك، لكنني معجبه به عن بعد.. وأفكر في أنه يفوق الناس جميعا...

– إن ما أداه لك من خدمة يكفي لإشعال حبك...

– خدمة..! خدمة..! إنه شئ لا يمكن التعبير عنه...

– إنني حين رأيته قادما بكل نبل.... "آه... لقد انقلب الوضع تماما، من تعاسة كاملة إلى سعادة تامة..

– إنه شئ طبيعي ومشرف.. فقد أحنت الاختيار... لكن لا تستسلمي يا هاريت فقد لا يبادلك نفس الشعور.. ولا تطلقي لمشاعرك العنان حتى تتأكدي من حبه...

– إنه أعلى منك منزلة بلا ريب، لكن زيجات كثيرة تمت برغم عدم التكافؤ... لكن كوني على حذر...

– وقبلت هاريت يدها في صمت وتواضع...!

الحلـــم

حل شهر يونيو فى هارتفيلد وهم على آمالهم، أما فى هاييرى فلا تغيير ملحوظ..

كان الزوجان ألتون لا يزالان يتحدثان عن زياره أسرة (سكلنج) وعن استعمال مركبتهما فى تجوالهما...

وكانت جين لم تزل فى بيت جدتها المسز بيتس، وقد تأجلت عودة أسرة كامبيل من أيرلندا وتحددلها شهر أغسطس، ولذا ستقضى فى هاييرى شهرين كاملين..

أما المستر نايتلى فقد ازداد كرها لفرانك تشرشل، وبدأ يشك فى أنه يخدع إما، فلا شك أن إما كانت هدفه؛ فهو مهتم بها، وأبوه دائم التلميح، وزوجه أبيه تلتزم الصمت...

راح نايتلى يتهم فرانك بمداعبه جين فير فاكس... وقد دلت الشواهد على أن بين الإثنين تفاهما وانسجاما..

كانت نيتلى يتناول العشاء وآل راندولز وجين فى بيت ألتون فلاحظ أكثر من نظرة يوجهها فرانك إلى جين...

قال لإما:

– لقد ظننت ما شاهدته من صنع خيالى..

قالت إما:

– بل إن ثمه تفاهما بينهما...

وكان نايتلى يسير بعد العشاء فى طريقه إلى هارتفيلد وإذا به يلتقى بإما وهاريت فصاحبهما... وإذا بهم يلتقون بأسرة وستون والمس بيتس وجين...

فلما وصلوا إلى بوابة هارتفيلد أصرت إما أن يدخلوا ويتناولوا الشاى مع أبيها لأن ذلك سيسره...

وإذا هم فى الحدائق المحيطه بالبيت ظهر المستر برى على جواده.. فقال فرانك للمسز وستون:

– ماذا تم بخصوص إصلاح مركبته.؟

بدت عليها الدهشه وهتفت:

– لم أكن على علم بهذا...

– لا، لقد أخبرتنى أنت بهذا فى خطابك منذ ثلاثة شهور..

– عجيب..! مستحيل..!

– بل إننى أذكر ذلك تماما... بل إن المسز برى رحبت بذلك كثيرا...

– ثق بأننى لم أسمع بهذا إلا الآن..

– معقول.؟ إذن فقد كنت أحلم..

– صاح المستر وستون:

– ما هذا الذى تقولانه عن برى ومركبته..؟ هل سيصلح برى مركبته

يا فرانك..؟ هل سمعت ذلك منه؟

– ضحك فرانك وأجاب:

– كلا، وقد يكون قد اختلط على الأمر..! وقد يكون حلما..!

– ومع ذلك فإنه لعجيب أن تحلم باستمرار ..! غريب أن تحلم ببرى ومركبته وتحلم بزوجته تحبه على ذلك... إن لك هذا يدل على أنك تفكر كثيرا فى هاييرى... وأنت يا إما، أظنك تحلمين كثيرا كذلك؟

– لكن إما كانت بعيده فلم تسمع...

– صاحت المسز بيتس:

– لماذا..؟ لابد أن المسز فرانك قد شاهد حلما، لكن على أن أعترف بأن المسز برى ذكرت هذا لوالدتى وقد علمت بذلك أسرة كول، لكن كان هذا سرا لا يعرفه سوانا وكان ذلك منذ ثلاثة أيام.. وجاءت إلى والدتى ذات صباح وهى مسرورة لأنها ظنت أنها نجحت فى دفعه إلى ذلك..

قال فرانك بعد أن فحص منضده كانت خلفه:

– هل أخذ إبنا أختك يا مس وود هاوس الحروف الأبجديه التى كانت هنا فى صندوق..؟ أن الصندوق..؟ لقد استمتعنا ذات صباح باللهب بها.. وكنت أود أن أسليكم بها مرة أخرى..!

سرت إما من الفكرة وسرعان ما أحضرت الصندوق... ونثرت الحروف فوق المائدة.. وأخذ كل منهما يكون كلمات للآخر.. أو لمن يهتمون بالألغاز..

صادفت اللعبه هوى فى نفس المستر وود هاوس لما فيها من هدوء..

وها هو يبدى أسفه لسفر الصغيرين العزيزين...

وضع فرانك كلمه أمام جين فانشغلت باستجلاء مقراها، وكانت تجلس أمامه هو وإما.. أما المستر نايتلى فجلس يرقب اللعبه بعينين ثاقبتين..

أدركت جين مغزى الكلمة فدفعت بالحروف بعيدا بابتسامة خافته.. وتناولت هاريت الحروف وراحت تفكر فى مقراها.. ولما كانت جالسة إلى جوار المستر نايتلى فراح يعاونها، وسرعان ما صاحت:

– الكلمه هى (هفوه)...

احمرت وجنتا جين، بينما نظر نايتلى بحده إلى فرانك وجين.. إن الحروف لم تكن إلا وسيله للتضليل...

جهز فرانك كلمه أخرى لإما... ولاحظ نايتلى أنها عرفتها فى الحال وسرت لها كثيرا... وقالت:

– سخف، يا للعار..!

قال فرانك لجين:

– خذيها أنت..!

فضحكت إما وقالت:

– لا، لا يجوز... لا..

دفع فرانك بالحروف لجين.. وتطلع نايتلى بحدة ورأى الكلمة، إذا بها (دكسون)..

ظهر على جين الاستياء.. واحمر وجهها ودفعت الحروف بعيدا وقالت فى غضب وهى تشيح بوجهها بعيدا:

– ما كنت على علم بأن أسماء الأشخاص يباح استخدامها..!

صاحت خالتها:

– أجل، حقا يا عزيزتى.. فهلمى بنا ننصرف... إن جدتك بانتظارنا.. والآن يا سيدى العزيز شكرا...

– وقفت جين فى الحال... وهى تبحث عن شالها..

ظل نايتلى فى هارتفيلد بعد انصراف الجميع.. لقد غرق فى أفكاره، ولما جئ بالشموع وجد لزاما عليه أن يوجه نظر إما فقال:

– أتسمحين لى بسؤالك..؟ على أى أساس كانت هذه التسلية..؟

لقد رأيت الكلمه... فكيف تكون فيها تسليه لك ومضايقه لجين..؟

ارتبكت جين وهى تجيب:

– آه، لم نقصد غير الدعابة..!

– يبدو أن الدعابة كانت مقتصره عليكما، فرانك وأنت..!

ولزمت الصمت، ولكنه واصل يقول:

– عزيزتى إما، أتظنين أنك على علم تام بما بينهما.؟

– بين فران وجين..؟ نعم... لماذا تشك فى هذا..؟

– ألم يكن هناك سبب يجعلك تفكرين فى أنه معجب بها وأنها تبادله لإعجاب..؟

صاحت بصراحة:

لا، أبدا... ولم يخطر على بالى مطلقا. كيف فكرت فى هذا؟

خيل لى أننى شاهدت هذا... فبينهما نظرات لها دلالتها..

عجبا.. يسرنى أنك واسع الخيال.. على أننى أؤكد أنه ليس بينهما شئ... وهما بعيدان كل البعد عن أى إعجاب وحب.. وهى لا يعيرها انتباها..

كان كلامها بحماس بالغ جهعل نايتلى يتردد ويسكت... كانت مبتهجه، وودت لو يطول الحديث، لأنها تحب أن تسمعه...

تريده أن يستمر فى شكوكه، ويصف لها كل شئ... النظرات واللمسات... وتستمع إلى أسئلته..

تريده أن يسألها متى حدث ذلك..؟

وأين حدث....؟

ولماذا حدث..؟

وكيف حدث...؟

لكنه لم يشاركها المتعه....

لقد أثيرت مشاعره وعجز عن الكلام..

وأسرع بالخروج وسار إلى بيته حيث الهدوء والراحة..

الجـــواد

كـان على أهـل هايبـرى أن يتـحـملوا ألم اعـتـذار آل (سكلنج) عن الحـضـور قـبل فـصل الخـريف... وانشـغلوا بأخـبـار المسـز تشـرشل ومرحها، وحال المسز وستون وانتظارها مولودا...

وأصيبت المسز ألتون بخيبه أمل قاصمـة باعتذار آل سكلنج عن الحضور، فلم يبق داع للتفاخر بأسرة سكلنج بعد..!

ثم اقترحت على الجميع القيام برحلة إلى (بكس هل).. وتشوقت إما إلى الذهاب...

وسرعان ما سمعت من المستر وستون أنه اقترح على المسز ألتون أن تذهب أسرتهما معا إلى بكس هل... فأحست بضيق شديد لكنها وجدت نفسها مضطرة إلى الموافقه..

شعرت إما أن مشاعرها قد جرحت... وشعرت بقسوة نحو المستر وستون الطيب..!

قال المستر وستون:

– يسـرنى أنك وافـقت، فـالجـمـاعـات لا تكون ممتـعـه إلا إذا زاد عـددها.. والمسـز ألتون على أى حـال سـيـده طيـبه القلب ولم يكن فى وسعنا أن نعقلها..!

كان ذلك أوسط شهر يونيو، وكان الطقس بديعا... لكن جواد المركبه أصيب بعرج، فتوقف كل شيء، وساد الجو ركود محزن، كان الموقف أصعب من أن تحتمله أعصاب المسز ألتون.. صاحت تقول:

– ماذا نحن فاعلون يا مستر نايتلى..؟ لسوف ينقضى العام قبل أن نفعل شيئا..!

قال المستر نايتلى:

– يمكنكم الذهاب إلى دورنول دون الحاجة إلى الخيل... لتأكلوا من الشليك فى أرضى هناك..

قالت:

– آه، هذا ما أشتهيه..!

كانت تريد الذهاب إلى أية جهة..

قالت له:

– يمكنك الاعتماد على كل الاعتماد، تأكد إننى سأحضر، وما عليك سوى تحديد اليوم... هل يمكن اصطحاب جين معى..؟

– لا يمكننى أن أحدد يوما إلى أن أحدثص الآخرين..

– أوه، اترك لى ذلك... يكفى أن تعطنى تفويضا..

– آمل أن يحضر معك المستر ألتون لا غيره..!

– آه، كم تبدو ماكرا... لا ضير عليك من تفويضى فلست صغيرة ويمكنك أن تسلمنى زمامك...

– لا، فليس هناك إلا زوجه واحدة يمكننى أن أسمح لها بذلك... هى...

– قاطعته قائلة:

– المسز وستون فيها أظن..؟

– لا، بل المسز نايتلى...

– أنت إنسان مدهش، وفيك دعابة.. وقدره على قول ما يحلولك.. وحب المزاح... سوف أحضر جين وخالتها معى.. وسأترك لك الباقين..

– لاشك أنك ستقابلهما... وسوف أذهب إلى منزل المس بيتس فى طريقى...

– لا، لا لزوم لهذا فإننى أرى جين كل يوم، لكننى آمل أن يكون ذلك صباحا، لأرتدى قبعه كبيرة..

أجابها:

– فكرتى بسيطه، أن تمر المائدة فى حجرة الطعام، فإن تبعتم فى الشيلك فى الحديقه أمامكم اللحم البارد داخل البيت..

– ليكن ما تحب.. لكن لا تعد لنا أصناف كثيرة...

– وددت لو كان لدينا حمير..! ما أجمل أن يأتى كل منا راكبا حماره..!

– حسنا، الطريق غير مترب وبخاصة منعطف (دونول) فيمكنك المجئ على حمار إن كنت تفضلين ذلك.. وبإمكانك استعارة حمار المسز كوى..!

– إننى أتبين من صراحتك المطلقه أن قلبك فى منتهى الطيبة وتحب الدعابة، وثق يا نايتلى بأننى شاعرة تماما باهتمامك بى..

كان أساس دعوته إلى هذه الرحلة الثقة، ولذلك استجاب المستر وود هاوس للدعوة ولم يكن ذهب إلى دونول من سنتين..

وسعد نايتلى حين لبوا دعوته توا، فقد ظنها كل منهم تكريما له، وصرحت إما وهاريت أنهما تأملان من ورائها البهجه... وقطع المستر وستون على نفسه عهدا بأن يأتى بفرانك ليشاركهم إن أمكن.. وسارع بالكتابه إليه...

شفى الجواد من عرجه، وعاد مشروع الذهاب إلى (مكس هل) يطل بنفسه من جديد.. واستقروا على الذهاب يوما إلى (دونول) ويوما إلى (مكس هل)... ما دام الطقس بديعا..

سار المستر وودهاوس فى مركبته آمنا فى يوم من أواسط الصيف ونافذة المركبه مفتوحه.. وهناك وجد له حجرة خاصة توفرت فيها إمكانيات الراحه ومزودة بالمدفأة...

كانت المسز وستون الراحه ومزوده بالمدفأة...

- كانت المسز وستون قد سارت المسافة على قدمها لتجلس معه طوال الوقت.. فتركته لها إما وذهبت لاستطلاع ما حولها..

كان البيت فى دونول أكبر من بيت هارتفيلد ومختلف عنه تماما، فهو مقام على رقعه واسعة من الأرض، وبه حجرات كثيرة مريحة... لقد كانت هناك عيوب فى نزعة جون نايتلى لكن إيزابيلا استطاعت أن تندمج فيه... وسعدت إما بهذه المشاعر وانطلقت تتجول وترى

وتسمع....

تجمعوا حول مزارع الشيلك إلا فرانك الذى كان حضوره من ريشموند وشيكا.. ووقفت المسز ألتون فى سعادة وعلى رأس قبعتها الكبيرة وبيدها سلتها تجمع الشيلك وتقول:

– إنه أروع الفواكه فى انجلترا كلها، وهو صحى، وما أروع أن يجمعه الإنسان بنفسه... والنوع المسمى (هوت بوى) أرقاها وهو نادر جدا و...

على ذلك النحو مضى الحديث لنف ساعة.. ثم خرجت المسز وستون فى قلق تسأل عن حضور فرانك... فهى متوجسه خيفة من جواده..

فى مقاعد فى الظل جلسوا...

وجدت إما نفسها تسترق السمع للحديث الدائر بين المسز ألتون وجين.. وهو عن وظيفه ممتازه تم إخطار الأولى بها فى الصباح.. وسرت كثيرا لأنها فى أسره سيدة معروفه فى (مابل جروف) وهى سيدة جميله وممتازه ولطيفه.. وأبت اعتذار صديقتها وأصرت على أن تأخذ منها موافقه لترسلها فى بريد اليوم التالى.. تساءلت إما: لماذا تتحمل جين كل هذا..؟ لقد بدا عليها الغيظ، ثم اقترحت أن تسيرا بعيدا..

ساروا فى طريق متسع قصير تحفه من الجانبين أشجار الليمون.. ويمتد بين النهر والحديقه..

أخذ المنحدر قرب سفحه يزداد انحدارا بعد الحدائق إلى أن انتهى

المسير إلى ربوه عظيمه وعرة تكسوها الأشجار...

كان منظر رائعا ترتاح له العين ويهدأ به الفكر، جمع بين الخضرة والهدوء الانجليزيين فى يوم صيفى بديع..

تجمع الكل فى الممشى، وكان فى مقدمتهم المستر نايتلى وهاريت.. كانا يتبادلان الحديث بصورة ملفته للنظر... وقد سرها هذا كثيرا.. فقد كان يتجنب هاريت من قبل..

لحقت بهما إما، ونايتلى مشغول بإعطاء هاريت بعض المعلومات عن الزراعة... وابتسم لإما...

ثم ذهبوا إلى البيت، لتناول الطعام.. ولم يأت فرانك بعد.. وكانت المسز وستون فى غاية القلق عليه، فقد أكد أنه سيجئ... لكن الحضور قالوا إن صحة المسز تشرشل متقلبة...

انتهى الطعام، وحان وقت خروجهم لاستئناف المشاهدة، لبرك الأسماك القديمة... وحشيش المراعى..

لم يخرج المستر وود هاوس معهم وقررت إما البقاء معه...

خرجت إما إلى البهو لكى تلقى نظرة على مدخل البيت وما يحيطه من حدائق.. وإذا بجين تدخل مندفعه كأنها تهرب.. قالت لها:

– هل تتكرمين إذا افتقدونى أن تقولى إنى عدت إلى البيت..؟

– بالتأكيد إن كانت هذه رغبتك، لكن هل ستعودين سيرا على الأقدام وبمفردك..؟

– أجل... إننى أسير بسرعة وسأصل بعد عشرين دقيقه..

– لكن المسافه بعيده.. فخذى خادم أبى وسأطلب لك المركبه لتوصلك فى خمس دقائق..

– شكرا، لا تطلبى المركبه.. أرجوك، فأفضل المشى... وهل أخاف أنا من السير بمفردى..؟

– بل لابد من المركبه.. وها أنت تشعرين بالتعب..

– نعم أنا متعبه.. وسوف ينعشنى المشى السريع.. وأعظم جميل تسدينه لى أن تسمحى بذهابى..

رمقتها جين بنظرة امتنان، ثم ذهبت وهى تقول:

– آه يا مس وود هاوس..! ما أعظم ما يكون الانسان راحة وهو وحده..!

بعد ربع ساعة من ذهاب جين وصل فرانك تشرشل ودخل الحجرة ولم تكن تفكر فيه ساعتها.. لكنها سرتها رؤيته وهدأ روع المسز وستون؛ فقد تعرضت المسز تشرشل لاضطراب عصبى دام لعدة ساعات مما جعله يؤجل المجئ... لكنه ما إن اطمأن عليها حتى سار بأقصى سرعة...

قالت له إما:

– إجلسى هادئا.. ولن تشعر بالحر..

– سأعود حالما أشعر بأن الحر قد تلاشى.. فليس من السهل أن يستغنوا عنى... لقد قابلت جين وهى تكاد تجرى.!

– قالت :

– ستجد فى حجرة الطعام قدرا كبيرا...

– لا يجب أن آكل وأنا شبعان.. إن هذا سيزيد من شعورى بالحر..

ثم انصرف وعادت إما إلى أبيها...

لقد ذهب وأكل وعاد وهو أفضل حالا، وعادها شاباشا.. كان يبدو مهموما... قال:

– سوف أغادر الوطن حين تشفى زوجه خالى.. وسوف تصلك رسومى.

قالت إما:

– إنك لن تذهب مطلقا، ولن يسمح خالك وزوجته لك بذلك..

– بل سيذهبان معى.. لابد من السفر؛ فقد سئمت البطاله والكسل وأريد شيئا من التغيير يا مس وود هاوس... لقد سئمت انجلترا وبودى لو أتركها غدا...

– لقد مللت الرخاء و المتع...

– عجبا..! أنا أمل الرخاء والمتع..؟ أنت مخطئه تماما يا إما... إننى لا أعيش فى رخاء أو أنغمس فى الملذات... فأنا مغلوب على أمرى...

– ومع ذلك لست مكتئبا... وشريحه أخرى من اللحم وجرعة أخرى من النبيذ الممزوج بالماء ستنعشك...

– لن أتحرك من هنا وسأجلس بجانبك.. إنك أفضل علاج لى..!

– نحن ذاهبون فى الغد إلى (بكس هل) وستكون معنا... ولا بأس

بها لمن أراد التغيير مثلك..!

- لا، لا، بالتأكيد، سأعود إلى البيت حين يخف الحرفى الماء..

- إذن عد صباحا حين يكون الطقس باردا...

- لا، سأكون مكتئبا لو جئت معكم..

- إذن فابق فى ريشموند..

- سأكون أكثر اكتئابا... ولن أحتمل البعد عنكم..

عليك أن تحتار مقدار الكآبه.. لن أضغط عليك بعد الآن..

كانوا عائدين، وسرعان ما تجمعوا، وتهللوا فرحا حين رأوه، ثم عمهم الاضطراب حين اكتشفوا غياب المس فير فاكس..

انتهوا من الحديث.. وانصرفوا بعد وضع الترتيبات لرحلة الغد إلى (بكس هل) وقال لها فرانك:

- إن كنت تريدنى أن أبقى فسأبقى..!

وابتسمت فى سعادة..!

عين الصدق

كان يوم الرحلة إلى (بكس هل) رائع الطقس. لقد أشرف المستر وستون على كل صغيرة وكبيرة، وتولى القيادة بين هارتفيلد والإبرشية صاحبت إما هاريت، وذهبت المس بيتس وجين مع أسرة ألتون، بينما بقيت المسز وستون بصحبة المستر ودد هاوس..

كانوا قد قطعوا مسافه سبعة أميال، ولما وصلوا هللوا فرحا وإعجابا... ثم تفرقوا، سار ألتون وزوجته معا، وصحبت المس بيتس وجين المستر نايتلى، أما هاريت وإما فكانتا من نصيب فرانك تشرشل...

لم يقل فرانك شيئا... فقد بدا شاردا... ووجمت هاريت لوجومه.. ولما اجتمع الكل مرة أخرى تحسنت الحال، وانقلب فرانك إلى الود والبشر والبهجة ويخص إما بالعناية.. ولقد أسعدها هذا كثيرا.. وسمحت له بأن يتمادى فى التودد إليها... لكنهما كانا عرضة لأن تقول الجماعة إن فرانك والمس وود هاوس قد انخرطا فى الهوى.. لكن إما كانت قد عزمت على ألا يكون بالنسبه إاليها أكثر من صديق..! قال لها:

– كم أنا مدين لك بالشكر لأنك نصحتتنى بالحضور اليوم، ولولاك لحرمت هذه السعادة...

– لقد كنت فى غايه الاكتئاب، ولقد كنت لك صديق عطوفا...

- لا تقولى إنى كنت مكتئبا، بل حرانا..!

- الطقس شديد الحرارة اليوم..

- إننى لا أشعر بالحرارة... وأنا فى غاية الراحة..

وسكت ثم عاد يقول:

- لا أقول شيئا أخجل منه. لقد رأيتك لأول مرة فى فبراير...

ثم رفع صوته قائلا:

- سيداتى سادتى..! لقد أمرتنى المس وود هاوس (وهى الزعيمة) بأن أقول إنها تريد أن تعرف فيم تفكرون الآن..؟

قال نايتلى بوضوح:

- أهى متأكدة من أنها تريد ذلك..؟

صاحت إما ضاحكة:

- لا، لا، ليس ثمة دا ع لذلك، فلا أقوى على مجابهته... دعونا نسمع شيئا آخر..

- صاحت المسز ألتون بعنف:

- هذا شئ لم يكن من حقى أن أسأل عنه على الرغم من أننى قد أكون الزعيمه...!

- عين الحق حبيبتى، عين الصدق.. والأفضل ترك هذا يمر على أنه دعابة...

- همس فرانك لإما:

– هذا غير مجد، فمعظمهم يشعر بالاهانه... دعيني... دعيني أثيرهم أكثر:

سيداتي سادتي..! أمرتني المس وود هاوس بأن أقول إنها تنازلت عن طلبها بشط أن يحكى كل منكم شيئا يدل على منتهى الذكاء.. أو ثلاثة أشياء تدل على منتهى الغباء...

قالت المس بيتس:

– رائع، أستطيع أن أقول ثلاثة أشياء تدل على الغباء، أليس كذلك؟

قالت إما:

بلى يا سيدتي.. على ألا تتجاوز العدد ثلاثة..

صاح المستر وستون:

– الفكرة أعجبتني، وإنني موافق وسأبذل جهدا... سأقول ألغازا...

قالت إما:

– تكلم يا سيدى، وأرجو أن تسمعيني إياها...

– ما هما الحرفان اللذان يدلان على الكمال..؟

– لا أعرف..!

– لن تعرفي أبدا يا إما... لكنني سأخبرك بهما إنهما الألف والميم .. ام، ام...

قال المستر نايتلي:

– لقد حسن المستر وستون كثيرا، لكن لم يكن ينبغي أن يأتي

الكمال سريعا هكذا..

قالت المسز ألتون:

- إنني معترضه وأرجو إعفائي... أرجو يا مستر تشرشل أن تتخطاني أنا والمستر ألتون ونايتلي وجين، فليس عندنا أشياء فيها براعة...

- أضاف زوجها:

- أجل، أجل، أرجو أن تتخطاني فليس لدي شئ فيه تسليه للمس وود هاوس أو لايه فتاة أخرى، فأنا عجوز ومتزوج ولا أصلح لشئ...! هلا قمنا لنتمشى يا أوجستا.؟

- بكل سرور... هيا يا جين معي..

رفضت جين فسار الزوجان معا..

قالت المس فير فاكس:

- قدح تنفقد الأواصر بين القلوب بسعة... لكن لابد من سنوح الفرصة للخلاص في الوقت المناسب..

سأل فرانك إما:

- هل تختارين زوجه لي..؟ إنني سأغادر الوطن لسنتين ثمن أعود لأتزوج فعديني بأن تفعلي ولا تنسي..!

- قالت جين لخالتها:

- والآن يا سيدتي، هل نلحق بالمسز ألتون.؟

- كما تشائين يا عزيزتي، إنني على أتم استعداد.. كنت سأذهب معها... ها هي هناك.. لا.. ليست هي..

ثم غادرت الإثنتان وفي أعقابهما المستر نايتلي، ولم يبق سوى المستر ستون وأبنه وإما هاريت..

بينما إما بانتظار المركبه وجدت المستر نايتلي بجوارها يقول:

- لابد لي يا إما من محادثتك مرة أخرى كما تعودت لا يعني أن أراك مخطئه إلا أن أعتب عليك.. كيف تجرؤين على المس بيتس إلى هذا الحد.؟ كيف لم تأخذك الشفقه عليها..؟ وفي مثل سنها وظروفها؟.. ما كنت أحسب أن يحدث هذا منك يا إما..!

احمر وجهها خجلا.. وأسفت.. وأجابت:

- لم يكن بوسع أحد أن يتمالك نفسه.. ولعلها لم تفهم كلامي..!

- بل أؤكد لك أنها فهمته وشعرت بما تقصدينه منه.. فقد أشارت إليه معي بعد ذلك...

- عجبا..! إنها رائعه وحسنه الخلق، ولم أقصد الإساءة إليها..

- عليك أن تقدري ما بينك وبينها من بون شائع؛ فهي فقيره. كانت فيالصغر منعمه ثم هوت إلى حضيض الفقر.. يجب أن تنال ظروفها عطفك وحنانك.. لقد شا هدتك وأنت طفله ومهذبه، ثم ها هي تجدك الآن تضحكين منها وتحطين من شانها.. وهذا أمام ابنه أخيها والغرباء..!

إن هذا لا يسرني يا إما... وكان لابد أن أواجهك بذلك..!

أخذ بيدها وساعدها على الركوب.. وهي ساخطة على نفسها،

والألم يمزقها... فلم تقو على الحديث... ثم تهالكت للخلف وهى شبه منهارة..!

ثم راحت تؤنب نفسها لأنها لم تودعه ولم تعترف بغلطتها... أو تثنى على حديثه..

أطلت من المركبه ولوحت بيدها... لكنه كان قد ابتعد... كان قوله حقا لا يمكن إنكاره.. قالت لنفسها:

(ويحى..! كيف عاملها بهذه الوحشية والقسوة؟.! كيف سمحت لنفسى بأن يكون شخص أجله وأقدره فكرة سيئه عنى..؟ ثم كيف آلمته وقت انصرافه بسكوتى.؟)

وشعرت بالدموع تنحدر على خديها.. بغزارة..!

تداعيات الرحلة

ظلت إما طول المساء تفكر في رحلة (بكس هل) وفي التعاسة التي أحاطتها.. إنها لا تدرى ما رأى بقيه الجماعة فيما حدث..

إن أمسية هادئه تقضيها في لعب النرد مع أبيها لهى أسعد مما حدث.. يا لها من فظيعة..! كم كانت فظه مع المس بيتس..! إن ضميرها يحدثها أنها طالما أهملتها إهلالا في الفكر أكثر من الإهمال الواقعي... كانت تزدريها.. لكن لا، لن تزدريها بعد الآن..! لابد أن تذهب ليارتها صباح الغد، وستكون الزيارة فاتحه لصلة جديدة يسودها الحب والمساواة...

بكرت بالذهاب قبل أن تعوقها شئ... واتجهت ببعدها وهى سائرة لكنها لم تر المستر نايتلي...

في البيت كن جميعا... فشعرت برغبه صادقه في إدخال السرور على قلوبهن..

حدث عند اقترابها هرج ومرج ولغط... ثم أدخلتها الخادمة سريعا.. وسمعت المسز بيتس تقول:

أجل يا عزيزتي، سأقول إنك طريحة الفراش... هل وجدت كرسيا يا سيدتي... إجلسي حيث تشائين... أنا متأكده أن ابنتي ستكون هنا حالا..

وسرعان ما وصلت المس بيتس وهى تهتف:

– أنا سعيدة جدا وشاكرة...

شعرت إما بأنها لم تكن كعادتها فى الثرثرة والابتهاج... فسألتها عن جين فقالت:

– ما أكرمك يا مس وود هاوس..! أحسبك سمعت الخبر وحضرت للتهنئة...

ومسحت دمعة من عينيها وواصلت:

– لكننا سنشعر بالألم لبعدها عنا.. وهى تشكو صداعا عنيفا...

لقد أمضت الصباح كله تكتب للمقدم كاميل ومسز دكسون..

أعذرينا، كان ثمة هرج ومرج فلم نسمع صوت الطرقات على الباب حتى سمعنا صوت خطواتك على السلم.. ثم دخلت باتى وقالت إنك القادمة..

اهتمت إما بالأمر، لأن حنانها ازداد على جين، ومحت الصورة التى وصفت بها المس بيتس الامها كل سوء الظن بها... الحق فى جانب جين حين رفضت لقاءها..

قالت:

– إنها بلا ريب تجربة قاسية لهن جميعا...

– ما أكثر عطفك..!

– هل أسأل إلى أين هى ذاهبة.؟.

– إلى سـيـده تدعى (المسز سـمـول ردج) لطيـفـه وممتـازة للغـاية لتشرف على بناتها الثلاث الصغيرات... وهن ظريفات..

– وهن يقيمن على بعد أربعه أميال من (مابل جروف)...

– أظن المسز ألتون هى التى تدين لها المس فير فاكس بالوظيفه.؟

– أجل، الطيبه لبقلب، والصديقه المخلصه التى لا تتأخر عن أداء أية خدمة... لم تقبل منها رفضا، ولقد قالت لها بالأمس بصراحة: إنها لن تقـبل الرفض، وفى المسـاء اسـتـقـر الرأى على ذهاب جـين... ولقـد اندهشت لذلك كثيرا..!

– هل قضيتن المساء مع المسز ألتون؟

– أجل، فقد أوصيتنا أن نقضى الهرة عندها..

– وكان المستر نايتلى معكن..؟

– لا، فقد اعتذر منذ البدايه... ولقد قضينا أمسية رائعة..

– أظن المس فيثر فاكس كانت تفكر طول النهار لتصل إلى رأى؟

– بالفعل...

– آمل أن تجد فى عملها ما يهون عليها حالة الأسرة...

– شكرا عزيزتى مس وود هاوس.. إن المسز (سمول در[illegible]غاية فى الظرف، والأطفال ليس هناك من يفوقهم لطفا.

آه... وما أعظم مرتبها..!

– بل هى تستأهل عشره أضعاف أى مبلغ [illegible]..!

- يا لك من نبيله..!

- ومتى ستغادر ..؟

- فى القريب العاجل.. وهذا أسوأ ما فى الأمر... فى غضون أسبوعين فالمسز سمول تتعجلها ووالدتى المسكينة لا تدرى كيف تحتمل فراقها..

- لابد أن أصدقاءها سيحزنون لفراقها.. ثم ألن يستاء المقدم كاميل وزوجته لعملها..؟

- بلى... وجين تقول إنها متأكدة من ذلك، لكنها تشعر بأن الوظيفه لا يجوز رفضها..

- علمت إما أن مبعوثا جاء من ريشموند عقب عودة الجماعة مباشره من (بكس هل) وأرسل معه المستر تشرشل برسالة قصيرة إلى فرانك طالبا ألا يؤخر عودته فى اليوم التالى...

قالت لها المس بيتس:

أجل، إننى أعلم فيم تفكرين..! فى البيانو وقصيره، وأنت على حق.. وقالت جين فليظل فى مكانه حتى يأتى المقدم وسأتكلم بشأنه وأجد له حلا...

بدا لإما أن الزيارة قد طالت عما قدرت لها فاستأذنت فى الانصراف وهى تكرر التعنيات الطيبة للجميع.!



تقديـــــر

حين دخلت إما حجرة الاستقبال ألفت بانتظارها المستر نايتلي والمس هاريت. لقد وصلا أثناء غيابها عن البيت وها هما جالسان مع أبيها. قال المستر نايتلي:

لم أحب الذهاب دون أن أراك، ولذا وجب أن أخـرج على الفـور.. إنني ذاهب لقضاء بضعة أيام مع جون وايزابيلا، فهل لديك ما تحبين أن تبعثي به..؟

– لا شئ... لكن أليست مفاجأة.؟

– بلى، هي كذلك...

ووقف ليذهب... فأمطرها والدها بوابل من الأسئلة:

– حسنا يا عزيزتي... هل وصلت بأمـان..؟ كيف حـال صديقتي وابنتها.؟

لقد ذهبت إما يا مستر نايتلي لزيارة آل بيتس...

احمر وجه إما، وأومأت إلى المستر نايتلي برأسها... وإذا به يرى الحقيقه وشعت عيناه بنظرة خاصة فيها ما يكنه لها من تقدير.. وأمسك يدها وضغط عليها... فكان خير تعبير عن وده وصداقته...

واختفى بعدها مباشرة..

لم تأسف إما على ذهابها إلى آل بيتس.. لكنها ودت لو خرجت من عندهم مبكرا لنستمتع بحديثه عن وظيفه جين...

ها هما افترقا وهما صديقان.. لقد فعل ما جعلها تعرف أنها استعادت حسن ظنه بها...

أخذت تنقل إلى أبيها أخبار جين، فأثارت اهتمامه دون تعكير صفوه..!

قال:

– لاشك إنى سعيد للغايه لسماعى بأنها وقفت إلى عمل يربحها، فالمسز ألتون ذات خلق كريم ولطيفه وآمل أن يكون المكان صحيا، واعلمى أنها ستكون مع الأسره الجديده كما كانت المس تيلور معنا..

– لكن، فى اليوم التالى وصل نبأ من ريشموند طغى على ما عداه..

لقد ماتت المسز تشرشل..!

إنها لم تعش أكثر من ست وثلاثين ساعة بعد عودة فرانك ولقد انتابتها نوبه فجائيه قضت عليها...

تساءلوا فى هارتفيلد وهايبرى عن مكان الجنازة

سمعت إما الناس يقولون:

(مسكينه المسز تشرسل..! لا شك أنها عانت كثيرا.. وأكثر مما نظن..! يا له من حادث محزن وصدمة كبيرة.!

آه، ماذا المستر تشرشل فاعل..؟

هز المستر وستون رأسه حزنا وقال:

- آه.! مسكينه، من كان يظن هذا..؟

وراحا يفكران: ما تأثير ذلك على فرانك..؟

أما إما ففكرت بأنه أصبح طليقا وأصبح ارتباطه بالمس سميث ولا شئ يعرقه..!

أما الخال فهل الإقناع... وسيقنعه فرانك بتأكيد أما هاريت فكان ملكها رائعا..! لقد تمالكت نفسها ولم تكشف عن دخيله نفسها..

وسرت إما بها، وظل حديثهما عن موت المسز تشرشل محاطا بسياج من التحفظ وضبط النفس..

وصلت رسائل إلى راندولز من فرانك وصف حاله وخاله وخططه العاجله المهمة.. إنهما سيتنقلان إلى يوركشير إلى بيت حريق قديم فى (وندسور)...

أما جين فير فاكس فهى تشغل بال إما كثيرا، التى أفلت آمالها على حين انتعشت آمال هاريت...

أسفت إما الآن على فتورها نحو جين فيما مضى، وهى تود أن تغمرها بكل العطف والحنان..

عزمت على إقناعها بقضاء يوم كامل فى هارتفيلد، فكتبت لها رسالة ألحت فيها عليها أن تقبل دعوتها.. لكن رفضت الدعوة شفويا بحجة أنها لا تقدر على الكتابه لسوء صحتها..!

وعاد المستر برى إلى هارتفيلد مؤكدا أنه عاد جين فإذا بها تشكو

صداعا عنيفا وحمى عصبية إلى درجة جعلته يرتاب فى قدرتها على الذهاب للعمل فى الموعد المحدد..

كان المستر برى قلقا عليها.. وأن إقامتها فى نفس الحجرة سيجعل انهيارها مؤكدا..!

استمعت له إما باهتمام عظيم وازدادت حزنا من أجل جين.. وأخذت تبحث كيف تمد لها يد العون.. وكتبت لها صباح اليوم التتالى بأنها ستمر عليها بالمركبة لتأخذها للنزهة..

لكن وصل الرد فى عبارة موجزه: (المس فير فاكس ممتنة وتحييك، لكن حالتها لا تسمح بأى رياضه..!)أمرت إما بإعداد المركبه وركبتها إلى بيت المسز بيتس طمعا فى موافقه جين على مصاحبتها.. لكنها باءت بالفشل..

أقبلت المس بيتس إلى باب العربة تعد لها عن شكرها ولكنها متمسكه برأيها ولا تحيد عنه قيد شعره..!

أصرت إما على الدخول لرؤية جين، لكن المس بيتس قالت إنها وعدت إبنه أختها بألا تدخل المس هاووس عليها.. وقالت:

- الحقيقة أن عزيزتى جين المسكينه لا تطيق رؤية أحد... مطلقا.. أما المسز ألتون فمسموح لها بالدخول وكذلك المسز كول والمسز برى...

اكتفت إما بسؤال المس بيتس عن غذاء جين وقابليتها للطعام... فقالت إنها لا تكاد تأكل...

عادت إما إلى البيت وطلبت إلى مديره البيت فى التو فحص ما فى

المخازن، وأرسلت إلى المس بيتس بعض الطعام لكن ما لبث أن عادت به الخادمة مع رسالة موجزة من المس بيتس: (لا يرضى عزيزتى جين إلا رده، فليست فى حاجه إلى شئ مطلقا..!)

سمعت بعدها إما أن جين قد خرجت لجولة فى المراعى على مسافة من هايبرى فى مساء ذلك اليوم نفسه...

فهمت إما السبب...

إن جين قد عزمت على ألا تقبل منها أية مجاملة... فأسفت إما على ذلك.. وحزنت للغاية...

إن جين لا تراها أهلا للصداقة...

وقالت لنفسها:

(لو أن المستر نايتلى على ماتكنه لجين منت حب لما وجد فيها ما يستحق اللوم..!)

إنتظـــار

بعد عشرة أيام من وفاة المسز تشرشل نودى على إما لتقابل المستر وستون بالطابق الأرضى.

التقى بها على باب حجره الاستقبال وسألها بصوت خافت:

– هل يمكنك المجئ إلى راندولز هذا الصباح..؟ إن المسز وستون يجب أن تراك..

– أهى مريضة..؟

– لا، أبدا، كانت ولا ريب ستطلب إعداد المركبه وتجئ إليك بنفسها، لولا أنها تريد لقاءك منفردة، فهل يمكنك المجئ؟

– بالتأكيد وحالا لو تريد. مستحيل أن أرفض شيئا تطلبه.

* لكن ماذا حدث..؟ أحقا أنها ليست مريضه..؟

– ثقى بما أقول، ولا تسألينى أكثر من ذلك. ستعرفين كل شئ فى حينه، ولكن صه، صه..!

بدا من نظراته أن شيئا حالا قد حدث. اتفقت مع والدها على أن تخرج للنزهه، وخرجت على الفور من المنزل مع المستر وستون، وسارا إلى راندولز بخطى سريعة..

قالت له فى الطريق:

– والآن اخبرنى، يا مستر وستون بما حدث.؟

– لا، لا، لا تسألينى؛ فقد وعدت زوجتى أن أتركها هى تحديك وستقول لك الخبر أفضل منى، فصبرا يا إما وستعرفين كل شئ توا..

توقفت وصاحت:

– قل لى ما جرى، يا إلهى..! قل فى الحال يا مستر وستون.. إننى أشعر بأن شيئا قد حدث.. فاخبرنى..! استحلفك قل لى الآن...

– لا، ثقى أنك على خطا...

– لا تحاورنى يا مستر وستون، من هو أصدقائى الأعزاء فى (ميدان برونزويك)؟ من فيهم...؟ استحلفك..!

– ثقى بى يا إما..

– يا إلهى..!

– أقسم بشرفى أن الأمر لا يخص أيا منهم، ولا يخص أحدا أفراد أسرة نايتلى...

واصلت السير وهو يقول:

– الحقيقه أن الأمر يخصنى وحدى... وليس هناك ما يدعوا للقلق.. ولو أسرعنا لوصلنا حالا إلى راندولز..

– وأدركت إما إن عليها أن تنتظر...

– قالت:

– من هذا السيد الذى يركب جوادا..؟

- لا أدرى، فهو فرد من سرة أتواى...

- وهل فرانك هنا الآن..؟

- أجل، ألا تعلمين ..؟ أجل، دعك من ذلك الآن.. لقد حضر هذا الصباح ليطمئن علينا..

لما وصلا إلى راندولز قال وهو يدخل الحجرة:

- أجل يا عزيزتى.. جئت بها وآمل أن تكونى أحسن حالا..

سأدعكما معا... وإن أرد تمانى فلن أكون بعيدا.. لقد وفيت بوعدى، وليست لديها أية فكرة..

قالت لها إما فى لهفه:

- ما الخبر يا صديقتى العزيزة..؟ لقد سرت الطريق بطوله وأنا فى غايه القلق... فافصحى عما بك..

قالت فى صوت متهدج:

- أليست لديك فكلارة حقا..؟ ألا تستطيعين يا عزيزتى إما أن تخمنى..؟

- إنه شئ يخص المستر فرانك...

- حقا... وسأنبئك به حالا... لقد جاء فى الصباح ليعلن عن غرامه...!

وسكتت... ثم تابعت:

الحق إنه أكثر من غرام.. خطبه مؤكدة.. ماذا يقول الناس حين

يعرفون أنه خطب الآنسه فير فاكس..؟

كادت إما تقفز من الدهشة وصاحت مصدومة:

– جين فير فاكس...! يا إلهى..! أأنت جادة..؟ إنك لا تعنين ما تقولين..؟

لك أن تدهشى وأن تتعجبى. كانت بينهما خطبه من اكتوبر الماضى تمت فى (يموث) وبقيت سرامكتوما بينهما... كنت أظن أننى أعرف فرانك...

لم تسمع إما القيه، فقد كانت أحاديثها موزعة بين أحاديثها السابقة معه عن جين وتفكيرها فى المسكينه هاريت...

قالت أخيرا وهى تتمالك نفس:

– أجل، إنه حادث لابد من التفكير فيه نصف يوم حتى أفهمه.. عجبا.. ! مخطوبان طيله الشتاء وقبل وصولهما إلى هايبرى..؟

– لقد جرحنى النبأ وآذى شعورنا، زوجى وأنا، وهو ملك لا يمكن أن نغتفره له..

– لكى أخفف عنك فثقى أن ما أظهره من اهتمام بى ليس له تأثير يخيفك...

– رفعت المسز وستون بصرها إليها وهى لا تصدق...

– قالت إما:

– لقد كنت معجبة به أول تعارفنا، لكن توقف إحساسى به تماما ولم أعد مهتمه به.. صدقينى يا مسز وستون، هذه هى الحقيقة.. قبلتها

المسز وستون ودموع الفرحة فى عينيها.. وقالت:

– سيزول كرب المستر وستون مثل ما زال كربى.. لقد كانت أمنيتنا أن تربطا..!

– لقد نجوت ولله الحمد.. لكنه ملوم يا مسز وستون، فكيف يأتى وهو مخطوب ويتصرف على هذا النحو..؟

– لقد قال شيئا يا عزيزتى إما جعلنى أظن بأن ...

– وكيف تحملت هى ذلك منه..؟ كيف لم تشعر بالمهانة وهو يغازل سواها..؟

– كان بينهما سوء تفاهم وقتها يا إما.. وربما كان ذلك مرده إلى سوء تصرفه...

– الأمر أكثر من أن يكون سوء تصرف..! وأرانى عاجزه عن التعبير لك إلى أى مدى سقط من نظرى... كان بعيدا عن الطهارة والأمانه والتمسك بالصدق والمبادئ...

– لا ياعزيزتى إما، فلابد أن أدافع عنه، لقد عرفته زمنا يكفى لأوكد أنه يمتاز بكثير من الصفات الحميدة و...

صاحت إما تقاطعها:

– يا إلهى... ويسمح لها بالذهاب لتعمل مربية...!

– إنه لم يعلم شيئا عن ذلك يا إما فهى التى قررت ذلك بنفسها دون علم منه... ولقد قال إنه فوجئ بها.. ولعل هذا ما دفعه إلى أن يقرر الاعتراف بكل شئ لخاله..

ويستجدى عطفه وحنانه...

أصخت إما لسمع...

واصلت المسز وستون:

لقد رحل منذ قليل... وسرعان ما تصلني منه الأخبار.. فسيكتب لى قريب.. فلننتظر إلى أن يصل خطابه...

قالت إما بخشونه:

يبدو أن ما عاناه لم يضره كثيرا.. لكن كيف كان وقع الخبر على خاله..؟

لقد رضى عنه ووافق دون إبطاء.. ولم يكن ذلك ليحدث فى حياه المسز تشرشل..

هل تظنين حقا أن الموضوع كان سرا..؟ ألم تعلم أسرتا كامبيل ودكسون به..؟

لا أحد يعلم...

إننى أرجو لهما كل سعادة.. لكننى سأظل دائما على رأيى فى أن سلوكه قبيح للغايه.. ونفاق وخداع وخيانه..!

– إننى أحسن الظن دائما بالمس فير فاكس، فلم أذكرها بسوء قط..

ظهر المستر وستون قرب النافذه فأومأت إليه ليدخل، وقالت:

– دعينى يا عزيزتى إما أرجوك أن تبعثى على اطمئنانه ورضائه عن

هذه الزيجه...!

صاحت إما بصدق للمستر وستون:

– صدقنى أنك قمت نحوى بحيله لطيفه للغايه.. لكنها أزعجتنى حتى ظننت السوء... وها هى المسألة تستوجب التهنئه، وإنى أهنئك يا مستر وستون من كل قلبى على أن تكون هذه الفتاة، وهى أجمل فتيات انجلترا وأكثرهن ثقافة وتربيه، زوجه لابنك..!

– وسرعان ما استعاد الرجل سروره وحيويته اللذين انعكسا فى مظهره وصوته وراح يصافحها بحرارة..!

الحمايـــــة

– مسكينة أنت يا هاريت ...!

هكذا نطقت إمـــا بما يجـــول بخـــاطرها من أفكار مـــؤلمة لا يمكن التخلص منها.. لقد تصرف فرانك تجاهها بنذالة..

لم تكن ساخطه على فرانك لسلوكه نحو هاريت، بل سا خطة على نفسها لسلوكها هى نحوها...

مسكينه هاريت..! مخدوعة للمرة الثانية بسبب غرورها المزيف... صدق نايتلى حين قال:

– إما، إنك لا تتصرفين كصديقه تجاه هاريت..!

لكن لماذا تلوم نفسها..؟ لقد اعترفت لها هاريت بإعجابها بفرانك تشرشل..!

لكنها ملومة لأنها شجعتها على التمادى فى الحب والإعجاب..

أما جين فرفاكس فلسوف تستعيد صحتها وسعادتها وهناءها.. لقد كان سلوك هذه الصديقه سلوك الغيرة؛ فقد اعتبرتها جين منافسة لها، وكان مصير كل عرض الرفض..!

أدركت إما الآن كل شئ...

إن جين وفاكس لن يكون لها من السعادة ولا المركز أكثر من

حياتها التى تحياها.. أما هاريت فلحق بعنايتها، كانت إما تخشى أن تكون خيبه أملها أقسى عن المرة الأولى..

لم تتمالك إما نفسها من الشعور بأن المسألة أقرب إلى المهزلة.. أن ترى نفسها تؤدى نفس المهنه الدقيقه التى أدتها نحوها المسز وستون...

سمعت وقع أقدام هاريت وصوتها...

صاحت هاريت وهى تدخل الحجرة فى لهفة:

– أجل يا مس وود هاوس، أليس هذا أكثر الأخبار عجبا.؟

– أى خبر تعنين..؟

– الخبر الخاص بجين فير فاكس...؟ لقد أخبرنى به المستر وستون نفسه

– وبماذا أخبرك المستر وستون؟

– بأن فرانك وجين سيتزوجان، ولقد ظلا مخطوبين طوال هذه المدة.. أليس هذا عجيبا..؟

– ثقى بأننى بدأت أشك فى أى موهبة لى.. وهل أنت جادة يا هاريت حين تسألينني عن علاقته بامرأة أخرى...! كان من واجبى تحذيرك...

– ثم..؟ إنك لا تظنين أن مستر فرانك يهمنى..؟

– يسرنى سماع ذلك، لكنك لا تقصدين إنكار أنك حملتنى من وقت يسير على فهم أنك كنت تهتمين به..

– لا، أبدا... وكيف تخطئين فهمي..

– صاحت إما:

– هاريت، ماذا تعنين..؟ يا إلهي..!

وعجز لسانها عن التكمله... وجلست تنتظر فى رعب أن ترد عليها هاريت.

قالت هاريت:

– كنت أحسب أنك لن تخطئى فهمى..! ولكن لتفوقه على كل شخص غيره...

– إنه ليس فرانك تشرشل..! أرجو أن أكون أروع ذوقا من التفكير فى فرانك... فهو لا شئ بجانبه... وأنا مندهشة من وقوعك فى هذا الخطأ....

– لتفهم كل منا الأخرى يا هاريت، هل تحدثيننى عن المستر نايتلى.؟

– إنه هو... لم أفكر فى شخص غيره، وكنت أظنك تعلمين ..

– كان أمرا واضحا ونحن نتحدث عنه..

– لم أفهم وقتها.. وكان الحديث عن الخدمة التى أداها لك المستر فرانك بحمايتك فى الفجر..:

– عجبا، كيف تنسين؟ لقد كنت أقصد شيئا آخر. فلم أكن أعن الفجر ولا فرانك، بل المستر نايتلى الذى طلب مراقصتى عندما هجرنى المستر ألتون.. فكان عمله هذا ينطوى على النبل والكرم.. وهى الخدمة

التى شعرت بأنها تفوق غيرها..

– صاحت إما:

– يا إلهى..! ما العمل إذن.؟

– الآن فى الإمكان...

وسكتت... ثم قالت:

– يجب أن تفكرى يا مس وود هاوس بأنه يفوقنى بمقدار خمسمائه مليون مرة وعلى غيرى بما لا يحصى.. لكن إذا... كان مقدار على أن يكون لى هذا الحظ الذى يفوق كل وصف، وإذا كان المستر (نايتلى) لا يهتم بالفوارق، فإنك لن تعارض أو تضعى العراقيل..

– هل تظنينه يبادلك الحب؟

– أجل، ولابد أن أقول أنى واثقه...

لماذا كان غرام هاريت بنايتلى أسوأ من غرامها بفرانك تشرشل؟

لماذا زاد الموقف سوءاً إلى درجه مخيفة بوجود الأمل لدى هاريت بأنه يبادلها الحب..؟

كانت موقنة –إما– بأن نايتلى لن يتزوج سواها..

وإذا بها تشهد ذلك يتقوض فى لحظات...!

لقد صدمت صدمة قوية مخيفة... لكنها...

قررت أن تجلس وأن تتحمل فترة أطول وهى هادئة. بل وهى تتظاهر بالشفقة..

إن هاريت لم تفهم..

التفتت إلى هاريت مرة أخرى عندما كبحت عواطفها، وعادت تستأنف الحديث معه بنغمه الترحيب.. واستأنفتا الحديث فى قصه جين فير فاكس يعجبه...

ثم شرعت هاريت تحكى عنها وعن نايتلى...

وها هى تفاصيل الحكايه كما روتها هاريت...

فمنذ أن شجعها المس وود هاوش على التفكير فيه أخذت هاريت تشعر بأنه يسرف فى الحدث معها عن ذى قبل، وتغير فى معاملته لها، وفى سلوكه إزاءها.. فبدا رقيقا حنونا.. وكان يحرص -إذا تنزهوا- على جوارها وعلى محادثتها وهو مسرور..

إن إما تدرك أن هذا هو عين ما حدث..

ظلت هاريت تردد ما كانت تلقاه من عبارات الإطراء والمديح.. وكان يطرى هاريت لما هى عليه من براءة وبساطه وشرف ونبل مشاعر..!

على أن آخر حادثته جعلا هاريت واثقه مما تقول...

الأولى أنه سار بها وحدها بعيدا عن الآخرين وقت النزهه بين أشجار الليمون فى دونول... وتحدث إليها دون كلفة وفى ود عميق..!

أما الحادثه الثانيه فهو جلوسه للحديث معها ما يقرب من نصف الساعة قبل عودة إما من زيارتها فى صباح آخر يوم زارهم فى هارتفيلد....

سألتها إما:

– ألا يجوز أنه عندما كان يسأل عن علاقاتك العاطفية، كان يشير إلى المستر مارتن..؟

فأجابتها:

– لا، المستر مارتن..؟ كلا... فإن اختارنى المستر نايتلى زوجه فلن أندهش كثيرا..!

– لن أستطيع يا هاريت بشئ سوى أن المستر نايتلى هو آخر من يحاول عامدا أن يجعل سيدة تفكر فيه على أنه حبيب...

سمعت إما وقع أقدام أبيها، وهو يجتاز البهو فى طريقه إليهما.. شعرت هاريت باضطراب شديد، فانطلقت وخرجت من باب آخر.!

راحت تتساءل: كم من الزمن مضى وهى تحتفظ لنايتلى بهذا القدر الكبير من الحب والإعزاز فى قلبها..؟

وراحت تقارن بينه وفرانك تشرشل..!

إن نايتلى هو الأفضل بكثير.. وهى لم تتعلق بفرانك حقيقه ذات يوم..!

آه، ليتها لم تشجع هاريت.. لو أنها تركتها حيث كانت وحيث يجب أن تكون..!

عجبا..!

كيف تطاولت هاريت على أن ترتفع إلى مستوى المستر نايتلى..؟

كيف جرؤت على تصور أن رجلا هكذا يمكن أن يختارها هى من دون النساء..؟!

إنها الآن تعد تنازل المستر آلتون إلى الزواج بها فيه تصغير لشأنه، بأكثر مما تشعر به الآن إذا تزوجها المستر نايتلى.!

وا أسفاه.!

إن ذلك من غرس يديها...!

من الذى علمها أن تعلو بنفسها وأن بها من الصفات ما يؤهلها لهذه المكانه..؟

إن هذا من عملها هى..! هى..!

بكاء فى صمت

ظلت إما، وهى المهددة بفقد سعادتها، لا تعلم مقدارها عند المستر (نايتلى).. ولم تعرف قيمة أن تكون الأخيره عنده إلا حين رأت من يمكن أن تحل محلها فى قلبه...

لقد ظلت طويلا تشعر بأنها المقربه إليه.. و الوحيده التى لها صلة به هى أختها ايزابيلا..

لكنها هى نفسها، إما، فكانت تعلم بأنه برغم كل أخطائها، يؤثرها، وذلك مع أنها أهملته كثيرا، وأغضبته كثيرا، وأغاظته كثيرا...!

قد تظن هاريت أنها المفضله عند نايتلى دون سواها، وأنها الجديرة بأن يحبها..

لا أمل لإما إلا أن تكون هاريت قد خدعت نفسها وبالغت فيما يمنحها من تقدير، وفسرته على أنه غرام بها....

ترجو إما ذلك، لا من أجل نفسها، بل من أجله هو.. هو..!

لا، إنها لا تصبوا إلى الزواج... يكفى أن تستمر الصلة العزيزة بين هارتفيلد ودونول كما كانت... أما الزواج فلن يجديها شيئا البته...!

الزواج لا يتفق وما هى مدينه به لأبيها ولا ما تشعر به نحوه من

واجب.. لن تتزوج حتى لو كانت نايتلى هو الذى يعرض عليها واجب.. لن تتزوج حتى لو كان نايتلى هو الذى يعرض عليها الزواج..!

إن آملها حقا هو أن تبوء هاريت بالفشل فى مسعاها... ما الذى تفعله إذن..؟

لابد من تشديد الملاحظه على هاريت ونايتلى..!

إنه سيعود وبلا شك.. وقريبا.. وعليها ألا ترى هاريت؛ فليس لإحداهما صالح مع الأخرى...

كتبت إلى هاريت ترجوها بكل حنان أن تؤجل مجيئها إلى هارتفيلد فى الوقت الحالى.. على أن تتناسيا ما دار بينهما من حديث بالأمس... ووافقت هاريت..

جاءت المسز وستون، بعد أن زارت جين، لتروى لها ما جرى...

كان المستر وستون قد صحبها إلى بيت المسز بيتس، وأقنعت المسز وستون جين بالخروج معها للنزهة...

استغلت إما الفرصة إلى أقصى حد وصديقتها تروى الحكاية.

كانت المسز وستون تؤثر تأجيل الزيارة إلى أن تأتى موافقه المسز تشرشل على إعلان الخطبه... لكن شجعها المستر وستون على الزيارة؛ ولم ير فيها ما يثير الظنون..!

كان منظر رائعا أن يشاهد السيده العجوز وقد ملكها السرور

والرضا... وابنتها قد هزها السرور حتى نسيت أن تثرثر..!

وبينما كانت المسز وستون والمس فير فاكس في المركبة تتنزهان اجتذبتها المسز وستون إلى الحديث...

قالت المسز وستون:

– لقد حدثتني طويلا وبحراره عما قاسته من البؤس من إخفاء هذه الخطبه طوال الشهور...

قالت إما:

– ما أبأسها..! أظنها تحبه حبا جارفا ولقد انساقت إلى الخطبه بدافع من حبها وحسب...

– أجل...

– أخشى أنني اسهمت في زيادة تعاستها في حالات عديده..

– لقد تصرفت يا عزيزتي بحسن نيه. لقد اعترفت لي جين بأنها سريعه الإنفعال.. وتحدثت عنك وعن عطفك وحنانك أثناء مرضها وأبدت رغبتها في أن أشكرك... لقد شعرت بأنها جاحدة من الاعتراف بجميلك..

قالت إما:

– إنني لا أتحمل الشكر إلا لأنني أعلم أنها سعيدة.. آه يا مسز وستون.! بهذه التفاصيل الهامه...!

سألتها المسز وستون وهى تهم بالانصراف:

- أأنت بخير يا إما..؟

- أجل، وعلى أحسن ما يكون.. وأرجو إبلاغى بالخطاب سريعا..

لقد رفعت الأخبار التى أدلت بها المسز وستون قدر المس فير فاكس فى نظرها..

آه أوصاها بأن ترعى المس فير فاكس...! ولو أنها فعلت لما أصابها ما يصيبها لأن من هاريت..!

آه، لكم ظلمتها حين تصورت تلك العلاقه الآثمه بينها والمستر دكسون..!

آه، إنها، إما) شر ما يحيق بالمس فير فاكس..!

لكم عكرت صفوها وانتقصت منها وبخاصة بسلوكها نحوها يوم (بوكس هل)..!

زادت حالة الطقس سوءا، فهطلت الأمطار فى جو عاصف، وكان لذلك أثره على المستر وود هاوس الذى لم يسكن فؤاده إلا حدب ابنته عليه وعنايتها به..!

وها هى تذكر الآن مساء اليوم الذى تزوجت فيه المس تيلور (المسز وستون الآن) حين دخل عليهما المستر (نايتلى) عقب تناول الشاى مباشرة فبدد ماهما فيه من كآبة..

إن الطفل الذى سـوف يولد فى راندولز سـيـعـزز الروابط بينهم، وسيستحوذ على قلب المسز وستون ويشغل كل وقتها..

ولابد أنهم سيحرمون منها فى النهايه وكذلك فرانك تشرشل والمس فير فاكس... فسوف يتزوجان ويقيمان فى (أنسكومب) أو على مقربه منها.

لم يعد أمام إما إلا أن تحسن من سلوكها... وأن تقلل من أسفها على ما مضى..!

الحقيقة الغالية

واصل الطقس برودته وعواصفه، وساد نفس الشعور بالوحدة والكآبه هارتفيلد.. لكنه، وقت الأصيل، صفا، وخفت شدة الرياح، وانقشعت السحب وظهرت الشمس، وكأنه طقس صيفي... فازدادت رغبة إما في الخروج..

وما كاد المستر بري يدخل عقب العشاء مباشرة حتى أسرعت لتتجول في جيميه شجيرات التوت، وروحها منتعشة، وفك عقال عقلها من الأفكار...

ها هو المستر نايتلي يجتاز باب الحديقه ويسرع نحوها...

إذن فقد عاد من لندن..! فاستجمعت شتات أفكارها وضبطت أعصابها..!

وراح يسير معها... وحدست أنه حدث أخاه بخطته...

سار معا وهو على صمته... هل يا ترى سيحدثها عن علاقته بهاريت..؟

استقر رأيها أخيرا، فقالت وهي تبتسم:

– الآن وقد عدت ، فإن لدى أخبار مدهشه لك...

– أحقا..؟ ما هي يا ترى..؟

– رائعه، زواج...

– إن كنت تقصدين المس فير فاكس وفرانك تشرشل فقد سمعته الآن...

صاحت:

– كيف..؟

– وصلتنى رسالة من المسز وستون هذا الصباح وفى نهايتها نبذه عن الخطبة...

– لم أنس أنك حذرتنى وكان بودى لو سمعتك..! لكن يبدو أننى من المقدر لى العيش فى الظلام..!

تأبط ذراعها وضمه إلى قلبه وسمعته يقول:

– بمرور الوقت يا إما يا عزيزتى سوف يندمل الجرح، وأنت ذات العقل الرشيد والفكر الثاقب، تبذلين ما فى وسعك لوالدك ولن تناقى إلى... الشعور بالصداقه الجارفه، ولا إلى المهانة وجرح الكرامة.. والوعود المبتذلة.! سوف يرحل قريبا.. وسيقيمان فى يوركشير بعد قليل، وأنا حزين لأجلها، فهى جديرة بمستقبل أفضل..

– إنك شديد الحنان والعطف، لكنك أخطأت وسوف أدرك إلى الصواب... لكننى لم أقف على السر مبكرا..

– أحقا تخجلين من فعلك يا إما..؟ لا. لا أعتقد..

لقد فهمتك فسامحينى.. وأنا سعيد لإمكانك أن تبوحى بهذا.. وهو لا يمكن الأسف عليه.. وأمل ألا يمر وقت طويل حتى تبرئى من هذا...

ومن حسن حظك أنك لم تتورطى إلى أبعد من ذلك...

إننى لم أكن موقنا إلا من أنك كنت تفضلينه على سواه، وهو تفضيل لم أظن أنه جدير به..!

– إننى يا مستر نايتلى فى موقف شاذ للغاية.. ولا يمكننى تركك منساقا فى خطئك.. إننى لم أحبه قط..!

لم يجب، فواصلت هى:

– كان فى سلوكه واهتمامه بى ما أغرانة، ولقد تدخلت عوامل عديده لتساعد على الإغراء، لكننى أشبع غرورى فسمحت له بالاهتمام بى... لقد خدعنى لكن لم يسنى بأذى.. وأنا أفهم سلوكه الآن... لقد اتخذنى ستار ليخفى علاقته بسيده أخرى...

قال بصوت عادى:

– لم أحسن الظن به أبدا، بل ولعلنى لم أقلل من قدره فمعرفتى به بسيطه.. وليس هناك ما يدفعنى إلى أن أرجو له إلا الخير من أجلها.. لأن سعادتها مرتبطه بحسن سلوكه ودماثة خلقه..

– لاشك أنهما يشعران بالسعادة معا، وأن بينهما حبا...

– إنه سعيد الحظ، فهو يخطب فى الثالثة والعشرين وفتاة منزهة عن الغرض وبعيده عن الأنانية..

– إنك تتحدث كأنك تحسده..

– أنا أحسده يا إما من ناحية واحدة.

وصمت.. ونظر إليها.. ثم قال:

– لم تسليني عما أحسده؟.. فلا بد أن أذكر ما لم تسأليني عنه يا إما...

صاحت:

– إذن لا تنطق به... تمهل وفكر قليلا، ولا تتورط.!

– شكرا...

ولم يزد...

وكانا قد وصلا إلى البيت فقال:

– أظنك ستدخلين الآن...

– لا، بل فلنقم بجولة أخرى، فالمستر برى لم يخرج بعد.. آه، لقد كنت فظه ومنعتك من الحديث وأخشى أنني آلمتك.. ولو أردت أن تحدثني كصديق بصراحة أو تأخذ رأيي فسوف أنصت إليك... وسأخبرك بما أراه..

– إنها كلمة إما... لكن مهلا....! لماذا التردد..؟

إنني أقبل ما عرضته علي يا إما..! ها أنا ألجأ اليك كصديق فقولي: أليست لي فرصة للنجاح.؟ إنك ستكونين أعز الناس عندي دائما مهما كانت نتيجه حديثنا... لماذا أنت صامتة..؟ يا أعز الناس وأحب الناس إلى قلبي قولي لي فورا... قولي لا إن كان لابدا..!

كانت تخشى أن تستيقظ من الحلم العذب..!

– لست أملك ناصيه الكلام يا إما.. ولو أن حبي لك كان أقل لكنت أكثر حديثا عن الحب، ولكنك تعلمين بما أشعر به.. إني لم أعتد على

قول غير الحقيقة... لقد أغلظت لك القول فتحملك... فهل تتحملينني الآن
ا أعز الأعزاء؟

– كنت أبدو غير مبال في حبي، لكنك تعرفين ما أشعر به.. الآن...
ولا أطلب سوى أن أسمع صوتك مره أخرى.!

غرقت إما في لجه الحيرة والتفكير... وسمعها، وتبين أن كل آمال
هاريت كانت سرابا.. وهاريت ذاتها لم تكن شيئا مذكورا.. وأنها هي
كل شئ عنده..

لكن إما لن تتوسل إليه أن يتخلى عن حبها وأن يحب هاريت عوضا
عنها لأنها أحق منها... ولن ترفضه في الحال وإلى الأبد..

إنها تشعر بالأسف لأجل هاريت...

لقد ضلت هاريت الطريق وهذا ما ستظل تلوم نفسها عليه.. إنها لن
تقر زيجخ مثل هاريت.. لما تنطوي عليه من عدم التطافق، والحط من
مزلته..

لقد جاء المستر نايتلي ليرى وقع خطبة فرانك تشرشل عليها.. لكن
الأمر تطور وكان وليد ساعته..

لقد أمده إنكارها حب فرانك بالأمل في أنه سيظفر بحبها مع
الزمن...

لكنه في غضون نصف ساعة تحول إلى إنسان سعيد... لقد تبينت
له الحقيقه الغاليه وهي أنهما متحابان..

كانت غيرته من فرانك هي التي أبعدته عن القرية..

ذهب من القريه ليتكلم اللامبالاة.. لكنه ألفى السعادة المنزليع ترفرف على بيت أخيه... كانت إيزابيلا تشبه إما كثيرا... وقد مكث عندها إلى أن حمل إليه البريد قصة جين فير فاكس وفرانك... فوجد نفسه قلقا على إما، وركب مركبته وشق الطريق وسط المطر... ثم حضر بعد العشاء ليرى وقه الخبر على أجمل مخلوقة...

وجدها مهمومه مضطربه، وسمعها وهى تؤكد أنها لم تحب فرانك أبدا...

لقد أصبحت إما له...

وتعاهدا على ذلك قبل أن يدخلا البيت..!

نشوة العشق

يا لها من أحاسيس تلك التى عادت بها إما إلى بيتها..!

كانت، حين خرجت، تطمع فى السلوى، فإذا بها عائدة فى نشوة الفرح، وأى فرح..!

جلسوا لتناول الشاى حول المائدة، لكن إما لم تشعر فى أحد الأيام بما شعرت به الآن من نشوة وحيوية...

أما المستر وود هاوس فلم يشك فى شئ بخصوص الرجل الجالس معهما الآن. إنه لا يكف عن الترحيب به ويرجو ألا يكون أصيب بالبرد فى سفره..

راح يقص عليهما وهو مبتهج للغاية ما نقله إليه المستر برى من أخبار...

حين خرج المستر (نايتلى) هدأت إما، وفى هذه الليله صادفتها مسألتان راحت تفكر فيهما بعمق...

ماذا عن والدها وهاريت..؟

كيف يمكن أن توفر لكليهما أقصى راحة..؟

أما مسألة أبيها فسهلة الحل... فهى لن تفارق أباها مطلقا...

وما دام حياً فلن يتعدى الأمر مرحلة الخطبة..

لكن مسألة هاريت صعبه على الحل... إن أعز أمانيها هى أن تبعدها الآن عن هايبرى.. فلماذا لا ترسلها إلى (ميدان برنزويك)؟ إن إيزابيلا سترحب بهاريت...

إن ذلك سيكفل لها الابتعاد حاليا وتتجنب الصدام فى اليوم المعهود القادم..!

كتبت فى الصباح الباكر رسالة إلى هاريت... وهى فى غاية الكدر...

لم يمر عليهما المستر نايتلى وهو فى طريقه إلى هارتفيلد لتناول الإفطار معهما...

وإذا بخطاب يصل من راندولز. لابد أنه خطاب من فرانك ومرفق به مذكره من المسز وستون. قرأت إما المذكرة:

(إننى عزيزتى إما أشعر بمنتهى السعادة وأنا أبعث إليك بالخطاب المرفق، إنه من فرانك العزيز، ولاشك عندى فى أنه سينال إنصافك وسيجلب لك السرور..

بلغى تحياتى للعزيز المستر وود هاوس... ولك تحياتى ...

المخلصة دائما

أ.و.

وطالعت إما الخطاب الطويل...

(إلى المسز وستون...

وندرسور - يوليو..

سيدتى العزيزة،

إن كنت قد أوضحت لك موقفى بالأمس، وأعلم أنك ستقرئين خطابى هذا بإخلاص وروية، فأنت سيده طيبه عظيمه...

وأنا فى حاجة إلى مالك من طيبه لتتجاوزى عن سلوكى الماضى.. .

لكننى نلت صفح التى من حقها الشعور بالأسى..

لقد وفقت حتى الآن مرتين التمست فيهما الصفح، ولذا فلدى الثقه أنك، ومعظم الأصدقاء، سوف تصفحون عنى...

إن عليكم جميعا أن تفهموا موقفى عندما وصلت للمرة الأولى إلى راندولز.. فقد كنت أحمل سرا لابد من المحافظة عليه مهما كلفنى ذلك..

إننى لم أجرؤ على طلب يدها علانيه وذلك للصعوبات التى كانت تواجهنى فى (أنسكومب)... لكننى قبل أن نفترق فى (يموث) أقنعتها بقبول الخطبه على أن تظل سرا..

كنت بذلك قد حصلت على وعد منها بأن تظل وفية لى.. وأن تراسلنى..

إننى لم أصل إلى راندولز إلا بعد وصولها إلى هايبرى...

إننى أذكر المس وود هاوس بكل احترام وتقدير، وآسف على سلوكى معها؛ فلقد دفعتنى فى تكتم لسر إلى استغلال هذه الآنسه العظيمه أسوأ استغلال... لكن صدقينى أنها وهى ما عليه من جمال وظرف لم تشجعنى ولم تقع فى شراك حبى.. بل قابلت محاولاتى بالود والدعابة.. ليس غير...



أرجو أن تسعيا، أبى وأنت، إلى إعلام المس وود هاوس بحقيقة موقفى لتصفح عنى..! إننى أحبها كأختى... حتى إننى فى شوق عارم إلى رؤياها...

كان قلبى فى هايبرى ولابد من انتقالى إلى هناك دون إثارة أى شك..

وصلنى منها خطاب منذ أن بدأت كتابة خطابى هذا. أرسلت لى أنباء عن صحتها.. لكننى أرجو أن أقف منك على رأيك فى حالتها الصحية وأنا واثق أنك ستذهبين إليها فى التو.. إنها تخشى لقاءك. فأسرعى بموافاتى بأخبارها..

آه لو أستطيع أن أراها مرة ثانية..!

ولم يزل أمامى أن أواصل الكتابه....!

ان ما وقع فى السادس والعشرين من الشهر الماضى قد فتح لى الباب لتحقيق أسعد الآمال..

لكن الاتفاق السريع على شغل الوظيفه تركنى فى حيرة وقد أوشكت على الجنون...!

آه، كم أغلظت فى معاملة المس وود هاوس والمس فير فاكس..!

لقد تشاحنت والمس فير فاكس حين قابلتها وهى عائدة إلى البيت بمفردها ليله حفل (بوكس هل) ورفضت أن أسير معها..

ولم أفهم وقتها أن ذلك كان منها حرص على كتمان ما بيننا..!

ما الحال لو أن أحدا لقينا فى الطريق ونحن معا.؟!

عدت تلك الليله إلى ريشموند وذلك لأظهر غضبى منها.. ولتكون البادئه فى المصالحة..!

لكننى ما كدت أرحل حتى وافقت على اقتراح المسز ألتون وقبلت الوظيفه..! إن معاملة تلك السيدة لها تريدنى سخطا وكراهيه لها...

وافقت جين على الاقتراح وقررت أن تقطع صلتها بى نهائيا..

لقد كتبت لى فى اليوم التالى قائله إننا لن نلتقى ما حيينا، وإنها تفسخ الخطبه... وكان ذلك فى اليوم الذى لقيت فيه زوجه خالى ربها..!

ثم انتقلبنا، خالى وأنا، إلى وندسور، ووصلنى منها طرد بعد يومين وفيه كل خطاباتى... ومعه خطاب تقول فيه:

(لماذا لم يصل رد منك على خطابى الأخيرق..؟)

ثم تطلب منى إرسال كل خطاباتها إلى هايبرى فى مدى أسبوع فإن لم أستطيع فيمكننى إرسالها بعد فتره إلى بيت (المسز سمول ردج) قرب برستول..

تصورى الصدمه التى تعرضت لها إثر تسلمى لخطابها هذا..! لم يكن أمامى سوى خالى... أن أتحدث إليه فى الموضوع..

والحقيقه أن الرجل وافق قلبا وقالبا وبأسرع مما توقعت..

ثم سافرت إلى هايبرى...!

ووجدتها بمفردها، وعاد إلينا صفونا، ولن تكون بيننا لحظه كدر بعد الآن..

وإننى قبل أن أختم خطابى هذا لابد أن أشكرك ألف مرة لما محتنى منحنان وحب ولما تقومين به نحوها من رعاية من قلبك الطيب...

ان المس وود هاوس تسميننى وليد الحظ السعيد، وأرجو أن يتحقق قولها...

أما سعادتى الكبرى وحظى السعيد فهو لكونى كنت قادرا على أن أكون ابنك المحب الشاكر...)

ف. تشرسل..

الخطـــاب

هز الخطاب مشاعر إما بعنف... وسرى عنها ما كانت تشعر به نحو فرانك من سخط وكراهيه.. لقد لقى كل سطر فيه هوى فى نفسها، وعلق بذهنها طويلا..

لقد كان خطأ فرانك أقل مما ظنت؛ فقد عانى وندم واعترف بجميل المسز وستون ويحبه العاتى للمس فير فاكس.. وشعرت بالسرور لما شعرت بأنها لا تحمل له أيه ضغينه..!

ودت لو يقرأ المستر نايتلى الخطاب... فقال لها:

– يسرنى جدا أن أقرأه، لكننى سآخذه إلى البيت لأنه طويل..

– مستحيل، فالمستر وستون سيزورنا فى المساء ولابد أن أعيده إليه..

– كنت أفضل حديثك الآن على مطالعته.. لكن لا بأس...

– قطع قراءته للخطاب وهو يقول صائحا:

– البيانو...! آه...! إنه من عمل الصغار... رغبة رجل فى أن يقدم دليلا لسيدة على حبه... آه... وليد الحظ السعيد...!

أهذا هو الاسم الذى أطلقته عليه؟

– تبدو كأن لم يقنعك خطابه...؟

– لا ريب أن الخطاب خفف عنى ما بى كثيرا...! لقد كانت له أخطاء بشعة..! إنها أخطاء نشأت عن سوء تقديره وسفهه..

– لكننى واثق أنه سيحسن أخلاقه وسيكتب من المس فير فاكس ما ينقصه من روية وثبات والمحافظه على المبدأ.. لكن دعينا من هذا الآن..! إننى منذ تركتك يا إما وأنا لا يكف عقلى عن التفكير فى موضوع واحد لا غير...!

وطلب يدها دون أن يجور على سعادة والدها. قالت :

– ما دام والدى العزيز على قيد الحياة فإن أى تغيير فى الظروف الحاليه يكون مستحيل..! ليس بوسعى أن أتركه إطلاقا..!

– ووافقها هو على ذلك... لكنه اقترح أن يأتى المستر وود هاوس ليقيم معهما فى دوتول..!

لكن هذا مستحيل؛ فلن يطيق الرجل مغادرة هارتفيلد تحت أى ظرف..! إذن فما هو الحل...؟

ليس أمامه إلا أن يأتى هو إلى هارتفيلد ويقيم فيها...!

لم تطرأ هذه الفكرة على بال إما، ووجدتها فكرة رائعه دافعها المحبة.. وشعرت بأنه سيضحى بالكثير من عاداته وأن عليه أن يتحمل الكثير بمعيشته مع أبيها على الدوام...

وعدته بالتفكير، كما أوصته بأن يزيد بحثا... لكنه قال إنه لن يترك هذا الموضوع، فهو موضع اعتباره وتفكيره الدائم.. وإنه سار طويلا ليفكر بمفرده...

صاحت إما:

– آه.. لم يبق غير مشكله لم نبحثها...!

– وما هي...

– موافقه

– وصيفك الخاص.

– تقصدين (وليم لاركنز).؟

– أجل..

– وما دخله..؟

– أليس ابنك هزى يحبه كثيرا..؟

– بلى... لكن لا تفكرى فى ذلك كثيرا..

– لقد كادت تنسى أن له ابنا صغيرا هو وريث دونول المنتظر...

– لقد كان اقتراحه بالاقامة فى هارتفيلد مقبولا عندها كلما فكرت فيه، فبدت المزايا أكبر وترجح على كل الاضرار..

– آه..! ياله من رفيق الهموم والشدائد..! وما أروعه من شريك حياة فى كل الواجبات والأعباء التى تزداد بمرور الأيام...!

– إنْ السعادة وشيكه لولا المسكينه هاريت.!

– إنها لكى تحتفظ بالمستر (نايتلى) عليها إبعاد هاريت عنه حرصا عليها وعطفا..

– لن تأسف على غيابها فى المستقبل...

- إنه القدر الذى قال كلمته...

- سوف تنسى المستر نايتلى كما نسيت المستر مارتن من قبل..!

- لكن ماذا عن المستر نايتلى ذاته..؟

- إنه لن يقلل مـا يبديه نحو هاريت من عطف وشفقه ومراعاة لشعورها...!

زيارة فيرغاكس

لشد ما ارتاحت إما حين وجدت أن هاريت مثلها تتحاشى المقابله.. يكفى ما فى رسائلهما من ألم..!

كانت رسائلها إليها خلوا من اللوم والعتاب، ورجح رأى إما أن المصدمة التى أصيبت بها هاريت ما كانت تجردها من الإساءة إلا أن تكون ملاكا..!

لم يصعب على إما أن توجه إيزابيلا الدعوة إلى هاريت لزيارتها.. ولقد ساعدتها الظروف على تحقيق هدفها؛ فقد شعرت هاريت بألم فى أسنانها، وسر المسز جون نايتلى أن تكون هاريت في رعايتها وتحت عين طبيب الأسنان المستر ونجفيلد...

وافقت هاريت على الذهاب لمدة أسبوعين، فى مركبه المستر وود هاوس... ووصلت هاريت سالمة إلى (ميدان برونزويك)..

أصبحت إما قادرة على الاستمتاع بزيارات المستر نايتلى دون تحفظ ولا يعكر صفوها الشعور بالظلم أو الجريمه...

لن تسمح إما لأى شئ بأن يشغل تفكيرها.. غير أن تنقل خبر الخطبة إلى أبيها... لكنها أجلت اعترافها بها لأبيها إلى حين تضع المسز وستون مولودها...!

واستقر رأيها على الذهاب لزياره المس فير فاكس..!

إنها لم تذهب لزيارتها منذ اليوم التالى لرحلة (بوكس هل)... وقد خشيت اليوم أن ترفض زيارتها أو الترحيب بها..

حين أعلنت (باتى) اسمها سمعت ذات الهرج والمرج، لكنها فى النهايه سمعت:

– سلبها أن تصعد..!

لقيتها جين نفسها على السلم... كانت تطفح بشر او صحة وسعادة.. تقدمت منها باسطه يدها وتقول:

– بلا ريب، هذا منتهى العطف منك يا مس وود هاوس... واغفر لى إن كنت عاجزه عن الترحيب بك..!

كادت إما أن تنطلق على سجيتها فى الحديث إلا أنها سمعت صوت المسز ألتون، فاكتفت بمصافحه جين...

كانت المسز بيتس والمسز ألتون جالستين معا، ولم تكن المس بيتس هناك...

قابلتها المسز ألتون بترحاب غير عادى... وأدركت إما إن المس فير فاكس اتخذتها أمنية على سرها... وظنت أنها الوحيده التى تعرف السر...

كانت (وقت دخول إما) تطالع ورقه سارعت إلى دسها فى حقيبتها

وهى تقول:

– يمكننا الفراغ من الموضوع فيما بعد، وأبرهن لك على أن المسز (س) قبلت اعتذارنا وبدت رقيقه فى رسالتها... يا إلهى..! كم هى ظريفه... ولو لقيتها لدخلت قلبك على الفور..! صه..!

ثم قالت لإما:

ألا تظنين يا مس وود هاوس أن صديقاتنا هذه المدلله قد شفيت تماما..؟ إن هذا سيعود على المستر برى بالشهرة...

فقد أعادها إلى حيويتها فى وقت قصير..! يا إلهى...!

دخلت المس بيتس وهى مرتبكه... وقالت:

شكرا لك يا عزيزتى المس وود هاوس، إنك الحنان مجسى..!

آه، أرأيت كيف عوفيت العزيزة جين..؟ كيف حال المستر وود هاوس...؟ إننى فرحانه للغاية..

إننا هنا مجموعة صغيرة وسعيدة..

نعم، لا شك فى هذا... إنه فتى لطيف..! المستر برى الطيب وما أعظم عنايته بجين.!

– ها أنذا قد جئت إلى هنا يا عزيزتى الصغيرة، وقد مكثت طويلا، ولكننى أنتظر مجئ سيدى ومولاى... وقد وعد بالمجئ ليراكى..!

– ما أسعدنا..! هل سيسعدنا بالزيارة..؟ هذا فضل منه؟

– لأننى أدرى بأن السادة لا يحبون الزيارات الصباحيه... كما أنه مشغول طوال الوقت..!

– كونى واثقه بأنه آت لزيارتكن يا مس بيتس.. رغم مشاغله الكثيرة، فالقضاه والمشرفون يطلبون رأيه دائما...

إنه قادم للتهنئه... زيارة واجبه..! ولقد وعدنى بالمجئ بمجرد الانتهاء من اللقاء بالمستر (نايتلى)...

سألتها إما:

– هل ذهب المستر ألتون سيرا إلى دونول..؟

– كلا، فاللقاء فى نزل التاج ومعهما المستر وستون والمستر كول كذلك.

– إن الاجتماع فى الغد وليس اليوم..!

قالت المسز ألتون فى الحال:

– لا، لا، إنه اليوم بالتأكيد...!

– حضر المستر ألتون ورحبت به زوجته بحيويتها المتألقه وقالت:

– إنه لبديع جدا أن ترسلنى هنا يا سيدى لكى أزعج أصدقائى طيله هذا الوقت إلى أن تتكرم بالحضور، وأنت تعلم أننى لن أتحرك من مكانى إلى أن يعود مولاى...

كان يعانى من الحر، فلم يبدلها التفاتا.. وقال:

– عندمـا وصلت إلى دونول لم أجـد نايتلى برغم أننى أرسلت له رسالة ينتظرنى...!

– عجبا..! تقول دونول..؟ ألم تذهب يا عزيزى المستر ألتون إلى نزل التاج..؟

– لا، لا، فموعدنا غدا هناك... ولقد أردت رؤيته قبل اجتماعنا فى الغد.. أف.. لقد كانت المسافه طويله ولقد قطعتها ذهابا وعودة وسط الحر اللافح..! آه... ترى أين هو الآن..؟ . إن مدبرة بيتـه لا تعرف أين ذهب..!

قالت إما:

– هذا ولا شك فى منتهى الغرابه.. وليس لدى ما أقوله دفاعا عنه..

صاحت المسز ألتون:

– ليس بوسـعى تخـيل كـيف أمكنه أن يعـمل هذا مـعك..! وأنت بالذات..!

– لقد قابلت (وليم لاركنز) قريبا من بيته فأخبرنى بأنى لن أجده فى البيت.. وكان يبدو عليه الاكتئاب ولا يدرى ماذا حدث لسيده فى الأيام الأخيرة... لكن بعد الوليم.. فإننى أريد لقاء نايتلى اليوم بأيه صورة..!

استـأذنت إمـا فى الانصـراف، فـأصـرت المس فـيـر فـاكس على مرافقتها إلى الدور الأرضى..

قالت لجين:

– حمدا لله على وجود هؤلاء الناس هنا وإلا لأثرت موضوعا عزيزا علينا..!

– صاحت جين:

– أوه يا مس وود هاوس، بودى أن أعتذر عن فظاظتى وخافتى.. وكم أنا مقدرة لك أنك لم تهجرينى لسوء تصرفى... وبالإجمال إنك إن لم يتسع عطفك لى يا صديقتى...

صاحت إما:

– أوه...! لا شك أنك مرهفة الحس، لكن لست مدينة لى بأى اعتذار يا صديقتى...

– أنت شديدة الحنو يا جين.. وإننى أستحلفك ألا تقولى أكثر من هذا..! فلنصفح عن بعضنا البعض، ولنؤدى ما علينا أداؤه بسرعة... أرجو أن تكون الأخبار السارة قد وصلتك من وندسور..!

– وصلتنى...!

– أما عن ذهابى إلى وندسور فهو مؤجل الآن إلى أن يعود المقدم (كامبيل) وزوجته ويقومان باستدعائى..

قالت إما:

– اسمحى لى بأن أقول إنه لابد من التفكير فى الذهاب..

قالت جين وعلى ثغرها ابتسامة:

- أنت على حق، فقد فكرت فى ذلك بالفعل، وأنا أعترف لك بأن الأمر قد أصبح منتهيا بمعيشتنا مع المستر تشرشل فى (أنسكومب) ولابد من مرور ثلاثة شهور على الأقل على الحداد التام، ولن ينتظر بعدها...

- شكرا، هذا ما كنت أريد أن أتأكد منه... آه لو تعرفين مقدار حبى لك... والآن فى رعايه الله... فى رعاية الله..!

على طريق الزواج

فرح أصدقاء المسز وستون حين وضعت بنتا جميله... وكان سرور إمـا بالوضع بلا حـدود؛ فـقـد كـانت تتـمنى تشـريف هذه الآنسـه (وستون)..!

إن هذه الصغيره سوف تضفى على البيت السعادة، فالحياه ستدب فيه بما يجرى حول المدفأة من ألعاب..! وما سوف ترويها له أمها من حكايات وحواديت أو أساطير.!

إن قالت إما للمستر نايتلى:

– للمسز وستون خيرة بالتربيه كما تعلم.. فهو قدر ربتنى، وسنرى الآن أن الصغيره (اوليد) سوف تتربى على أحسن وجه..

ضحك المستر نايتلى:

– وسوف تدللها أكثر مما كانت تدللك..!

– مسكينه هذه الطفله..! لن تكف عن أن تكون مدلله..!

– لكنها سينصلح حالها عندما تكبر..

– لقـد عـاونتنى لكى أقـاوم تدليل الآخـرين.. ولولاك مـا انصلح حالى...

– لقد وهبتك الطبيعه عقلا، كما أضفت عليك المسز وستون المبادئ... أما عن تدخلى فكان محدودا، ومن ثم فلست أعتقد بأننى قدمت لك أيه خدمة... بل أنا الذى أفدت منك، فجعلتك هدفا لرق مشاعرى.. وأغرمت بك...

– بل إننى واثقه أنك أفدتنى.. وعليك بالقيام بنفس الدور مع أدليد...!

– كنت دائما تنادينى ب(المستر نايتلى)، ولازلت، وهذا عافيه من رسميات... وأود لو ناديتنى باسم آخر... لكن ما هو هذا الاسم..؟

– أذكر أننى سميتك ذات مرة: جورج... وكان ذلك منذ عشر سنوات.

– أفلا يمكنك مناداتى به الآن..؟

– مستحيل..! سأدعوك بالمستر نايتلى، ولن أحاكى المسز ألتون فأدللك عما تفعل معه... لكننى أعدك بأن أناديك باسمك الأول... لكن ليس الآن..

– أرسلت إيزابيلا تقريرا طبيا عن ضيفتها ذكرت فيه أنها ظننتها فى البدايه مهمومه وهى موشوكه على زيارة طبيب الأسنان، لكنها لم نلحظ أى تغيير طرأ عليها..

– كانت هاريت تنفر من اللعب مع الأطفال..

ولقد استقر الرأى على أن تظل هاريت مع أسرة (نايتلى) إلى تعود معها إلى هايبرى فى شهر أغسطس...

قال المستر نايتلى وهو يريها رسالة من أخيه:

- إن جون لا يذكر اسم صديقتك فى رده على رسالتى..!

كانت الرسالة فى لهفه...

قال المستر (نايتلى):

- إن جون أخى مسرور لى، وخطابه بعيد عن التزويق والتنميق، لكن لا بأس أن تقرئى ما كتبه..

قالت بعد مطالعة الرسالة:

إنه يعتبرنى الرابحة من الزواج، وهو لم يفقد الأمل فى أن أصبح بمرور الوقت جديره بمحبتك...!

- إنه لا يقصد شيئا يا إما يا حبيبتى.. إلا.. قاطعته بابتسامة:

- إننى وهو نختلف اختلافا يسيرا فى تقديرنا و...

- إما، عزيزتى ما...

- إنتظر حتى يقرأ والدى الخطاب، وثق أنك ستكون أنت الرابح...

صاح:

- بودى لو اقتنع والدك بالسهولة التى اقتنع بها جون...

لكن هناك جزء فى خطاب أخر لم تفطنى إليه.. إنه يقول إنه لم يندهش، ويبدو أنه كان يتوقع سماع ذلك..

– إننى لم أخطر على باله مطلقا... ويبدو أنه لم يتوقع ذلك على الإطلاق.

– أجل، أجل ، لكنه استطاع معرفه مشاعرى... فكيف استطاع هذا..؟ يبدو أنه أدرك حين كنت أقيم معهم منذ أيام أننى لم أعد أشاك الأطفال لعبهم.. وقد قالوا له:

إن عمنا يبدو الآن مرهقا على الدوام..

مضى الوقت وهما يترقبان إعلان النبأ... ليعرفا وقعه على الآخرين.. لكن كيف يمكن إعلام أبيها بانبأ..؟

● إنها ستبلغه بالنبأ حين لا يكون نايتلى موجودا..

بذلت إما ما فى وسعها لكى تمهد ذهنه لسماع الخبر الطريف ثم تبع ذلك كلمات عن نيتها والمستر نايتلى على الزواج والإقامة مع فى بيت هارتفيلد...

كان النبأ صدمة عليه فى أول الأمر، وحاول أن يصرفها عن الفكرة، ويؤكد لها أن الأفضل أن تستمر على وصفها الحالى..

وتحدث عنه تعاسة (إيزابيلا) و(المس تيلور)

لكنها تشبثت بكتفه فى حنان وابتسمت قائله إنه أمر لا مفر منه، وإنها لن تترك هارتفيلد ولن تتركه مع وحدته مهما حدث...

ثم إن المستر نايتلى سيكون أقرب إليه من البنان.وهو الذى لا يكف عن حبه واستشارته فى كل صغيره وكبيرة.. ويكتب له رسائله..

كان من الصعب إقناعه بسرعة.. ومع ذلك فقد طرحت عليه الفكرة وأراحت ذهنها منها..

ولقد ذللت أختها إيزابيلا الصعوبات بما أرسلته من رسائل تحبذ فيها الفكرة وترجو أباها ألا يرفض..!

اندهشت المسز وستون حين كاشفتها إما بالأمر.. لكنها لم تلبث أن هنأتها كثيرا، فمن سوى (المستر نايتلى) يمكنه فهم المستر وود هاوس وتحمله.؟

لقد فكرت فى تزويجها لفرانك... لكن الآن هذا زواج متكافئ.. ومبرأ من الأغراض وبعيد عن الغموض.. و على أساس سليم..

كانت المسز وستون تشعر بأنها فى غاية السعادة وابنتها فى حجرها.. وتشعر بأن الطفله ستكبر.. وأن أول قبعه لها قد ضاقت على رأسها.

قال المستر وستون:

– أظن أن المسألة ستظل فى طى الكتمان، ولست أطلب إلا العلم متى يمكننى ذكرها..؟

وذهب فى الصباح التالى إلى هايبرى وأبلغ جين بالخبر...

ونقلت المس بيتس الخبر إلى الميز كول والمسز برى والمسز ألتون..

حازت الزيجه قبولا حسنا...

لم تلق الخطبه قبولا فى الأبرشيه..!

فالمستر ألتون لا يهمه من أمر إما شيئا، فلقد زوجدت إما الآن ما

أشبع كبرياءها...

أما المسز ألتون فقد غلب عليها الاضطراب وقالت:

– يا له من تعس نايتلي..! كيف أمكن لهذه المخلوقه أن تقهره؟

إنه متقلب الأهواء... لكنه مسكين... وسوف تنتهي صلتنا به، وما أسعده حين كان يأتي للعشاء معنا..!

لكن كل هذا ينتهي... فما أنفسه..!

إن (المسز نايتلي) الجديده لن تسمح بالجولات ولا بالرحلات..!

هاريت تتزوج

دارت عجلة الزمن، ولم يبق طويل وقت حتى يصلوا إلى لندن..!

كانت إما تفكر فى ذلك ذات صباح حين دخل (المستر نايتلى) وقال:

– عندى ما أحب أن أبلغك به يا إما... إنه بعض الأنباء..

قالت وهى تنظر فى وجهه:

– ساره أم مزعجه..؟

– لا أدرى...

– آه..! لابد أنهـــا إذن أخـــبـــار ســــارة، وأنت تحـــاول أن تدارى ابتسامتك قال وقد انبسطت أساريره:

– أخشى ألا يطول ابتسامك يا عزيزتى إما حين سماعها..

– عجبا..! لم اللف والدوران..؟ كيف لا يسرنى ما يسرك؟

– هو موضوع واحد تختلف فيه آراؤنا... ألم يخطر ببالك قط حتى الآن..؟ إنها هاريت سميث.!

– صعد الدم إلى وجنتيها حين سمعت الاسم.. وشعرت بالخوف من شئ خفى مجهول..

صاح يسألها:

– هل وصلك منها أخبار هذا الصباح..؟ أعتقد أنك تعرفين كل شئ...؟

– لا، ولست على علم بشئ، فاخبرني...

– أراك مستعدة لسماع أسوأ الأنباء، وهو بشئ سئ..!

– إنها ستتزوج روبرت مارتن...

ارتاعت إما ونظرت إليه في لهفه:

– لا، محال...!

– قال مواصلا حديثه:

– بل أنه حقيقي..! لقد أبلغني مارتن نفسه بالخبر... ولم يغادرني إلا من نصف ساعة فقط...

– مازالت تنظر إليه في دهشه... فقال:

– هذا الخبر صادف قبولا في نفسك يا إما... كوني على ثقه بأن الزمن سيجعل أحدنا يغير رأيه.. ولا حاجه لنا في في الكلام في هذا الموضوع بالذات...

– لا، إنك مخطئ في فهمي في هذه المسأله... كل ما هناك أنني لا أستطيع استيعاب الخبر الآن، فهو يبدو مستحيلا..! لا، لا..! لا يمكن أن تقصد أن هاريت قبلت الزواج من روبرت مارتن بالفعل... هل تقصد

أنه يعتزم التقدم لخطبتها.؟

فابتسم وقال:

– بل أعنى أنه تقدم لخطبتها ووافقت..!

– صاحت:

– يا إلهى..! ماذا أسمع..؟ لكن دعنى أفهم الحكاية من البداية..

كيف حدث هذا وأين ومتى..؟ دعنى أعرف كل شئ...

فما من شئ يدهشنى أكثر من ذلك... كيف أمكن ذلك؟

– المسألة غايه فى البساطه.. لقد ذهب إلى لندن منذ ثلاثة أيام لبعض الأعمال.. وكنت قد أوصيته بتوصيل بعض أوراقى إلى أخى ففعل.. ودعاه أخى إلى الذهاب معهم إلى ملهى (أستلى) ولم يمانع روبرت فى قبول الدعوة.. ثم دعاه أخى إلى العشاء معهم فى اليوم التالى ولبى الدعوة... فوجد صديقى مارتن الفرصة للحديث مع هاريت، وقبلت طلبه بكل سرور...

ولقد عاد بالأمس وقابلنى اليوم وأخبرنى بالحكاية... وسوف تروى لك هاريت الحكايه بالتفصيل حين تلتقيان.. ويبدو لى أنه كانت تجين نفسه بعواطف جارفه نحوها... حتى أنهم حين غادروا الملهى سار هو وهاريت معه... أرجو أن تحسنى الظن بمارتن فهو راجح العقل سليم المبادئ وأؤكد لك يا إما إنه جدير بالكثير... ولن أتخلى عنه...

قالت فى نشوة:

- ليس هناك ما يدعوا لأن ترهق نفسك لتجعلنى راضيه عن الزواج إننى أعتقد أن تصرفها كان حكيما.. أما دهشتى فراجعه إلى كونها تفكر فيه..

- عليك بأن تكونى أكثر معرفة بها.. وواجبى تقتضينى القول بأنها فتاة ذات طبع هادئ وعطوف.. ولن ترفض رجلا يقول إنه يحبها..!

لم تتمالك إما نفسها من الضحك.. وقالت:

- أأنت واثق يا مستر نايتلى أنها وافقت بصورة نهائية..؟

هل قبلته بالفعل... أليس من الجائز أنك لم تفهمه..؟

أو أنه لم يكن متأكد من قبولها..؟

صاح بها:

أمعقول أنك تجسرين على اتهامى بأننى على هذه الدرجه من الغباء حتى أعجز عن درايه ما قال الرجل..؟ ماذا تستحقين على ذلك..؟

- أفضل معاملة لأنى لا أحتمل سواها.. فهل أنت واثق تماما..؟

- بل ومتأكد تماما... لقد رضيته زوجا، ولم يكن فى حديثه أى غموض ولا التواء... ولقد سألنى عما يجب أن يفعله الآن.؟

فقد له أن يذهب إلى المسز جوادارد...

- لقد اقتنعت تماما..! وأرجو لهما السعادة..

– ها..! لقد تغيرت كثيرا عما كنت حين تحدثنا من قبل..!

– أرجو هذا... كنت مغفلة وقتها..

– بل لقد تغيرت أنا أيضا... وأنا أميل إلى الاعتراف بما فى هاريت من صفات رائعه.. لقد تحدثت معها طويلا... وهى لطيفه للغايه بلا تكلف، وأفكارها ناضجه، ومبادؤها رائعة، ولا شك أنها مدنيه لك فى ذلك...

– أنا..؟ واحسرتاه... واحسرتاه على المسكينه هاريت..!

دخل أبوها عليهما... ليعلن أن جيمس خرج لإعداد الخيل للذهاب إلى راندولز فى النزهة اليوميه..

فتوارت من الحجرة...

لقد أزالت السعادة التى تنتظر هاريت عنها ما يثقل كاهلها.. الذى كانت ترجوه أكثر من ذلك..؟

هاريت عائده... عائده..! يابشراى...!

إن عودتها الآن باعثة على السرور، وسيكون من دواعى السرور أكثر إعادة التعرف ب·روبرت مارتن.!

ستجعل إما من المستر نايتلى موضع ثقتها الغالية وهو ما ترحب به كل الترحيب...

خرجت مع أبيها... وأنصت له... وهو يؤكد لها إن هذا إلى راندولز

يوميا واجب عليه تجاه المسز وستون..!

وصلا إلى راندولز، وما كادا يدخلان حجره الاستقبال حتى وجدا المسز وستون وحدها.. وحكت لهما عن آخر أخبار طفلتها وشكرت المستر وودهاوس على حضوره..

واقترب شبحان من الباب...

قالت المسز وستون:

– إنهما جين وفرانك، وقد وصل فى الصباح وسيبقى إلى الغد.. وكنت على وشك إخبار كما به... وستمضى الآنسة فير فاكس اليوم معنا.

سرت أما برؤيتهما... وساد الترحيب والابتسامات لأفق.. وها هى قد تحقق لها أن ترى فرانك بصحبة جين.. وما كاد المستر وستون يصل ويحمل الطفله ليدللها حتى اتود فرانك بإما وقال لها:

– من الواجب أن أشكرك يا مس وود هاوس على صفحك الكريم الذى وصلنى فى خطاب المسز وستون...

قالت:

– إنه ليسرنيلا أن أراك وأصافحك وأقدم لك التهنئة بنفسى..

شكرها من صمم قلبه.. ثم قال لها وهو يلتفت إلى جين:

– أليست فى صحة تامة..؟ وأنت ترين مقدار حب والدى والمسز وستون بها..؟

إنها رائعه وجذابه...

عندى أمل فى التـأثيـر على خـالى ليـزور راندولز، فـهـو يرغب فى التعرف بها... وحين تعود أسرة كامبيل سنلتقى بها فى

لندن.. وأرجو بهذه المناسبة أن يكون المستر نايتلى بخير..!

دعينى أهنئك... فهو رجل فى غنى عن كل مرح.. شكرته... فعاد يقول:

– هل رأيت مثل هذه البشرة البديعه والنعومة والنضارة..؟

قالت إما:

– فهل نسيت كيف انتقدت شحوب وجهها من قبل.؟

– لا، لا، كم كنت وقحا وقتها..!

وضحك ملء شرقيه...

قال إما:

– أنا لا أشك فى أنك كنت تجد متعه عظيمه فى خداعنا..!

– لا، لا، لقد كنت أتعس مخلوق..!

– لا، بل،لم تبلغ التعـاسـه حـدا يجعلك تشـعر بالمرح وبخاصـة ليله بوكس هل..!

فأحنى رأسه... وقالت:

إن لم يكن بيننا تشـابه فى الطبـاع والميـول، فـهناك تشـابه فى

مصيرنا؛ ارتبطنا بشخصين يفوقنا بكثير..!

قال فى حماس:

– هذا صحيح... لكنه ليس صحيحا بالنسبه لك، فليس هناك من يتفوق فى حماس:

هذا صحيح... لكنه ليس صحيحا بالنسبه لك، فليس هناك من يتفوق عليك، لكنه يصدق على تماما، فهى ملاك رائع..

آه... إن خالى ينوى تسليمها كل حلى زوجته...

حين غادرت إما راندولز راحت تعقد موازنه بين الرجلين..

صحيح أنها سرت برؤيه فرانك تشرشل، لكنها مع تقدير هالة فلم تكن أبدا أقل شعورا بما عليه المستر نايتلى من سموا الخلق والطيبة..!

الخاتمة السعيدة

لم يطل الزمن بعذاب إما وقلقها بخصوص هاريت..!

فلم تكد تنفرد بالفتاة ساعة بعد وصول الجماعة من لندن حتى اقتنعت تماما، بأن روبرت مارتن قد حلَّ فى قلبها محل المستر نايتلى..!

(لقد اعترفت لإما بأنها كانت مغرورة ومدعيه وبلهاء وبذلك انزاح عن صدر إما كابوس الألم الذى لا يفارقها..

قدمت لها إما خالص التهانى والتمنيات..

سر هاريت أن تقص عليها ما حدث فى الأمسيه التى قضوها فى الملهى... واثناء العشاء فى اليوم التالى...

الواقع إن هاريت كانت شديده الاعجاب بمارتن، وظل حبها له يزداد دون مقاومة...

وقعت حادثة كان لها الأثر الأكبر فى سرعة إتمام زواجها من روبرت مارتن..!

لقد ظهر أهل هاريت..!

إنها ابنه تاجر فى غاية الثراء.. ولم يبد الأب اعتراضه على الزيجه بل منح ابنته دوطه ضخمه...

وعادت مياه الصفاء بين مارتن وإما.. والذى أصبح من زوار بيت

هارتفيلد المعروفين... ولقد تبينت إما أنه يتمتع بكل مظاهر الحكمة والجدارة مما يليق بصديقتها الصغيرة..

وكان البيت رالذى أعده لها مارتن يكفل لها الطمأنينه والاستقرار والتطور.. كما يتيح لها العيش بين أحبائها وأصدقائها..

إن صديقتها لهى أسعد مخلوقه فى العالم، لأنها استطاعت أن تغرس فى قلب مارتن حبها الثابت الذى لا تزعزعه العواصف.. لقد استطاعت الاحتفاظ به لنفسها وحازت عليه فى النهايه..!

وقل مجيئها إلى هارتفيلد وذلك لانشغالها بالاستعداد للزفاف..!

كانت صداقتها وإما تتحول إلى نوع من التعاطف أكثر هدوءا واستقرارا..!

ولم تلبث أن عقد الزواج فى الكنيسه قبل نهايه سبتمبر...

ورأتها إما تعاهد مارتن على اتخاذه زوجا... والطريف أن المستر ألتون هو الذى عقد الزواج باعتباره راعى الكنيسه..

وكانت جين قد ذهبت إلى بيتها مع أسرة كامبيل... وكان المستر تشرشل وفرانك فى لندن ينتظران حلول شهر نوفمبر..

حدد المستر نايتلى وإما للزواج فى شهر أكتوبر... واتفقا على أن يتم الزواج فى حضور جون وإيزابيلا فى هارتفيلد، حتى تتاح لهما الفرصة لقضاء أسبوعين فى رحلة على الساحل...

وقد افق جون وزوجته عليها... أما المستر وود هاوس فكان متوجا.. إلا أنه أدرك أنه أمر لابد منه وليس فى وسعه متعه..

وذلك بسبب حادث يبعث على الضحك..!

ففى أحد الليالى سرقت الديوك الروميه من حظيره المسز وستون، ثم انتقلت السرقه إلى حظائر أخرى براندولز...

فأخذ الخوف بمعاقل المستر وود هاوس.. واشتد جزعه وقلقه ولما شعر بأن الحمايه تأتيه من طرف نايتلى وأخيه فقد سارع بالموافقه على الزواج..!

ولم يكد يمر شهر على زواج هاريت من مارتن حتى قام المستر ألتون بعقد زواج الحبيبين نايتلى وإما...

حاولت المسز ألتون أن تسخر من الزيجه؛ فقد كان الحفل من النوع الذى لايميل فيه أهالى العروسين إلى فخامة الملبس أو المظاهر..

لكن زوجها أصغى إليها بدون تعليق... وكان هذا الزواج من أسعد الزيجات جميعا...!

(تمت)